زهر البستان
في دولة بني زيان

لمؤلف غير معروف

تحقيق وتقديم
بوزياني الدراجي

الجزء الثاني

مؤسسة بوزياني للنشر

مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع

شارع بلخوني يوسف السحاولة (16305) الجزائر
هاتف: 0559308889
وفاكس: 0 21 35 78 29

الإيداع القانوني: 1231 – 2013
ردمك: ISBN 978-9961-9863-4-9

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء وتقريظ

فَهَذَا كِتَابٌ يَفُوحُ بِنَشْر
وَعِطْرِ الجُدُودِ بِهِ فَائِحَاتْ
كِتَـــابٌ ثَــرِيٌّ بِأَخْبَــارِهِ
وَيُدْنِي زَمَاناً تَنَاءَى وَفَاتْ
أُقَدِّمُــهُ لِشَبَــابِ بِــلاَدِي
كَخَيْرِ الهَدَايَا وَأَحْلَى الهِبَاتْ
تَتِيــهُ زُهُــواً بَسَاتِينُــه
بِأَزْهَارِهَا فِي النُّهَى رَائِعَاتْ
فَمِنْكِ تِلِمْسَانُ جَاء كِتَابٌ
سُطُورُهُ تُثْرِي جَمِيعَ اللُّغَاتْ
تِلِمْسَانُ أَنْتِ الجَمَالُ تَجَلَّى
فَمِنْكِ الرَّوَائِعُ بِالْفَنِّ جَاتْ

بوزياي الدراجي

الجزائر في : 2007/06/25م

مقدمة التحقيق

بهذا العمل الماثل أمام القارئ الكريم يكون كتاب **زهر البستان في دولة بني زيان**؛ الذي بقي في الأدراج بين المخطوطات المهملة، ولم يتسنى له الظهور والنشر بثوب يليق به؛ إلاّ في هذه اللحظة؛ مع أنه مهم جداً؛ وبذلك يكون قد بُعِث إلى الحياة؛ بعد سكون طويل في الرفوف المظلمة، وخرج إلى عالم النور والأضواء. فأضحى الآن في متناول القراء والباحثين؛ دون عناء وابتلاء بالنبش البطيء، والسبر في عتمة الأعماق المظلمة.

وكتاب **زهر البستان في دولة بني زيان** هذا؛ يؤرخ **لدولة الجزائر** في أزهى عصورها؛ تلك الدولة التي رسمت حدود **المغرب الأوسط** آنئذ. ومؤلف هذا الكتاب مجهول الهوية؛ وواضح أنه كان من بين الذين خدموا في بلاط السلطان **أبي حمو الثاني**؛ على غرار كُتّاب آخرين مثل: **يحيى بن خلدون** وغيره. ويستدل على هذا من عمق اطلاعه، ودقة وصفه لما يجري في ذلك البلاط من أحداث وآثار.

كما يستشف من خلال سرد صاحب **زهر البستان** للأحداث؛ أنه سبق **يحيى بن خلدون** في التواجد ببلاط **أبي حمو**؛ لأنه أورد في كتابه خبرَ قدوم **يحيى بن خلدون** إلى **تلمسان**؛ بصفته سفيراً لأمير **بجاية** أبي عبد الله الحفصي. وقد حدث هذا ـ بالطبع ـ قبل أن يلتحق **يحيى** بالبلاط **الزياني**. ولكنه ـ فيما يبدو ـ لم يكن في منزلة **يحيى بن خلدون** العلمية.

فقد كان محدود الحصيلة، وشحيح الذخيرة؛ كما أن أسلوبه يميل إلى أساليب الرواة في عرض الأحداث.

أما ناسخ هذه النسخة من مخطوط زهر البستان؛ فَيُدْعَى: **الحبيب بن يخلف بن جلول بن العيد الفرادي**؛ المولود في **غريس**؛ بنواحي **معسكر** الحالية. قال إنه فرغ من انتساخه صبيحة يوم الجمعة؛ الخامس عشر من شهر المحرم، في غرة عام 1235 هـ؛ لصالح **مسلم بن عبد القادر خوجة**؛ ثم لمن شاء الله - بعده - هبة أو شراء. وهكذا؛ فإن أجزاء كتاب **زهر البستان في دولة بني زيان** الأخرى ضاعت؛ كما ضاعت كتب أخرى تعالج الموضوع نفسه. ولعل تتبع آثار الناسخ المذكور، ومن نسخ له؛ يأتي بفائدة.

وكتاب **زهر البستان في تاريخ بني زيان** - كما يبدو من محتواه حتى الآن - يكون صاحبه قد ألفه في أجزاء ثلاثة؛ وما وجد منها حتى الآن هو الجزء الثاني؛ الذي يؤرخ لمرحلة هامة من عهد السلطان **موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان**؛ المدعو **بأبي حمو الثاني**. وقد أشار مؤلف الكتاب في بدية الجزء الثاني إلى الجزء الأول؛ كما أشار في آخر الجزء الثاني ذاته إلى الجزء الثالث. وعليه؛ يمكن الأخذ بهذا؛ حتى ظهور الجزء الثالث الذي قد يشير إلى نهاية الكتاب، أو يحيل القراء إلى جزء رابع إن وجد.

المهم أن هذا الكتاب - حتى وإن فقدت أجزاؤه الأخرى - فقد احتوى على شواهد ونصوص أدبية وشعرية هامة؛ بل ثمة نصوص

كثيرة لم يذكرها صاحب بغية الرواد. بالإضافة إلى أنه اهتم بالتفصيل الصغيرة؛ التي تجاهلها **يحيى بن خلدون**. وجملة القول؛ فهذا الكتاب مهم للغاية؛ أولاً: بسبب ما يحتويه من معلومات تاريخية وآثار أدبية وفكرية، وثانيا بسبب ندرته وعدم وجود نسخ له في مكتبات أخرى.

ويعالج الجزء الثاني من **زهر البستان** الفترة الزمنية المحصورة بين سنتي: 760هـ/1358م ــ 765هـ/1363م. كما يشتمل على أخبار **الدولة الزيانية** بالخصوص، والدول المتواجدة في بلاد المغرب والأندلس في ذلك الوقت عرضاً؛ بالإضافة إلى أخبار القبائل المنتشرة في تلك الديار. كما يشتمل أيضاً على عينات نادرة من النصوص الأدبية: النثرية والشعرية. ويتولى الكتاب أيضاً وصف الاحتفالات الجارية في بلاط السلطان أبي حمو موسى الثاني.

وتوجد النسخة الأصلية من هذا المخطوط **بمكتبة مانشستر بالمملكة المتحدة البريطانية**. **THE JOHN RYLANDS UNIVERSITY LIBRARY OF MANCHESTER**؛ تحت رقم **ARRABIC M^s 283 (796)**؛ وهي نسخة نادرة؛ إذ لا مثيل لها في مكتبات أخرى.

وقد تفضل صهري الدكتور حدادي مليك بمساعدتنا في جلب نسخة منه؛ صورت على ميكرو فيلم؛ وذلك من المكتبة البريطانية المذكورة؛ وعملنا على تحقيقه وعرضه للنشر. ولكن واجهتنا صعوبات كبيرة؛ كبلت الأيدي بعض الوقت، وعطلت سير التحقيق بالسرعة المطلوبة. ومع ذلك؛ فقد انتصرت الإرادة على الموبقات الماثلة في الخط

الرديء للغاية، والأخطاء الإملائية الكثيرة، وحال النسخة البالية. كما أن فقدن نسخ أخرى للمخطوط بكبل يد من يتصدى لتحقيقه. وعليه؛ فقد اقتضى الحال؛ الاعتماد على مصادر أخرى تتناول المواضيع نفسها؛ ليتسنى مقارنتها ومقابلتها بما ورد في زهر البستان؛ وذلك أضعف الإيمان.

وقبل الختام؛ نفيد القراء الكرام؛ أن الكتابة المغربية الظاهرة في هذا المخطوط؛ تميل إلى تليين الهمزة؛ فتحيلها إلى ياء؛ لذا فقد تعترضكم كلمات مثل: شانه؛ عوض شأنه، والقصايد؛ عوض القصائد، ووسايط؛ عوض وسائط. هكذا تمت الكتابة على هذا المنوال؛ فتم تعديل ما أمكن، وترك الباقي لكثرته. كما نفيد القارئ الكريم أيضاً؛ أن كل ما ورد بين الحاصرتين: [....]؛ هو بقلم محقق المخطوط؛ ولا علاقة له بالنص الأصلي الذي كتبه المؤلف أو الناسخ.

وهنا؛ وجب التنبيه أيضاً؛ إلى أن هذا المخطوط يشتمل على أخطاء إملائية؛ تمت الإشارة إلى بعضها في الهوامش؛ حينما تكون قليلة؛ ولكن المحقق تجاز ما كثر وتكرر. وذلك مثل اسم أبي حمو؛ الذي أضاف إليه الناسخ الألف؛ فأضحى: ((حموا))؛ اعتقاداً منه؛ أنها بمثابة ألف الجماعة. ومن بين الأخطاء التي تكررت كثيراً ـ خاصة في القصائد الشعرية ـ هي؛ أن الناسخ أسقط ياء المتكلم، أو ياء النسب في روي الأبيات. كما أن أخطاء عديدة في رسم الكلمات؛ تم إصلاحها؛

دون الإشارة إليها ؛ بسبب كثرة الأمثلة ؛ من ذلك على سبيل المثال ؛ الخلط بين التاء المربوطة والمفتوحة ؛ والألف المقصورة والممدودة.

ولا يفوتني ـ هنا ـ تقديم شكري وامتناني لابن عمِّي بوزياني الطاهر بن يونس ؛ على مساعدته لي في فك طلاسم خط هذا المخطوط.

بوزياني الدراجي

الجزائر في : 2007/05/10م

***

1ظ/ بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما.

ذكر رجوع الخلافة الزيانية بعد دثورها وطلوع شموسها بعد الأفول، وتجديد نورها على يد مولانا السلطان الماجد، الناجد، المعظم، الباسل، العلم، الكامل، المهاب، المنصور، الإمام، الباذل، وحيد العصر، ودراية الفخر، صقر بني زيان، نجل الملوك الأجلة الأعيان؛ أبي حمو[1] موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان. أبقاه الله، واليمن حليف منبره، والإسعاد تلقاء منظره بمنّه.

[1] في الأصل: ((حموا))بالألف؛ وهو خطأ بَيِّن.

اعلم: أنه تقدم لنا في السفر الأول[1] وفاة المولى **أبي سعيد**[2]. وبعد ما شاء الله من الوعيد. ولما توفي **أبو سعيد**؛ خرجت **بنو عبد الواد**[3] فراراً؛ آخذة بكل ناحية، طالبة للبلاد القاصية؛ بعد أن أُخِذ من شيوخهم ووجوههم؛ ما نيّف على سبعمائة. فتنة[4] عظيمة يا لها من فتنة[5]. ثقفهم **أبو عنان**[6] **بفاس**[7] ثقاف من أذاقوه شدة البأس. فجازت فرقة منهم **للبلاد الإفريقية**، وفرقة **للبلاد الأندلسية**، وفرقة **للجريد والزّاب**[8]، وفرقة بين ظهور **زناتة**[1] **والأعراب**. **وأبو عنان** ـ

---

[1] يشير هنا إلى جزء قبل هذا مفقود؛ وهو الجزء الأول منه؛ وبهذه الحال يكون هذا الجزء هو الثاني. كما سيشير فيما بعد إلى جزء ثالث للكتاب مفقود هو الآخر.

[2] أبو سعيد هو السلطان عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان؛ عم أبي حمو موسى الثاني. وقد تولى الحكم في دولة بني زيان ـ بمشاركة أخيه أبي ثابت الزعيم ـ بعد استعادتها من أيدي المرينيين وإخراجهم من تلمسان عاصمة الدولة. تولى أبو سعيد الحكم من عام 749هـ/1348م إلى سنة 755هـ/1352م. عند سقوط الدولة مرة أخرى، ووفاته مع أخيه.

[3] عرف يحيى بن خلدون بني عبد الواد بقوله: ((وهم فخذان: أحدهما بنو عبد الواد. وبهذا الاسم عرف الجميع؛ تغليباً. وأصله عابد الوادي؛ رهبانية عرف بها جدهم من ولد سجيح بن واسين بن يصليتن بن مسري بن زكيا بن ورسيج بن مادغيس الأبتر))... ثم يواصل تعداد الآباء إلى معد بن عدنان. وعندها يكمل قوله: ((والفخذ الثاني هم بنو القاسم؛ من ولد إدريس بن إدريس... فكان القاسم هذا ممن أصحر [بعد سقوط دولة الأدارسة] وانضاف إلى قبيل بني عبد الواد؛ فأكرموا نزله ومثواه... فتزوج فيهم ونسل بينهم ذرية كثيرين)). أنظر بغية الرواد، ج: 1، ص ص: 186 ـ 190.

[4] في الأصل: ((فتية))؛ وهو تحريف.

[5] في الأصل فتية.

[6] هو فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق؛ يكنى أبا عنان. حكم دولة بني مرين من 749هـ/1348م إلى 759هـ/1358م.

[7] مدينة عظيمة الشأن. عاصمة المغرب الأقصى منذ الأدارسة. قد يكون أول من شيد قسمها الواقع على الضفة اليمنى الشرقية للنهر؛ هو إدريس بن عبد الله؛ بعد سنة 172هـ/789م بعدة أشهر. أما قسمها الثاني الواقع على الضفة اليسرى فبناه ابنه إدريس الثاني سنة 182هـ/808م. ثم اتخذها عاصمة لدولته بالمغرب الأقصى. ولمّا سقطت الدولة الإدريسية؛ تنافس عليها بنو يفرن ومغراوة. وبقيام الدولة المرينية أضحت فاس عاصمة لها.

[8] الأندلس: نسبة إلى الفندال أو الوندال (وندلس أو فندلس)؛ أطلق هذا الاسم على جنوب إسبانيا بالتحديد. وظهر ذلك منذ الفتح الإسلامي لتلك الديار سنة 92هـ/710م. وبعد سقوط الدولة الأموية في المشرق لجأ إلى الأندلس عبد الرحمن الداخل الملقب بصقر قريش؛ حيث أسس بها الدولة الأموية الثانية سنة 133هـ/750م. والجريد هي منطقة في الجنوب التونسي اشتهرت بزراعة النخيل؛ وهي شبيهة بمنطقة الزاب في الجزائر. وأما الزّاب: فهي منطقة فلاحية واسعة؛ تمتد من

لِمَا لقي من بأسهم ـ في إرجاف؛ طالباً عليهم طلبة المخاف؛ يبحث عليهم في جميع الأقطار، ويبعث النقباء ـ في طلبهم ـ للأمصار، ويطلبهم في الشّاسع والدّاني من البلاد، ويرتادهم ارتياد الماء للوارد. وكان ـ في ذلك ـ على علم من رجوع خلافتهم، وتجديد سلطانهم، وأنافتهم؛ وأنهم سينتقمون من قبيله، ويسعون في خرابه وتنكيله. ولم يزل الطلب على ملوكهم، وأبناء أشرافهم، ووسايط سلوكهم. وأكثر البحث على السلطان المقيم[2] /2و/**دولة بني زيان**. ولذلك كان احتناقه عليهم شديداً، وطلبه عليهم طلباً وكيداً. ومع ذلك؛ لم يقع على أحد منهم؛ مع كثرة سؤاله عنهم. فكان المستوطن **تونس**[3]؛ من أبناء ملوكهم، وواسطة سلوكها[4]؛ مولانا الخليفة، الإمام، المهاب، المنصور، الضرغام؛ **أبو**

جبال أولاد نايل غرباً وحتى السفوح الشرقية لجبل أوراس. وينقسم الزاب حالياً إلى: زاب شرقي وقاعدته مدينة سيدي عقبة، وزاب غربي وقاعدته مدينة طولقة. وعاصمة الإثنتين هي مدينة بسكرة. وقد ذكر أبو حمو اسم الزاب مرات عديدة في قصائده؛ منها قصيدة ((جرت أدمعي))؛ حين قال: ((وجئت لأرض الزاب تذرف أدمعي))، ثم قال: ((أنا الملك الزابي ولست بـزابي)).

[1] زناتة: قبيلة بترية أمازيغية عظيمة. يرى بعض المؤرخين أنهم ينحدرون عن شخص يسمى (زانا أو جانا أو شانا). وتتفرع زناتة إلى فروع كثيرة لا تحصى؛ بحيث أضحى كل فرع منها يعادل قبيلة أو أكثر. وحتى عبد الرحمن بن خلدون فإنه يضع زناتة في مرتبة جيل؛ أي أكثر من مرتبة قبيلة بكثير. ومواطن زناتة منتشرة عبر بلدان المغرب كلها؛ إلاّ أنها اختصت بالمغرب الأوسط. وأهم ما تميزت به زناتة هي روح البداوة، وحب الحرية، والانطلاق في البراري؛ مثلها مثل قبائل الأعراب.

[2] أي الذي سيقيم....

[3] تونس: مدينة قديمة؛ ربما عادت نواتها الأولى إلى الفينيقيين؛ كما يعتقد حسن حسني عبد الوهاب؛ الذي يقول أنها كانت تسمى لديهم Thunes . غير أن الثابت من النصوص أن Tunuza أو Tuniza هو الاسم القديم لمدينة القالة الجزائرية. أما الوزان فيرى أنها كانت تسمى أيام الرومان تونيوتوم. ولما قدم حسان بن النعمان سنة 69هـ/688م؛ في جيش الفاتحين المسلمين؛ اتخذ من موقع تونس قاعدة عسكرية مجاورة لقرطاج. وأصبحت ـ مع الوقت ـ من أهم حواضر المغرب؛ خاصة إفريقية.

[4] يشير ـ بإيحاء ـ إلى كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك"؛ الذي ألفه أبو حمو موسى الثاني.

حمو[1]؛ إمام دهرنا، ووحيد عصرنا. أقام بها خمسة أعوام متوالية؛ إلى أن أراد الله أن تظهر رؤيته العالية، وأن تخمد به نار الفتنة الحامية.

قال الراوي: سمعت من تحدث بظهور مولانا السلطان، وما يكون له من الرفعة والشأن. قال اتفق أن **بتونس** علماء بالحدثان[2]، وآخرين يتحدثون بالجفران.[3] أما أصحاب الجفرانات فأجمعوا على رجوع الدولة **لبني عبد الواد**؛ وأما الحدثانيون فيقولون: في ذلك الزمن؛ فرق الوقت أو كاد. فيروى أن المولى **أبو حمو**[4]؛ مرّ بالحدثاني المذكور؛ فجعل يتوسمه ومن معه من الجمهور؛ ثم سأل: من هؤلاء الفرسان؟ فأُجيبَ: **بنو عبد الواد** الشجعان. وقال لمسئوله[5]: هذا ملك هذه العصابة، وصاحب **المغرب الأوسط**[6] من غير إرابة[7]؛ فانتقل الحديث من الخاص إلى العام؛ وتفرع على ذلك كثير الكلام. ثم أن الحدثاني طلب ـ على حقيقة علمه ـ وما يقع به من معرفة حكمه. فأتاه يوماً، وجالسه، وأخذ بالتلطف معه، وآنسه، وتلطف له في السؤال

---

[1] في الأصل: ((أبوا حمـوا))؛ وهو خطأ.

[2] الحدثان: جمع حدث؛ والحدثان هي حوادث الدهر. وقد اصطلح على إطلاق هذه الكلمة على كل عمل أو خبر له علاقة باستكشاف حوادث الغيب؛ من أعمال: الزيارجية وخط الرمل والتنجيم وغيره. وللتوسع في فهم عمل الحدثان يستحسن الرجوع إلى مقدمة عبد الرحمن بن خلدون: ((فصل في حدثان الدول والأمم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجَفْر)). ج: 2، ص ص: 929 ـ 950.

[3] الجَفْر: ضرب من التنجيم؛ يسمى أيضاً علم الحروف. ويدّعي أصحابه أنهم يعلمون الغيب.

[4] في الأصل: ((حموا))؛ وهو خطأ.

[5] أي: للذي كان يسأله.

[6] قسم العرب المسلمون البلاد التي تقع غرب مصر إلى ثلاثة أجزاء: المغرب الأدنى أو إفريقية، والمغرب الأوسط الذي يليه؛ وهو موقع الجزائر الحالية، ثم المغرب الأقصى؛ الذي ينتهي بالمحيط الأطلسي.

[7] أي بدون ريب. يقولون: راب ريباً، وأراب إرابة: أوقعه في الريب.

عن اسمه؛ ليخبره بما ظهر له في علمه. وكان المولى **أبو حمو**[1] - مع غربته - مهاباً؛ جعل الناموس[2] ديداناً[3]، واتخذه صواباً. فقال له الحدثاني الحدثاني المذكور: ما اسمك؟ قال: **موسى**؛ فكبر ثلاثاً. وقال: ستكون ملكاً رئيساً؛ ثم قال: ما كنيتك؟ قال: **أبو حمو**[4]؛ فقال: أنت الملك الذي **بالمغرب** يسمو. ثم سأله؛ هل له من ولد؟ قال: نعم؛ واحد من العدد؛ اسمه **عبد الرحمن**؛ فقال: يملك **المغرب**، وتسود به **/2ظ/ بنو زيان**[5]. فاستغرب الحدثاني من شأنه، وأشاع بما يكون من سلطانه. فاتصل الخبر بالجفراني؛ فقصد لحينه الحدثاني. وقال له: سمعت منك كيت وكيت. قال: نعم؛ هو أغرب ما رأيت..**!!** فقال الجفراني له: إن توفرت شروطه المذكورة؛ فله تكون الخلافة المشهورة. ثم قال: حقق نظرك في أمره؛ لعلك تقع على بعض سرِّه. فقال الحدثاني: والله إنه لَهُوَ؛ عيناً واسماً؛ وقد قطعت بذلك حكماً وعلماً. فقال الجفراني لمجالسيه من جماعته؛ حين اتضح له الأمر بنصاعته: ومجرى الماء في العيون؛ العالم بما تختلج به ضمائر الظنون: أنه - بحق - مثل ما أنكم

---

[1] في الأصل: ((حموا)).
[2] الناموس: صفة في كل من يجعل الاحتيال والمكر والخداع دأبه وعادته.
[3] الدَّيْدَن والدَّيْدان: الدأب و العادة.
[4] في الأصل: ((حموا))؛ وواضح أن الناسخ واظب على كتابة هذه الكلمة بالألف؛ اعتقاداً منه أن واو ((حمو))؛ هي واو جماعة؛ فكتب الألف بجانبها؛ وهذا خطأ؛ وسيقل التنبيه إلى ذلك فيما سيأتي.
[5] بنو زيان: نسبة إلى زيان بن ثابت بن محمد بن سدوكسن بن أطاع الله بن علي بن يمل بن يزجن (يزكن أو يزجن أو يزقن) بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن إدريس الثاني. وبذلك ينسبهم النسابة إلى الفرع الثاني من بني عبد الواد؛ المنتسبين إلى القاسم. أنظر بغية الرواد، ج: 1، ص: 190.

تنطقون. فشاع الخبر بقولهم عند أهل التوحيد[1]، واتصل الخبر بالقريب والبعيد. ثم اتفقا على واحدة بعد الأمارات؛ إن كانت فهي خاتمة العلامات. وهو أنه يخرج من **الزّاب**؛ في جماعته من **الأعراب**. وما أشبه هذه الكيفية الناشئة؛ بمسألة **عبد الرحمن بن معاوية**[2]. فسبحان من دبَّر أمر المخلوقين من غير تدبير. فقال كن للحظة، وكن لأجل وتقدير؛ الإله الخالق والآمر؛ تبارك الله رب العالمين؛ يورث أرضه من يشاء من عباده الصالحين.[3]

***

[1] وهم بنو حفص؛ ورثة الموحدين.

[2] وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان؛ عرف بالداخل؛ لدخوله الأندلس، وعرف أيضاً بصقر قريش. ويقال أن هذا اللقب أطلقه عليه خصمه وعدوّه أبو جعفر المنصور العباسي؛ بسبب حزمه وقوة إرادته؛ إذ هرب ـ أمام العباسيين ـ من المشرق إلى بلاد المغرب؛ أين أسس دولة الأمويين الثانية في تلك الديار. فشبه الكاتب أبا حمو به.

[3] تأتي ـ بعد هذا ـ حكاية طويلة تخص عبد الرحمن بن معاوية بن هشام. ولما كانت هذه الرواية خارجة عن صلب الموضوع؛ وفيها استطراد عريض لا ضرورة له؛ قد يشتت ذهن القارئ. لذا فقد تم نقل هذا الفصل إلى آخر الكتاب؛ كملحق يحمل رقم: 1. وذلك من أجل المحافظة التسلسل المنطقي لخبر أبي حمو؛ وحتى يتسنى للقارئ الكريم أن يتابع موضوع دولة بني زيان بانسجام وتركيز؛ ودون انقطاع.

ذكر خروجه[1]
من البلاد منفرداً مثل سلفه[2] وإتيانه
بعد تطوافه في البلاد

قد تقدم ـ في السِّفْرِ الأول ـ دخول **الجزاير**[3] على أهلها عنوة، وما لقي أهلها من روعة السطوة وذلها؛ وأن **بني عبد الواد**؛[4] أخذ كل أحد في البلاد طريقه، وترك أهله وصديقه. فكان المولى **أبو حمو** في جملة من خرج، وعاين المشقة والحرج[5]. فدخل **تونس**؛ في السادس شوال من عام ثلاثة وخمسين بعد سبعماية[6]. أقام بها خمسة أعوام؛

---

[1] خروج أبي حمو موسى بن يوسف.

[2] أي عبد الرحمن بن معاوية. أنظر ملحق 1؛ في آخر الكتاب.

[3] الجزائر: مدينة أزلية كانت عبارة عن محطة تجارية ساحلية للفينيقيين اسمها إيكوسيم؛ ثم أعاد الرومان بناءها. وسموها بدورهم Icosium . ثم أعاد بلكين بن زيري بناء المدينة؛ حيث عرفت منذئذ بـ: جزائر بني مزغنة. نسبة إلى قبيلة من صنهاجة تسمى بهذا الاسم.

[4] يشير هنا إلى الموقعة التي حدثت بنواحي الشلف في آخر ربيع الثاني من عام 753هـ/1352م؛ أين انكسر جيش بني عبد الواد؛ فانهزم قائدهم السلطان أبو ثابت بن عبد الرحمن إلى الجزائر؛ ثم خرج منها هارباً نحو شرق البلاد؛ فسقط أسيراً بين يدي أنصار المرينيين. وهذا الخبر موجود في بغية الرواد، ج: 1، ص ص: 246 ـ 247. وفي العبر، مج: 7، ص ص: 253. 599 ـ 600.

[5] ثمة خلاف حول تفاصيل الكيفية التي وصل بها أبو حمو إلى تونس؛ فبينما يكتفي عبد الرحمن بن خلدون بالقول: ((ولما تقبض على أبي ثابت بوطن بجاية؛ أغفل أمر أبي حمو من بينهم، ونَبَتْ عنه العيون؛ فنجا إلى تونس)). (العبر، مج: 7، ص: 255). يكون صاحب زهر البستان (في الجزء الثاني منه) قد اكتفى بالانتقال مباشرة إلى وُجودِهِ في تونس؛ دون توضيح الطريقة التي وصل بها إلى هذه الديار؛ وفي المقابل؛ يتضح أن يحيى بن خلدون تكفل بسرد قصة مفادها أن أبا حمو كان رفقة عمه السلطان أبي ثابت؛ حين انهزم من الجزائر؛ ولما قبض عليه؛ ادعى أنه هو السلطان؛ كي يفدي عمه؛ ولكن المرينيين اكتشفوا الحقيقة بعد حين؛ فأطلقوا سراح أبي حمو، وقتلوا عمه؛ فلما سرحوه توجه إلى تونس. أنظر هذه الحكاية التي يكون قد انفرد بها يحيى بن خلدون؛ هذا؛ في حالة ما إذا لم يكن صاحب زهر البستان قد ذكرها في الجزء الأول المفقود. أنظر بغية الرواد، ج: 2، ص ص: 50 ـ 51.

[6] 1352م

يتحدث في ظهور الأيام، وينتظر وقوع الحدثان المذكور في ابتداء الكلام؛ إلى أن قرب الزمان، وحان ذلك الأوان؛ تجمعت عليه الأفلال[1] من عشيرته، والآحاد من قبيلته. ثم جعل يتلطف بالتجسس على بلاده، ويسأل عن حال **أبي عنان** في سيره واقتصاده. ولم يزل عن قبيله سائلاً؛ ولِمَا أصابهم: ثكلاً وإجلاء؛ إلى أن أراد الله إظهار خلافته العلية، وارتفاع الرؤية الربانية السنية؛ التي أبرز **/5ظ/** الله لها النصر؛ من مكنون غيبه، وسنى لها الفتح المبين وأيدها؛ برعيه على يد الملك السعيد، الهمام، الأحد المجيد **أبي حمو**؛ وذلك في أوائل رجب الفرد؛ من عام ثمانية وخمسين [وسبعمائة][2]؛ الضابط للتاريخ المبين. خرج من **تونس** في التاريخ المذكور، وأقام بظاهرها شهراً؛ فحاول إثر[3] الظهور؛ ثم عاد إلى **تونس**، ونزل **بالصعترية** من ظاهر البلد؛ أقام بها خمسة عشر يوماً من العدد؛ ثم ارتحل قاصداً **للقيروان**؛ ومنها إلى **قفصة**[4]؛ وما يليها من البلدان؛ ومنها عاملاً على على **توزر**؛ إلى **نفطة**.[5] قد اعتد لها، وتيسر. عمل بمن معه على

---

[1] الفَلّ جَمْعُهُ فُلُول وفِلال: ما ندر عن الشيء، والفلال: الجماعة، والمنهزمون.

[2] 1356م

[3] هكذا.

[4] القيروان: أول مدينة إسلامية في بلاد المغرب. شيدها عقبة بن نافع الفهري في منتصف القرن الأول للهجرة. أما قفصة فهي مدينة أزلية من أيام الرومان؛ ويبدو أنها وجدت قبلهم بكثير في شكل تجمع سكاني أمازيغي.

[5] توزر مدينة أزلية من أيام الرومان؛ إذ سموها آنئذ توزورس؛ تقع في منطقة الجريد بإفريقية. جنوب القطر التونسي. وهي الآن تابعة لولاية قفصة. وتتميز بكثرة نخيلها. أما نفطة فقديمة أيضاً؛ إذ سماها الرومان نبتة؛ وتقع في الجنوب التونسي؛ وهي كثيرة المياه.

قتالها [1]، وتحدث مع **أولاد أبي الليل**[2] في حربها ونزالها. فلما حلّ بجهاتها؛ أرجف أهلها، وشتت شملها؛ قاتلها قتالاً شديداً؛ فأذاق أهلها وبالاً وتنكيلاً. أخذها عنوة؛ فأظهر في فتحها سطوة؛ فأخذ البلد؛ ومنعت قصبتها وتعذرت؛ لامتناعها. طلبها[3]؛ فشدّ عليها بالقتال؛ فصالحوه على شيء من المال؛ فكانت أول فتوحاته، وباكورة ما وهب الله له من ممنوحاته[4].

ولما سمعت **الأعراب ورياح**[5] ما فعله المولى **أبو حمو بنفطة**، وهذا الفتح المتاح؛ تاقت نفوسهم لخدمته، وطلبوا الدخول في طاعته وحرمته؛ فبعثوا له ليقدم عليهم، وأن يسير ـ بمن معه ـ إليهم؛ ليدخلوا تحت طاعته، وينتظموا في سلك جماعته؛ فأسعفهم بما طلبوه منه[6]؛

---

[1] المقصود هنا هي نفطة.

[2] وهم من عرب بني سليم بن منصور بن عِكْرِمَة بن خَصَفَة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان: وهي قبيلة عربية كبيرة؛ لها تفرعات وعشائر كثيرة. كانت منازلهم بنجد. انتقلت بعض عشائرهم إلى بلاد المغرب ـ مع بني هلال بن عامر بن صعصعة ـ حيث قاسموهم البلاد وزاحموهم في النفوذ والسلطان؛ غير أن معظمهم بقي في برقة وإفريقية.

[3] في الأصل: ((طلبتها))؛ وهو تحريف.

[4] هذه أقوال صاحب: زهر البستان؛ أما يحيى بن خلدون وأخوه عبد الرحمن؛ فقالا أن أبا حمو ذهب إلى قفصة وتوزر ونفطة؛ وبلدان بإفريقية أخرى رفقة السلطان الحفصي أبي إسحاق؛ إثر غزو جيش أبي عنان تونس. أنظر بغية الرواد، ج: 2، ص ص: 55 ـ 56. والعبر، مج: 7، ص ص: 626.

[5] في الأصل: ((الأعراب رياح))؛ بدون واو العطف.أما رِيَاح: فهم قبيلة من بني هلال؛ وفيهم يقول يقول صاحب العبر: ((هذا القبيل من أعَزِّ قبائل هلال وأكثرهم جمعاً عند دخولهم إفريقية؛ وهم ـ فيما ذكر الكلبي ـ رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر...والرئاسة على رِياح في هذه البطون كلها لمرداس، وكانت عند دخولهم إفريقية في صُنْبُر منهم، ثم صارت للدواودة أبناء داود بن مرداس بن رياح... وامتاز الدواودة بملك ضواحي قسنطينة وبجاية ـ من التلول ـ ومجالات الزّاب وريغ وواركلا وما وراءها ـ من القفار ـ في بلاد القبلة)). مج: 6، ص ص: 69 ـ 72.

[6] في الأصل: ((منهم))؛ وهو تحريف.

ووفد عليهم؛ فبادروه لما سمعوا عنه. فتوجه إلى **بلاد رياح**[1]؛ لما في ذلك من الخير والنجاح. فعندما حلّ ببلادهم؛ أعطوه صفقة أيديهم؛ على حمايته، وإنجادهم؛ ثم ارتحل معهم إلى **تبسا**[2]، ثم إلى **مسكيانة**[3]؛ وبها سما وترتب به ذروة المكانة. في هذا العام؛ استعمل **أبو عنان** الحركة للبلاد الشرقية، وأظهر فيها قوة عزته القوية؛ فكانت له حركة شهيرة؛ إلاَّ أنها كانت الأخيرة. أعد لها الأعداد، وحشد لها الأحشاد، واحتفل /6و/ بالرماة **والأغزاز**؛[4] ولم يترك أحداً **بالمغرب؛** ولا بهذه **الأحواز**[5]؛ عاملاً على **البلاد الإفريقية**؛ ليزيل منها آثار **أهل التوحيد**[6]، وأن يصيرها في[7] بنيه إلى يوم الوعيد. فلم يزل ـ من حين ارتحاله ـ عاملاً بالمحال[8]، حاشداً في جرته الحشود والأبطال؛ إلى أن حلّ

---

[1] تتنقل قبيلة رياح الهلالية في الربوع الممتدة بين القيروان والجريد؛ إلى بلاد الزاب وورقلة ثم قسنطينة وبجاية والمسيلة.

[2] تبسة: مدينة أزلية قريبة من نهر مجردة؛ كانت عبارة عن تجمع سكاني لأهل البلاد الأصليين؛ ثم بناها الرومان بشكل أضحت تضاهي فيه قرطاج؛ وسموها Theveste. ويقول عنها الوزان: ((مدينة عتيقة حصينة بناها الرومان في تخوم نوميديا على بعد مائتي ميل جنوب البحر المتوسط؛ تحيط بها أسوار عالية، متينة، سميكة. مشيدة بحجر ضخم منحوت؛ شبيه بحجر الكوليزي في روما.ولم أرَ أسواراً من هذا الشكل؛ لا في إفريقيا كلها، ولا في أوروبا)). وصف إفريقيا، ج: 2، ص: 63.

[3] مسكيانة: مدينة صغيرة قريبة من تبسة؛ قال عنها البكري: ((قرية مسكيانة وهي على نهر)). وذلك النهر ـ كما هو معروف الآن ـ هو واد ملاق. أنظر المغرب، ص: 50. وفي مسكيانة هذه جرت المعركة الأولى بين الفاتحين المسلمين ـ بقيادة حسان بن نعمان ـ والكاهنة؛ وهي المعركة التي انتصرت فيها هذه الأخيرة في بدء الأمر.

[4] الغز: هم فئة من الترك؛ اشتهروا بدقة الرماية.

[5] الحوز: الموضع إذا حدد بشيء ما. والحوزة: الناحية؛ وهو ما يقصده هنا. وفي المغرب الأقصى توجد ناحية تسمى الحوز؛ تابعة لمراكش.

[6] بنو أبي حفص.

[7] في الأصل: ((من)).

[8] المحال؛ مفردها المحلة: اسم يطلق في بلاد المغرب على المعسكر المؤقت.

بالجهات **القسطنطينية**[1] ؛ فنزلها ؛ ولم يقتصر على حصار البلد ؛ ورأى الفرصة فانتهزها وفضلها ؛ فأضرم عليها ناراً بحدته ، وأظهر غاية قوته. فاتفق أن غدر أهلها بسلطانهم ؛ فعاقبهم الله بخذلانهم. فعندما أيقن صاحبها بغدر أهل بلاده ؛ خدم على رأسه ، وعلى أهله وولده ؛ وأسلم أهل البلاد إلى السبا[2] والجلاء ؛ ولقوا من العدو أليم البلاء. وارتحل[3] يريد **تونس** ؛ **والأعراب** بين يديه جافلة ؛ وهو على حنق ؛ في في طلبها ؛ وراجياً أن يأخذ بثأر أبيه[4] في عربها. فلما قرب من **تبسا** ؛ البلد المذكور ؛ وتعرضت له **الأعراب** ؛ بما حشدت من الحشد الموفور. فعندها ؛ علم **بنو مرين**[5] ؛ أن **الأعراب** عولت عليهم ، والإمداد قد تسيرت إليهم. رجفت قلوبهم رعباً ، وخافوا أن تكون أموالهم **للأعراب** نهباً. فعندما ارتحل[6] يريد القدوم على البلد **تبسا** ؛ نكص جيشه على عقبه ؛ كأنه لم يكن به ؛ تياساً[7]. وصاحوا بصوت واحد: الرجوع

---

[1] أي ناحية قسطنطينة. وقسنطينة: مدينة أزلية بناها قدماء المغاربة في العصر الفينيقي؛ وكانت تسمى Cirta سيرتا. وأضحت ـ بعد تشييدها ـ عاصمة لمملكة الإغليد ماسينيسا. وفي العصر الروماني. دمرها الثوار المغاربة؛ ولكن الأمبراطور الروماني قسطنطين أعاد بناءها ـ في بداية القرن الرابع للميلاد ـ ومنحها اسمه.

[2] السَّبيُ والسِّباءُ: الأسر.

[3] أبو عنان.

[4] أبو الحسن.

[5] بنو مرين: قبيلة زناتية؛ وهم إخوة من جهة؛ وأعداء من جهة أخرى؛ لبني عبد الواد. وجدهم مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج بن فاتن بن يدر؛ ويصل تسلسل آبائهم إلى زحيك بن واسين؛ الجد المشترك مع بني عبد الواد.

[6] أبو عنان.

[7] أي التشبه بالتيس في الفحولة. يقولون: ((في فلان تيِّسية أو تيوسِيَّة)).

للبلاد وللإخوان؛ ولا حاجة لنا بهذه الأوطان.[1] فكان يتقدم بعلاماته[2] مستظرفاً متعجباً؛ وساقاته[3] يلوي[4] عنه تنكباً؛[5] إلى أن تركوه تركوه فريداً، وخلفوه تحت العلامات وحيداً. وعندما عاين الخلاف الذي لا بد منه؛ علم أن السعود فرت عنه. فعاد نكصاً على عقبه؛ طاوي الأحشاء على أمسه؛ يسوم نفسه في كل مسألة، وينتظر الموت في كل مجهلة؛[6] فعاد تبعاً؛ بعد أن كان متبوعاً؛ وبالنسبة وضيعاً؛ بعد أن كان رفيعاً.[7]

---

[1] سرد عبد الرحمن قصة عصيان جيش أبي عنان، وانفضاضه عنه. فقال: ((وضاق ذرع العساكر بشأن النفقات، والإبعاد في المذاهب، وارتكاب الخطر في دخول إفريقية؛ فتمشت رجالاتهم في الانفضاض عن السلطان.وداخلوا الوزير فارس بن ميمون؛ فوافقهم عليه؛ وأذِنَ المشيخة والنقباء لمن تحت أيديهم من القبائل في اللحاق بالمغرب؛ حتى تفرّدوا. ونمى الخبر إلى السلطان؛ أنهم توامروا في قتله. ونصب إدريس بن عثمان بن أبي العلاء للأمر؛ فأسرها بنفسه، ولم يبدها لهم. ورأى قلة العساكر، وعلم بانفضاضهم؛ فكرّ راجعاً إلى المغرب)). العبر، مج: 7، ص: 619.

[2] أي بأعلامه.

[3] الساقة: هي مؤخرة الجيش. جمعها بقوله ((ساقاته)).

[4] هكذا. وألوى: معناها: خالف به عن جهته.

[5] نكب عن الطريق: عدل عنها وتنحى.

[6] المجهل والمجهلة؛ جمعها مجاهل: المفازة الخطرة.

[7] العبارات السابقة غامضة؛ لذا أضع بين أيدي القارئ الفكرة كما كتبها عبد الرحمن بن خلدون: ((اعتزم [أبو عنان] على الحركة إلى إفريقية. واضطرب معسكره بساحة البلد الجديد؛ وبعث في الحشد إلى مراكش. وأوعز إلى بني مرين؛ فأخذ الأهبة للسفر... سنة ثمان [وخمسين وسبعمائة]. ثم ارتحل من فاس، وسرح في مقدمته وزيره فارس بن ميمون في العساكر؛ وسار في الساقة على التعبية..... ولما أطلت راياته، وماجت الأرض بعساكره؛ ذعر أهل البلد، وألقوا بأيديهم إلى الإذعان... ونظر السلطان بعد ذلك في أحوال الوطن؛ وقبض أيدي العرب من رياح عن الإتاوة ـ التي يسمونها الخفارة ـ فارتابوا؛ وطالبهم بالرهن؛ فأجمعوا على الخلاف. وأرهف لهم حده..... وضاق ذرع العساكر بشأن النفقات، والإبعاد في المذاهب، وارتكاب الخطر في دخول إفريقية؛ فتمشت رجالاتهم في الانفضاض عن السلطان....... ورأى قلة العساكر، وعلم بانفضاضهم؛ فكر راجعاً إلى المغرب)). العبر، مج: 7، ص ص: 617 ـ 619.

هذا ؛ والمولى **أبو حمو** ـ في عزته ـ منه على مسيرة نصف يوم ؛ يحوم على الوثوب على بلاده في جوم[1] ؛ /6ظ/ فكان ذلك اليوم ـ على المولى **أبي حمو** ـ يوم فتح، وعلى **أبي عنان** ؛ يوم شؤم ونوح. وعندما أخبر المولى **أبي حمو** برجوعه، والسبب الذي آل به ؛ من فساد جموعه ؛ اقتفاه ؛ تابعاً أثره، راجياً أن ينال وطره ؛ لكنه لم يقظ له بخلافه في ذلك العام، ولا حكمت الأقدار أن يدور بينهما كاس حمام. ثم إن المولى **أبو حمو** ؛ لم يزل في آثاره إلى **ميلة**[2] ؛ يطلب التوصل إليه بقوة، أو حيلة. ولما لم يلتحق به ؛ أقام على **ميلة ؛** عاملاً على حصارها ؛ طالباً أن يفتك بحماتها[3] وأنصارها. فنزلها وشد عليها بالقتال، وذوَّق من فيها أليم النكال ؛ ثم دخلها عنوة[4]، وأظهر في أهلها أهلها سطوة. أخذ من وجد فيها من **بني مرين**. وتمكن من البلد أتم تمكين ؛ دخلها على **ابن عم بن خلوف الياباني**[5] ؛ فأخذه غرة من من غير توان[6] ؛ ثم حمل حصتها في حكم الإرسال.[7] ثم ترحل إلى

---

[1] حام حوماً على الشيء: دار به.وجام جوماً طلب شيئاً خيراً أو شراً .

[2] ميلة: مدينة أزلية كانت تسمى أيام الرومان Milev. تبعد عن قسنطينة بـ 50كيلومتر تقريباً . ما زال بها السور الذي بناه الأمبراطور الروماني جيستينيان سنة 548م تقريباً . وفي ميلة ـ هذه ـ تزوج أبو حمو بأم أولاده: المنتصر، وأبو زيان محمد، وعمر الملقب بعمير.

[3] في الأصل: ((حمايتها))؛ وهو تحريف.

[4] جاء في بغية الرواد أنه فتحها في آخر شوال من عام 758هـ/1356م.

[5] يسميه عبد الرحمن بن خلدون: مخلوف الياباني. (أنظر العبر، مج: 7، ص: 618.). وعليه؛ فهو ابن عم الحاج منصور بن مخلوف الياباني؛ أحد شيوخ بني مرين ومن أهل الشورى في دولتهم؛ ولاه أبو عنان على قسنطينة. أما يحيى بن خلدون فسماه: ((منصور بن الخلوف الياباني)). أنظر بغية الرواد؛ ج: 2، ص: 183.

[6] في الأصل: ((تواني)).

[7] هكذا.

جبل بني ثابت[1] ؛ حتى نزل بقربه ـ وقلبه جذلان ـ بالمساء. وفي هذا الموضع طلبته **بنو كعب**[2] في الوداع ؛ لما رأوه إلى **المغرب** شديد الانتزاع ؛ فودعهم، ورجعوا إلى بلادهم. وبقي مع **رياح** ؛ على ما هم عليه من اجتهادهم. ثم أرسل سرية إلى الجبل ؛ فقاتلوا، وشدّوا على أهله ؛ وعاجلوه ؛ فأخذوه عنوة ؛ وأظهروا فيه النجدة، والسطوة ؛ فوجدوا فيه ثمانين فارساً من **بني مرين** ؛ فأتوا بهم إلى المولى **أبى حمو** ؛ فألحقهم بالآخرين. ثم بعث بسرية إلى **بني وران**[3] **؛** يطلب بمن فيها ـ من **بني مرين** ـ بالثأر. ذكر له أن بها **الوزجوني** ؛ قايداً ؛ يدعي أنه بطلاً مجالداً ؛ فلم تقتصر السرية ؛ أن نزلت عليه، وتبادرت ـ من حينها ـ إليه ؛ فما لبث المذكور ؛ أن برز إليهم، وقاتلهم، وتعرضهم، وجابههم ؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً ؛ فأذاقوه وبالاً وتنكيداً ؛ فانهزم **الوزجوني** المذكور، وفرّ بمن معه، ولقيه الفتور ؛ فقتل من التحق به قتلاً ذريعاً ؛ وقسموهم نصفين : أسيراً /7و/ وصريعاً. ودخل البلد بالسيف ؛ فمات من قدر الله عليه بالحتف ؛[4] ثم حرقوا **بني وران ؛** وتركوها ـ بعد العمارة ـ جمرة

---

[1] جبل بني ثابت: هو الجبل المطل على القل. وسكانه من قبيلة كتامة. وفيهم يقول عبد الرحمن بن خلدون: ((ومن بطون كتامة وقبائلهم أهل الجبل المطل على القل ـ ما بينه وبين قسنطينة ـ المعروف برئاسة أولاد ثابت بن حسن بن أبي بكر؛ من تليلان)). العبر، مج: 6، ص: 306.

[2] هم بنو كعب أو (الكعوب) من بني سليم؛ وبالتحديد من عوف بن بُهثة بن سليم.

[3] في بغية الرواد، والعبر: "بنو ورا".وهم قبيلة من زناتة عموماً؛ وربما مغراوة على الخصوص؛ يتواجدون في أنحاء متعددة من بلاد المغرب. وبذلك ينتسب أهل هذه القرية الواقعة بين قسنطينة وبجاية إلى بني وارا هؤلاء. أنظر العبر، مج: 7، ص ص: 100 ـ 101.

[4] الحتف جمعه حتوف: الموت.

نـار. وفي هـذا الموضـع ؛ وصـل إليـه إرسـال **بـني عامـر**[1] ؛ يطلبونـه في المسير إليهـم، ويرغبـون منـه الوفـود عليهـم، ويحضونـه عـلى الالتحـاق ببـلاده، وبالنصرة عـلى أعدائـه وحسـاده، وأن يبلغونـه غايـة مطلبـه ومـراده ؛ فتوعدهـم أن يكـون لقـاؤه لهـم في أطـراف البـلاد، وإسعافهـم بنيـل المـراد ؛ وبعدمـا فعلـت سرايـاه هـذه الفعـال، وأدرك في أعدائـه الآمـال. فقفـل عـلى طريقـه عايـداً، وبمـا عقـد بـه مـع **بـني عامـر** لاهجـاً[2]. وهجسـت[3] نفسـه بالحلـول **ببـني عامـر**، والإشخـاص[4] معهـم ؛ إذ هـم في جملـة قبيلـه المشاهيـر[5]، وهـم عـرب بـلاده، وخدمـة آبائـه وأجـداده. فكـان لحاقـه بهـم **بباريكـا**[6] ؛ مـن البـلاد. فشـد اللـه عضـده بحمايتهـم أي اشتـداد. وكـان ـ يومئـذ ـ شيـخ **بـني عامـر** ؛ **أبـو صالـح سغـير**[7] **بـن عامـر ؛** أمـيراً مـن الأمـراء،

---

[1] بنو عامر: قبيلة عربية تنتمي إلى بني هلال؛ وبالتحديد إلى قبيلة زغبة منهم. مواطنهم الأولى كانت مجاورة لإخوتهم بني يزيد جنوب وطن حمزة (البويرة حالياً). ويقول عبد الرحمن بن خلدون: أن يغمراسن بن زيان هو الذي نقلهم إلى موطنهم الجديد؛ جنوب تلمسان: ((نقلهم يغمراسن إلى مواطنهم هذه لمحاذاة تلمسان؛ ليكونوا حجزاً بين المعقل [وهم قبائل عربية أيضاً دخلوا المغرب مع بني هلال] وبين وطنها. استقروا هنالك يتقلبون في قفارها في المشاتي، ويظهرون إلى التلول في المرابع والمصائف. وكان فيهم ثلاثة بطون: بنو يعقوب بن عامر، وبنو حميد بن عامر، وبنو شافع بن عامر)). العبر، مج: 6، ص ص: 105 ـ 106.

[2] أي مثابراً.

[3] هجس هجساً الشيء في صدره: خطر بباله.

[4] الإشخاص: الذهاب.

[5] في الأصل: ((المشاهر)).

[6] باريكا؛ وحديثاً؛ بريكة: الآن مدينة تابعة لولاية باتنة. وهي قريبة من مقرة وجبل عياض. عرفت منطقة بريكة بطابعها الفلاحي منذ العهد الروماني. وهذا ما تشهد به المطامير المخصصة لتخزين الحبوب، ومعاصر الزيت لعصر الزيتون المكتشفة في المنطقة. الملفت للنظر؛ أن صاحب زهر البستان ربما انفرد بذكر بريكة؛ بين المؤرخين والجغرافيين القدامى.

[7] هكذا رسمه؛ بالسين المهملة. وسماه صاحب نظم الدر سفير بالفاء الموحدة الفوقية. أما صاحب صاحب العبر فسماه: صغير بن عامر؛ بينما يسميه يحيى بن خلدون شيقر؛ بالقاف المثناة الفوقية.

الأمراء، ومن الحماة المشاهير. **وسغير بن عامر**؛ هذا؛ ممن تضرب بغاراته الأمثال، ويعتد بمثله للقتال والنزال؛ تهابه جميع القبائل والأبطال، وتخشى غاراته في التلال والرمال. فبايعه **سغير** في الموضع المذكور[1]؛ وتلاه على البيعة كافة **بني عامر**، وكل بطل مشهور. أعطوه صفقة أيديهم؛ على الوفاء بالعهود، والحماية من المكروه، والعضد؛ وذلك في منتصف شوال؛ من عام تسعة وخمسين [وسبعمائة][2]. وتمت الإرادة به عام الستين [وسبعمائة[3]]. وعندما اتصل ببلاده تأججت نار الشوق بفؤاده؛ نظم قصيدة؛ يعبر بها عن شرح الحال، وما لقيه من الشوق للأهل، والوالد، والولد، والمال؛ بعث بها إلى أبيه وهو **بفاس**؛ ليؤنسه بها أي إيناس، ويعرفه وينْدب[4] فيها رسوم الأطلال، ويذكر فراق أحبته، وما آلت إليه الحال. وفيها إشارات إلى حلوله ببلاده؛ وأن الخلافة التي هو طالبها؛ **/7ظ/** جرت على وفق مراده. وهذه القصيدة المذكورة[5]:

[1] أي في بريكة.
[2] 1357م
[3] 1358م
[4] في الأصل: ((يندب))؛ بدون واو العطف.
[5] نظمها أبو حمو في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)؛ ويجوز في متفاعلن = مستفعلن. ويجوز في الأعاريض متفاعلن أو فَعِلُن. أما الأضرب فيجوز فيها: متفاعلن، فَعِلاتن، مفعولن، فِعْلن، فَعِلن.

حـان الفـراق[1]

حان الفراق فكنـت منه بمنـزل

ودنا الرحيـل فكنت فيـه بـأوَّلِ

وتحكم البين المشتت والنـوى

فينـا بفتكــة سيفـه المتكلِّـلِ[2]

وبدا غـراب البيـن في عرصاتهـا[3]

يـرثي عليهـا منـزلاً في منزلِ

والوصل ولى راحلاً في إثـره

قاضي الفراق على كثيب محجل[4]

خلـت المعالم والطلول دوارس

وذوى الرياض وكل ربع مزبل[5]

والدار أمست بلقعـاً من أهلهـا

يــرثي عليهـا كـل طيـر أليـل[6]

---

[1] لم ترد هذه القصيدة إلاّ في كتاب زهر البستان هذا. وقد أثبتها حديثاً الدكتور حاجيات في كتابه ((أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره))، ص: 295.

[2] المتكلل: غير قاطع.

[3] عرصات؛ مفردها عرصة: ساحة الدار.

[4] الكثيب من الفرس: ما هو عالي الظهر. ومحجل: الفرس الذي في قوائمه تحجيل؛ أي بياض.

[5] ذَوَى: الغصن: ذبل. ومزبل: مسمد؛ أي الخصب بالسماد.

[6] المعنى فيه غموض. لعل الذي يقصده هنا هو جو التشاؤم والتطير؛ فعبارة طير أليل؛ توحي بالتشاؤم؛ كما سبق للأعشى أحين قالت ((لَهُمْ طَيْرُ النُّحُوسِ بِأَشْأَمِ)). الطائر عند العرب: الحظ. أما كلمة أليل فتعني شدة الظلمة والطول.

والـورق [1] نائحة على أغصانها
نـوح الشـجي المدنـف المتعلـل
فسمعـت هاتفـة علـى أفنانهـا
تشكـو بصـوت بَيِّـنٍ لـم يجهـل
فنشدتهـا عن حالهـا فترنمـت
وبكت وأبكت صم صخر الجندل
قالت وأشواق النّوى لعبت بنا :
عن غير حالي يا ابن آدم فاسأل
أوَما رأيت الروض أمسى مقفرا
لعبت به ريـح الصَّبَا والشَّمْأَلِ
هاذي دياركـمُ وهاذي أرضكم
بالأمـس قـد كانـوا بهـذا المنـزل
دعني أنوح عليهمُ طول المـدى
أبكي عليهم جدولاً في جـدول
حتى أموت صبابـة من أجلهـم
أو يرجع الوصل القديم من أول[2]

[1] كتبت في الأصل: ((والإرق)). وسبق لحاجيات أن صحح ذلك؛ باختياره كلمة "الـوُرق" وهو أسلم؛ لأن الشاعر ذكر كلمة: "ورقاء" فيما بعد.
[2] سقط هذا البيت في كتاب حاجيات: ((أبو حمو موسى الزياني)).

فشفقت لما أن علمت حديثها

والجفن يغرق بالدموع الهُطَّل

ناديتها والجسم مني قد فنَى

وعلى فؤادي غمرة لم تنجلِ

لو ذقت يا ورقاء ما قد ذقته

لحرقت أغصان الأراك الميل

كم حرقة كم زفرة كم لوعة

يحلو لديها كل صعب مذهل

وشواهدي هم هؤلاء كما ترى

بانوا وكل مبَيّنٍ لم يجهل

دمعي يسيح وزفرتي لا تنقضي

والسهر أنحلني وعذل العذل

لو ذاق قاسي القلب ما قد ذقته

لغدوا سكارى في محل مهمل

أو حلَّ ما بي بالجبال تدكدكت

دكاً وأمست مثل كُحْلِ المِكْحَلِ

/8و/والحال تُنْبِي والكواكب تشهد

أني أراقبهـــا ولـــم أتخيـــل[1]

حالي يطول ومحنتي لا تنقضي

كم لي بميدان الوغى من محفل

لا بد من سوق النجوع مغرباً

حتى تكـل متونهـا بالأحمـل

وترى الفوارس دائرات بالعدى

تسقي لواردها نقيع الحنظل

وأمامها قطب الوفا بحر الندى

عطالها يـوم الـوغى بالعيطل[2]

صَدَّامُهَــا رَدَّاخُهَـا[3] حَكَّامُهَـا

شرادهــا ورادهــا بالفيصـل

موسى الهمام ابن السراة ذوي العلى

من قد رقي في العز أعلى معقل

---

[1] كتب في الأصل ((وأني لراقبها))؛ فاختار حاجيات ((أني أراقبها)) في كتاب (أبو حمو موسى الزياني). وهذا أفضل.

[2] يقصد بالعيطل: الرمح.تشبيهاً بالحسناء ذات العنق الطويل.

[3] ردخ: كسر. يقولون: ردخ رأسه، أو شدخ رأسه: أي كسره.

لا بد من سوق السُّرَى لبلادهم[1]

من فوق صَهَّال أغرٍّ محجَّلِ

وأسير في إعلائه متبختراً

متوشحاً متقلداً في جحفل

وقبيل عبد الواد محدقة بنا

من كل ليث ضارب بالمنصل

ولها عوال كالشهوب إذا بدت

قد عدلت للحرب أي تعدل

والخيل تعثر[2] في الأعنة ضمراً

من أشقر أو أدهم ومحجل

يا نجل عامر سِرْ بنا واطوِ السُّرَى

ليلاً لعل الدهر يدني منزلي

يا نجل عامر سر غرست النخل في

أوطانها تُجْنَى كطعم السلسل[3]

[1] جمع المؤلف السرية بـ: السُّرَى؛ والصحيح هو سرايا. غير أن حاجيات صحح العبارة بوضع كلمة "طيّ السُّرى" بدلاً من "سوق السرى". ويبدو أن الشاعر استعمل عبارته؛ للدلالة على أنه يقود جحافله بالسير ليلاً.

[2] في الأصل ((تعترى))؛ وهذا يخل بالوزن. فاختار حاجيات كلمة ((تعثر))؛ وهو أسلم.

[3] يبدو أن كلمة السلسل؛ زج بها في هذا البيت. وربما يقصد سلس. مثل قولهم: شراب سلس: أي لين الانحدار. أو تكون اختصاراً لكلمة ((سلسبيل)).

يا نجل عامر طال قولي إنني
أحمي الحمى يوم الوغى بالمنصل
يا نجل عامر دارنا مع داركم
قد عمرت من بعدنا بالحنظل
وأسير من شد السرى متمايلاً
فوق الأغر ومقلتي لم تقفل
يا سر ما عندي إذا لاحت لنا
يوماً على تلك الرسوم المحّل
ويعود دهر قد مضى بسبيله
ويعود حسن الروض بعد تذبل
فابلغ سلامي يا نسيمات الصبا
نحو الشقيق الوالد المتفضل
أعني أبا يعقوب مولانا الذي
نرجو رضاه وهو غاية من يلي
من آل زيان الكرام نتاجه
ياقوتة في وسط سلك مجتل
من نجله موسى الذي هو لم يزل
بين الخلائق كالسماك الأعزل

/8ظ/ثم الصلاة على النبي المصطفى

ما دام سلطان القديم الأول

***

عندما بعث بهذه القصيدة إلى أبيه؛ أَخَذَ في أمر الخلافة أَخْذَ الحازِم النبيه. ولعمري؛ لقد أجاد في نظمها الرائق، وبيَّن فيها عن حاله بحسن البيان الفائق. نزل على طلاوة الخلافة، وظهور العزّ والأناقة.

عاد الخبر: فبينما المولى **أبو حمو** يروم الدخول لبلاده، ويلم عليها **أعرابه**، وجملة أحشاده، ويجمع أفلال **بني عبد الواد**، ويستعد لذلك أتم الاستعداد؛ ليشيع الخبر به في إقليمه، ويعلم الناس بإتيانه وقدومه، وأن يستقبل بلاد أسلافه وآبائه؛ بطلب الثأر في أعدائه؛ إذ أتاه آت؛ أخبره أن **سليمان بن داوود المريني**[1] استنهضه **أبو عنان**؛ لتغريم الجهات **القسنطينية**، وتلك الأوطان. فعندما تحقق المولى **أبو حمو** إتيانه لتلك الجهات؛ انتهض له من **باريكا**؛ ليشتته أتم الشتات، واتسع له ليتوغل في الفلاة؛ ليثب عليه وثبة الآساد. فبينما **سليمان** المذكور مشتغلاً بالغرامات، ومسروراً بنمو الجبايات؛ إذ أتاه من قبل **العرب** نذير؛ يخبره بالمولى **أبي حمو**؛ أنه عليه سيغير، وأنه في القرب منه في تلك البلاد، وأنه في أمم من **الأعراب**، والأحشاد، وشرذمة وافرة من

---

[1] هو سليمان بن داود بن أعراب العسكري. ولاه أبو عنان على جبل الفتح بالأندلس؛ ثم استدعاه وكلفه بخطة الوزارة؛ وسرحه سنة 759هـ/1357م إلى المغرب الأوسط وإفريقية؛ لتمهيد تلك المناطق والوقوف في وجه الأعراب المخالفين.

بني عبد الواد. فانسحب **سليمان** ـ المذكور ـ في جيشه مرغماً، وخاف الاستيلاء[1] على محلته؛ سبياً ونهباً؛ فطوى المراحل **للمغرب**؛ وهو من أمر **بني عبد الواد** كالمغرب. وعندما سمع المولى **أبو حمو** بفراره؛ ترحَّلَ إلى **مقرة**[2]؛ دارجاً على آثاره؛ فلم يجد له أثراً، ولا تعرف له خبراً. فأقام **بمقرة** أياماً يتلوم؛ هل يتأخر، أو يتقدم. ثم ارتحل إلى **الزّاب**[3]؛ وقد اجتمعت عليه **الأعراب**. ثم اقتضى نظره أن يرتحل إلى **ريغ**[4]؛ ليتسع في السّبي البليغ، ويتفرغ إلى الغارات أيّما تفرغ[5]. ثم من **ريغ** عاملاً على **وارجلاء**[6]؛ طالباً منها أين /9و/ يكون التقاؤه بالأعداء. فاقتحم ـ في ركوب الصحراء ـ مركباً عظيماً؛ قل ما يلقى راكبه سليماً؛ قذف نفسه في المهمهة[7] التي يترك فيها الوالد ولده، ويقول الجلد ليت

---

[1] في الأصل: ((الإستولاء))؛ وهو تحريف.

[2] مقرة لا تبعد كثيراً عن بريكة. اشتهرت بالفلاحة؛ فلاحة الزيتون بصفة خاصة. قال فيها البكري: ((ومن طبنة [عاصمة الزاب سابقاً؛ وتقع في الجنوب الشرقي من بريكة] إلى مدينة مقّرة؛ وهو بلد كبير؛ ذو ثمار وأنهار ومزارع)). المغرب، ص: 51. وإلى مقرة هذه تنتسب أسرة المقري ـ في أصولها الأولى ـ من بينها؛ أحمد بن محمد المقري التلمساني صاحب كتاب نفح الطيب (986هـ /1578م ـ 1041هـ/1631م).

[3] وفي هذا يقول أبو حمو: ((وجئت لأرض الزاب ففاضت مدامعي تذكرت أطلال الرسوم الطواسم))

[4] ريغ أو وادي ريغ: نسبة إلى بني ريغة من مغراوة الزناتية؛ وهم حي من قبيلة مغراوة الزناتية؛ سكنوا هذه المنطقة الفلاحية الممتدة من جنوب بسكرة إلى شمال ورقلة. وتشتمل هذه المنطقة الصحراوية الخصبة على مدن عديدة متقاربة؛ يطلق عليها اسم الواحات؛ وهي ـ في الحقيقة ـ ليست بواحات؛ بل هي تجمعات عمرانية متلاصقة تقريباً؛ خاصة في بساتينها ذات النخيل الكثيف، والمياه الغزيرة المتدفقة. ذكرها أبو حمو في قصيدة ((جرت أدمعي))، إذ قال: ((جزت بأرض ريغ...)).

[5] في الأصل: ((تفريغ)).

[6] وركلا أو ورجلا أو ورقلاء: تسمى الآن ورقلة وهي مدينة كبيرة مستبحرة؛ لها تاريخ حافل بالأحداث؛ بحكم موقعها المتميز؛ الذي يربط بين مدن شمال المغرب الأوسط ببلاد السودان. أما الآن فهي عاصمة اقتصادية كبرى للجزائر؛ بحكم أنها مقر ولاية بترولية هامة.

[7] المهمهة: المفازة البعيدة.

أمي لم تلدني، ولم أشهد هذا القفر الذي هم لي أن أشهده؛ وذلك لمفاوزها المؤدية بالإدهاش، ذات الثمانية الأيام العطاش؛ مراحل بغير مياه؛ لم تلف بها طيراً ولا تراه؛ سوى شجر العضات[1]. فمن **ريغ** إلى **وارجلا**؛ خمسة أيام؛ تجف فيها الرّوايا[2]، وتقتل من شدة الأوام[3]. ومن **وارجلا**؛ ترحل إلى **مصاب**[4]. وهذه الثمانية مشبهة بصحراء عذاب. ثم من **مصاب** إلى **زرقون**[5]؛ كلها مهامه تعزف فيها الجنون، ويعرض على السالك فيها المنون. ولما حل بهذا المنزل المعروف المذكور، وتخلص من مشقة القفر المشهور؛ علم أنه حلّ بأوائل بلاده، وأنه على رأية من طلب مراده. فبينما هو بهذا الموضع؛ الذي رجا أن يبلغ منه الآمال؛ إذ أتاه الخبر؛ أن **أولاد عريف**[6] **بملال**[7]؛ وأنهم

---

[1] العض؛ جمعه أعضاض: ما صغر من شجر الشوك.

[2] الرّوايا؛ الجلود المعبأة بالماء.

[3] الأوام: العطش.

[4] مصاب أو وادي مصاب: منطقة صحراوية؛ ولكنها جبلية التضاريس حجرية التربة. تقع شمال غرب مدينة ورقلة، وجنوب مدينة لغواط. ومما قاله صاحب العبر عن مصاب: ((ومن بني واسين ـ هؤلاء ـ بقصور مصاب؛ على خمس مراحل من جبل تيطري ـ في القبلة بما دون الرمال ـ وعلى ثلاث مراحل من قصور بني ريغة في الغرب. وهذا الاسم [يقصد مصاب] اسم للقوم الذين اختطوها ونزلوها منشعوب بني بادين ـ حسبما ذكرناهم الآن ـ ووضعها في أرض حَرّة على آكام.... وسكانها ـ لهذا العهد ـ شعوب بني بادين: من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني زردال؛ فيمن يضاف إليهم من شعوب زناتة؛ وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب)). مج: 7، 123. وقد أشار أبو حمو إلى ورجلا ومصاب في قصيدة ((جرت أدمعي))؛ حين قال: ((وجئت لوارجلا وجزت مصابها)).

[5] يقع هذا الوادي في الجهة الجنوبية الغربية من لغواط. وقد ذكر أبو حمو وادي زرقون قي قصيدة قصيدة ((جرت أدمعي))؛ حين قال: ((إلى أن بدا لي وادي زرقون أزرقاً)).

[6] أولاد عريف: هم أحد أحياء قبيلة سويد بن عامر بن مالك بن زغبة الهلاليين. ومن أشهر رؤسائهم ونزمار بن عريف. كانوا في البداية من حلفاء بني عبد الواد؛ ثم تحولوا عنهم إلى بني مرين.

[7] ملال: بهذا الاسم ـ أيضاً ـ سماه يحيى بن خلدون في بغية الرواد، وكذلك السلطان أبو حمو في قصيدة ((جرت أدمعي)). وقد يكون المقصود به؛ واد ملول؛ الذي يقع جنوب تلمسان؛ وهو الذي أشار إليه عبد الرحمن بن خلدون ـ دون أن يسميه ـ وذلك حينما حدد مكان الوقيعة بأولاد عريف؛ فقال أنها حدثت جنوب تلمسان. (العبر، مج: 7، ص: 627). وبالمقابل نجد أن الوزان يصف نهراً

رايعون[1] بالأهل والمال. فأخذ في شأن الإجلاب[2] عليهم. فجهز سرية من ـ حينه إليهم ـ وقصد حيث هم مستقرون ؛ وصبَّحهم صباحاً وهم لا يشعرون ؛ فاستولى عليهم، وأذلهم، وسبى نساءهم، واستاق إبلهم، وأسر جملة من **سويد**[3] وقتلهم. واستولت **بنو عامر** على ناجعة **سويد**، وصادوهم على غفلة أيّ صيد ؛ فمات في هذه الكاينة **عثمان ابن ونزمار**[4]، وصاح بهم **بنو عامر** صيحة الثأر ؛ وأخذ **أبو بكر بن عريف** وأخوه **عبد الرحمن** ؛ فأبقى عليهما، وسرحهما بذلك المكان، وامتنّ عليهما بذلك امتناناً، وعفا عنهما تكرماً وإحساناً. وبعد هذه الفعلة الشنيعة[5]، والمقتلة الفظيعة. ترحل من **ملال** ؛ بعز الذخائر ؛ وقد رفت بالظفر من حسه الأسارير[6]. وفي هذا الفوز بلغه موت **أبي عنان**، وأنه صار رهين التُّرْب والأكفان ؛ فسبحان ذي العزة والسلطان. فكان وصول الخبر بموته ؛ في سابع شهر المحرم فاتح عام الستين [وسبعمائة][7]. وفيه /**9ظ**/ كان مبدأ الفتح المبين. فكان وصول هذا الخبر من أعظم

يسمى مَلُّول ـ وهو أحد روافد نهر ملوية ـ فقال: ((مَلُّول نهر نابع من الأطلس في تخوم مدينتي: تازا ودبدو؛ لكنه إلى دبدو أقرب. ويسيل في سهول تيريست [أي بالأمازيغية الأرض البيضاء الشبيهة بالصلصال] وتَفْراطة الوعرة اليابسة، ثم يصب بعد ذلك في ملوية)). وصف إفريقيا، ج: 2، ص: 250.

[1] أي ينتجعون ويرعون.

[2] في الأصل: ((الإيجاب))؛ وهو تحريف.

[3] هم من بني مالك بن زغبة الهلاليين.

[4] وهو ابن ونزمار شيخ قبيلة سويد من زغبة الهلالية.

[5] هكذا.

[6] يرى يحيى بن خلدون أن أبا حمو أراح ظهر جيشه في هذا الموضع لمدة أيام؛ بعد الوقيعة ببني عريف؛ لِمَا يتميز به من وفرة المرعى؛ وبقوا على ذلك إلى فاتح سنة 760هـ/1358م. وفي ذلك الموضع ـ وخلال راحتهم ـ وصلهم خبر وفاة أبي عنان. أنظر بغية الرواد، ج: 2، ص: 65.

[7] 1358م

الفتوحات، وأسمى الذخائر الممنوحات؛ انهدّ بموته ركن من العداة شديد، وأبدله جانباً ما حاله يسر.[1] وقد كان عازماً على أن يجوس خلال بلاده، ويقاتله بحشده وأفراده، وأن يضرم عليه البلاد ناراً، ويرجفها غارة وشناراً[2]، وأن يضرم البلاد **السجلماسية**[3]؛ بعد أخذ البلاد البلاد **التلمسانية**؛[4] وأن يحشد عليه كافة **زناتة والأعراب**، ويخرب بلاده بلاده أي خراب. إلاّ أن سبحانه كفاه أمر القتال، ومنحه الفتح الذي كان له غاية الآمال؛ وتلك علامة السعادة، وآية النصر مع الرِّيادة. ومن كلام الحكماء[5]: "من كفى مئونة عدوِّه فقد نُصِرَ عليه، وارتقى إلى إلى سموه". وهذه أثر من النصر العزيز، وآية تدل على الظهور والتبريز.

[1] وهنا ـ كما ذكر صاحب بغية الرواد ـ قررت بعض أحياء رياح ـ الذين رافقوا أبا حمو ـ العودة إلى ديارهم. ويبدو أنهم تجنبوا دخول التل في الشتاء؛ خوفاً على مالهم. وقد لمح إلى ذلك يحيى بن خلدون حين تكلم عمن بقي مع أبي حمو من العرب؛ فقال: ((وبماء تيسبرين [اسم مكان]؛ ثلج العرب. ومن عادتهم تحامي التلول في إبانه؛ فما هلعوا للقائه، ولا مساقطه، ولا جزعوا لرؤوس أموالهم من مصابه)). (بغية الرواد، ج: 2، ص: 68). ومع هذا فقد بقي مع أبي حمو شيخان من رياح هما: شبل بن ملوك بن عثمان بن سباع، ودغار بن عيسى بن رحاب السعيدي. إذ اختار هذان الشيخان البقاء في خدمة السلطان أبي حمو؛ حتى يحقق أهدافه المنشودة. أنظر بغية الرواد، ج: 2، ص: 66.

[2] الشنار: العار وما قبح من العيب.

[3] سجلماسة: مدينة صحراوية تربط بين شمال المغرب وجنوب الصحراء ـ في الطريق التجاري نحو إفريقيا السوداء ـ بناها المكناسيون سنة 140 هـ/757م؛ عندما أسسوا دولتهم الصفرية؛ التي عرفت باسم دولة بني واسول أو بني مدرار. وهي مندثرة حالياً. أما موقعها الآن فيتواجد في منطقة تافيلالت المغربية.

[4] تلمسان: هي من أعظم مدن بلاد المغرب الأوسط. بناها أول مرة الرومان؛ إذ كانت تسمى عندهم عندهم (بوماريا)؛ ثم أعاد بناءها أبو قرة اليفرني، واتخذها حاضرة لملكه. ثم انتقل أمرها إلى المغراويين؛ الذين اتخذوها عاصمة لدولتهم. ولما وفد سليمان بن عبد الله الكامل؛ أسس بها دولته العلوية التي تشمل المغرب الأوسط. كما أصبحت في أيام بني عبد الواد عاصمة لدولتهم طوال حكمهم للمغرب الأوسط؛ إلى أن سقطت نهائياً في العهد العثماني.

[5] في الأصل: ((الحكما))؛ بدون الهمزة.

وعندما تحقق المولى **أبو حمو** موت **أبى عنان**؛ أخذ في الانتهاض **لتلمسان؛** وتأخَّرَ ما أراده من: الإيخاف والإرجاف،[1] وتشتيت تلك الأوطان بالمخاف. ورأى أن دار خلافته أحق بالمبادرة، وأجمع له بخَيْرَيْ: الدنيا والآخرة. فارتحل من **ملال**؛ إلى **كبود**[2] وأحواله مقترنة بسعدى السعود؛ ومنه راحلاً إلى **درج**[3]؛ عاملاً على **فرتون**[4]؛ وقد ظهرت علامات النصر على لوائه الميمون. وفيه أتته القبائل للمبايعة؛ وبادرت للخلافة **الزيانية** الجامعة. ثم انتقل إلى **عين الحجر**[5]؛ وقلبه جذلان بنيل الوطر. ثم ارتحل إلى **يسر**[6]؛ وأحواله في كل يوم تتيسر، والناس تأتي لطاعته أفواجاً، وتدخل تحت رايته العالية أفراداً وأزواجاً. ومن **يسر**[7] هذا اعتد لقتال **تلمسان**، وتيسر لها بما جمعه من الإمداد وفرسان؛ عاملاً على أن يشن عليها الغارات، ويطلب في **بني مرين**

---

[1] رَجَفَ القوم: تهيأوا للحرب. حسب رأي صاحب زهر البستان؛ فقد كان هدف أبي حمو في أول الأمر؛ شن غارات استنزاف ضد المرينيين؛ ولم يكن هدفه فتح تلمسان.

[2] كبود: سماها يحيى بن خلدون مرة ((خضراء كبود))، ومرة أخرى ((سبخة كبود))؛ بينما يسميها أبو حمو في قصيدة ((جرت أدمعي)) بالاسم الأول؛ حينما قال: ((وخضراء كبود تبدت هضابها)).

[3] درج: فيما هو شائع؛ موضع موجود في إفريقية (المغرب الأدنى)؛ ويبدو أن هذا الاسم أطلق أيضاً على موضع آخر بالمغرب الأوسط؛ ولكن تعذر علينا معرفته. ومما يعزز هذا الرأي؛ أن السلطان أبا حمو ذكر اسم ((درج)) في قصيدته: ((جرت أدمعي))؛ على أنه موضع قريب من تلمسان؛ إذ قال: ((درجنا إلى درج ولاحت بشائر)).

[4] فرتون: يسميه يحيى بن خلدون؛ ثنية فرتون. وهي غير معروفة؛ مع أنها حسب ما يفهم تقع جنوب تلمسان؛ على حافة الصحراء. وقد ذكرها أبو حمو في قصيدة ((جرت أدمعي))؛ حين قال: ((ولاح لنا فرتون))،

[5] حدد صاحب بغية موضع عين الحجر؛ في الجهة الشرقية من وادي يسر. ومع هذا بقي الغموض الغموض يكتنفها. ولا أدري إن كان لعين الحجر هذه علاقة بحمام بو حجر المتواجد هو أيضاً شمال تلمسان.

[6] يسر: هو أحد روافد وادي تافنة؛ يبعد عن تلمسان ـ في جانبها الشرقي ـ بحوالي 40 كيلومتر. ذكره أبو حمو بهذا الاسم في قصيدته ((جرت أدمعي))؛ فقال: ((وعجنا وعرجنا على وادي يسر)).

[7] أي من وادي يسر.

الذين بها الشارات. ومن **يسر** هذا قاتل **تلمسان**، ودخلها على ولد **أبي عنان** في الآن؛ وقد نظم في رحلته هذه قصيدة فريدة؛ ضمنها جملة ما قلناه؛ بين فيها شرح وحركاته السعيدة، ومبدأ الحال ومنتهاه، /10و/ وأشار إلى ما قاله أهل الجفرانات، وتحدث به أهل الحدثان من الكيانات. وقد رأيت إثباتها في هذا الموضع للمناسبة؛ ولتتفق القصة نظماً ونثراً؛ اتفاق المصاحبة؛ وهي هذه القصيدة الفريدة المعمرة الرايعة المباركة السعيدة:[1]

جرت أدمعي بين الرسوم الطواسم[2]
لما شحطتها[3] من هبوب الرواكم
وقفت بها مستخبراً لخطابها[4]
وأي خطاب للصلاد الصلادم[5]

---

[1] وردت هذه القصيدة ـ بالإضافة إلى زهر البستان ـ في بغية الرواد، وواسطة السلوك. وواضح أنها في زهر البستان كانت مليئة بالأخطاء. وهي في بحر الطويل (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن)؛ يجوز في فعولن = فعولُ، وفي مفاعيلن = مفاعلن. وفي الأعاريض: مفاعلن. وفي الأضرب: مفاعلن، وفعولن.

[2] الرسم جمع رسوم وأرسم: ما كان لاصقاً بالأرض من آثار الدار. وطسم طسماً الشيء: طمسه وأخفاه.

[3] الشَّحْطُ والشَّحَطُ: البعد.

[4] كتبت في بغية الرواد: ((بخطابها)). أما كلمة ((مستخبراً)) فكتبت في بغية الرواد وواسطة السلوك: ((مستفهماً)). والراجح هذا هو الصحيح.

[5] في أصل زهر البستان: ((للعصاب الصلادم)). حَجَرٌ صَلْدٌ: صُلْبٌ أملس. ويقولون: (جبينٌ صَلْدٌ)، (ورأس صلدٌ صلادِمٌ): الذي لا ينبت فيه الشعر.

وسـرت على جـون أقـب مضمـر[1]

كلمعـة بـرق أو كلمحـة صـارم

وجلت بطَرف الطِّـرْف في عرصاتهـا

كجولـة واه أو كوقفـة هائـم

وصفقـت ما بيـن الطلـول خوامـسي

وسالت[2] سواقي الدمع مثل الأراقم

وقلـت لصحـبي تَمَلُّـوا مـن السـرى[3]

ولا يزدريكـم في السُّرَى لـوم لائـم[4]

وسـل سامرات الـحي[5] أيـن تحملـوا

فقـد عيـل صبري بيـن تلـك المعالـم

ديـار عهدناهـا بهـا الشمـل جامـع

مـع الغانجـات الآنسـات النواعـم[6]

---

[1] في أصل زهر البستان: ((بشحبها))؛ والشحب هو: الهزال والتغير. أما في واسطة السلوك (مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية)؛ فكتب: ((وسرت على جون أقب مشحب)). الجون: يقصد به الحصان الأسود اليحمومي، والأسود المشرب حمرة.والقَبُّ والقَبَبُ: دقة الخصر وضمور البطن. والخيلُ القُبُّ الضَّوامِرُ. قال هذا البيت في وصف حصانه.

[2] في بغية الرواد: ((وفاضت)).

[3] هكذا في بغية الرواد، وواسطة السلوك؛ بينما كتب في الأصل بزهر البستان:
((وقلت لصاحبي لا تمل من السرى)). وبذلك يختل وزن الشطر.

[4] السرى: المروءة والسخاء. وجاء عجز هذا البيت في بغية الرواد هكذا ((ولا تزدريك اليوم لومة لائم)).

[5] كتبت في بغية الرواد: ((سلوا ساكنات الحي)). أما في واسطة السلوك (مط) فكتبت كلمة ((جملات)) بدلاً من ((ساكنات)).

[6] هكذا في بغية الرواد، ووواسطة السلوك. بينما كتب في الأصل بزهر البستان: ((مع الغانجات بين الآنسات النواعم)). وبهذا يختل الوزن.

وكم ليلة بات السرور مساعدي

بسعدى وسلمى والمنى أم سالم

فعادت رسوم الدار بعد أنيسها

هشيما ولا تخفى بقايا الرواسم[1]

وكم نسجتها من جنوب وشَمْأل

وكم سجعتها[2] من لغات الحمائم

كأني بهم والله يوم تحملوا

وحادي النوى يحدو بذات المباسم[3]

قطعنا الفيافي بالقلاص[4] وإنما

تجاب الفلا بالخف أو بالمناسم [5]

وقد خلتها بين الرياح زوابعاً[6]

تسابق في البيدا ظليم النعائم[7]

---

[1] في بغية الرواد، وواسطة السلوك: ((المراسم)).

[2] في و . س (مخ) ((شجعتها)) وهو تحريف.

[3] جاء في و . س (مط) ((يحدو هوادي الرواسم)). أما في (مخ) فكتبت: ((وحادي النَّوى يحذو بذات المباسم)).

[4] في بغية الرواد، وواسطة السلوك: ((قطعت الفيافي)). القلوص من الإبل؛ جمعها قلائص وقلاص: الطويلة القوائم.

[5] هكذا في بغية الرواد، وواسطة السلوك؛ بينما كتب في الأصل بزهر البستان: ((بالخف أو المناسم))؛ وهذا يخل بالوزن. المَنْسِم جمعه مَناسِمُ للإبل والنعام: هو طرف الخف، وشبيه بظفر الإنسان.

[6] هكذا في البغية والواسطة. أما في الأصل بزهر البستان: ((زوابعها))؛ وهذا يخل بالوزن.

[7] الظليم: ذكر النعام؛ وقد اشتهر بالسرعة.

مكحلة الأحداق فيها هشاشة
مهملجة الأطراف سود المباسم[1]

ومعها أسود الحرب تطوي بها السرى[2]
يرون المنايا بعض تلك المغانم[3]

وخضت الفيافي فدفداً بعد فدفد[4]
لطلب [5] العلى والصبر إذ ذاك لازمي

وكم ليلة بتنا على الجدب والطوى[6]
نراقب نجم الصبح في ليل عاتم

على متن صهّال أغرّ محجّل[7]
مديد الخطا لم يخش صعب الصلادم

تسربلت كردوسين من آل عامر
ومن آل إدريس الشريف ابن قاسم

---

[1] الهَمْلَجَةُ والهِمْلاج: حسن سير الدابة في سرعة.
[2] في بغية الرواد، وواسطة السلوك: ((الفلا)).
[3] هكذا في البغية والواسطة؛ بينما سقطت كلمة: ((تلك)) في الأصل بزهر البستان؛ وهذا يخل بالوزن.
[4] الفَدْفَدُ: الفلاة الخالية والمرتفعة التي تتصف بالخشونة والصلابة.
[5] في البغية، والواسطة المطبوعة: ((لنيل العلى)). أما في مخطوط الواسطة فكتب: ((لقصد)).
[6] الطوى: الجوع.
[7] صهال أغر محجل: كلها صفات للخيل. الصَّهيل: صوت الخيل. والأغر: صفة للبياض الذي يعلو جبين الحصان أو الفرس. والمحجل: الحصان الذي يعلو البياض قوائمه الأربع.

/10ظ/رجال إذا هاج الوطيس تراهمُ[1]

أسود الوغى من كل ليث ضبارم[2]

وجبت الفيافي بلدة بعد بلدة

و طوعت فيها كل باغ وباغم[3]

وجئت لأرض الزّاب فاضت مدامعي[4]

تذكرت أطلال الرسوم الطواسم[5]

وشبكت عشري[6] فوق رأسي فلم أجد

بها مخبراً غير الربى والمعالم[7]

وجاوزتها ما بين هوج هجائن[8]

رقاق العوالي[9] عاليات القوائم

---

[1] في البغية، والواسطة: ((رجال إذا جاش)). الوطيس: المعركة. يقولون: (حمي الوطيس)؛ أي اشتدت الحرب.

[2] أسَدٌ ضُبَارِم: الشديد الخلق. والضبارم: الجريء على الأعداء.

[3] بَغَمَ الرجلُ صاحبَه: لم يفصح عما يقوله.

[4] في البغية والوسطة: ((وجئت لأرض الزاب تذرف أدمعي)). وأرض الزّاب: سبقت الإشارة إليها؛ وهي المنطقة الفلاحية الواسعة المحيطة ببسكرة.

[5] وفي واسطة السلوك (مط) كتب: ((لتذكار أطلال الرسوم الطواسم)). أما بغية الرواد: ((لتذكار أطلال الربوع الطواسم)). الطواسم)).

[6] في الأصل بزهر البستان: ((وشبكت شعري))؛ بينما كتب في: البغية والوسطة: ((وشبكت عشري)). ويبدو أن ما جاء فيهما أصح وأسلم؛ لأن تشبيك الأصابع العشر فوق الرأس؛ حركة يعبر بها عن الحيرة.

[7] وهنا؛ يقول أبو حمو: أنه لما وصل إلى أرض الزاب تذكر أطلال الديار والمنازل المنطمسة المندثرة. فشبك فشبك أصابعه فوق رأسه من الحيرة؛ إذ لم يجد دليلاً يخبره سوى تلك الرّبى والمعالم الباهتة. بدلاً من ((ربوع)).

[8] في واسطة السلوك (مخ): ((هوج هواجن)).

[9] في بغية الرواد: ((الهوادي)). والهوادي هنا أصح؛ ومعناها: ذوات الأعناق الطوال؛ وفي الحديث: ((طلعت هوادي الخيل))؛ إذا بدت أعناقها.

وجزت بأرض الريغ راغت بأهلها[1]

ببلقعةٍ قفراً قفاها[2] عزائمي

سألت ربوع الدار يوما فلم أجد[3]

بها معلما يأتي إليّ بعالم

شددت عُرَى للنجع من كل جانب

وصيرتها مثل الرياح الرواكم

تخيلتها مثل القطا في ميسرها

وفوق ذراها كل شهم وحازم

وحفت بها[4] الأبطال من كل جانب

تذكرها عند الهوى[5] بالصماصم[6]

وجئت لِوَارْجَلاَ وجزت مصابها

ولا مخبر[7] غير الصلاد الأعاجم

---

[1] في مخطوط واسطة السلوك: ((وجزت بلاد الريغ)). وفي بغية الرواد: ((وجزت بأرض ريغ)). راغت: حادت ومالت. يقولون: (راغ الرجل عن الطريق:حاد عنه؛ مكراً وخديعة).

[2] في البغية: ((ببلقعة قفر قفتها)). وفي الواسطة: ((ببلقعة قفراً قفتها)). البلقع والبلقعة؛ جمعها بلاقع: الأرض القفر. القفر.

[3] في البغية والواسطة: ((سألت ربوع الدار فيها فلم أجد)).

[4] في بغية الرواد وواسطة السلوك: ((وحفت بنا)).

[5] في بغية الرواد: ((يذكرها عهد الهوى...)) وفي واسطة السلوك: ((تذكرها عهد الهوى...)).

[6] سيف صمصام: قاطع لا ينثني. والسيوف صماصم.

[7] في و . س (مخ و مط): ((ولا مخبراً))

ومازلـت أطـوي سيرهـا بأكامهــا[1]

وأخْطَبُهـا[2] بيـن الـربى والهضائـم[3]

قطعـت الحمـادى[4] والسراب غديرهـا

علـى هيكـل عبـل الذراعيـن هاضـم[5]

بكـر ليـوم الحرب لا يشتكي الـونى[6]

بفـر[7] إذا طالــت عظـام الهزائــم

إلى أن بـدا لي وادي زرقـون أزرقـا

وبانـت عليه شاحبـات الغياهــم[8]

طرقـت بـرأسي واستفزيت[9] بالكرى

وكــم مـن ليـال بتُّهـا غيــر نائـم

وجددت في طلـب[10] السرايـا مسربـلاً

بسيــر حثيـث أو سُــرَى متـداوم

---

[1] في بغية الرواد وواسطة السلوك: ((وما زلت أطوي سهلها وأكامها)). وفي واسطة السلوك: ((سهلها بأكامها)).

[2] في بغية الرواد: ((وأحطمها)).

[3] الهَضْمُ والهِضْمُ: المطمئن من الأرض. وثمة من رأى أنه أسفل الوادي. والهضم جمعه أهضام؛ ولكن أبا حمو جمعه بـ"هضائم" للضرورة.

[4] الحمادى: اصطلح في بلدان المغرب على تسمية الصحراء الحجرية المنبسطة بالحمادى.

[5] في بغية الرواد: ((هاجم)). يقولون: ((رجل عبل الذراعين) أي ضخمهما.

[6] في بغية الرواد وواسطة السلوك: ((مكر بيوم الحرب))وَنِيَ ونْياً ونًى: ضعف وكلَّ وأعيا.

[7] في بغية الرواد وواسطة السلوك: ((مفر)).

[8] في و . س (مخ): ((الغمائم)).الغَيْهَم: الظلمة. والغياهم: الظلمات.

[9] استفز بالكرى: استخف بالنعاس.

[10] في و . س (مخ): ((في طي))، وفي و . س (مط): ((في قصد)).

وكـم من فيـافي[1] قـد قطعـت أكامهـا

وكـم نسمـة جـادت عليهـا نسائـمي

وبيـن ضلـوعي زفـرة مستكنـة

يصعده فيض الدموع في غيهب الدجى[2]

وكـم زفرة تعلـو من القلب صاعـداً

جواهـا وكـم دمـع على الخد ساجـم[3]

وبتنـا نسوق النجع في غيهب الـدجى

وخرصاننـا فيهـا كشهـب عواتـم

إلى ملـل[4] ملنـا ومـا ملـت السَّرى

سرايـا ركـاب كالقـسي السواهـم

ولما بـدا لي غيهـب القـوم ظاهـراً[5]

وحيهـم بيـن الظـلال الغياهـم[6]

---

[1] في بغية الرواد: ((وكم من بلاد)). أما واسطة السلوك فكتبت: ((وكم من فيافٍ)).

[2] لم يرد هذا البيت هكذا في زهر البستان. بينما جاء في بغية الرواد وواسطة السلوك في مكان البيت الموالي الذي يبدأ بـ((وكم زفرة تعلو...)). كما أن الروي به عيب : الإجازة.

[3] سجمت العين الدمع: سالت بالدمع. والعيون سواجم بالدمع تسيل به.

[4] أي وادي ملال.

[5] في بغية الرواد: ((ولما بدا لي منزل القوم ظاهراً)). وغيهب: هو شدة سواد الليل أو الشيء؛ يقولون: (جمل غيهب).

[6] في الواسطة: ((بين الطلال الغياهم)). الغيهم وجمعها غياهم: الظلمة.

جبذنـا مجابيـذا وجـدت جيادهـا[1]
وجالـت كمـا العقبـان بيـن السقاهـم[2]

وضمـر عناجيـج علـى صهواتهـا[3]
كـرام يجـودوا[4] بالنفـوس الكرائـم

11و//نطارد فيها الخيل بالخيـل مثلها
فكـان علـى الأعـداء كـرّ الهزائـم

شددنـا عليهـم شـدة مضريـة[5]
فولـوا شـراداً مثل جفـل النعائـم

فولـت[6] سويـد ثـم خلـت مجيرها
وشيـخ حماهـا في لجـوج المصادم[7]

---

[1] في واسطة السلوك (مخ + مط) كتب: ((جبدنا مجابيداً وجدت جيادنا)). جبذنا: جذبنا؛ يصح القول: جَبَذَ يَجْبِذُ جَبْذاً أو جَذَبَ يَجْذِبُ جَذْباً.

[2] في و . س (مخ + مط): ((السغاهم)). وفي بغية الرواد: ((القشاعم)). والقشعم جمعه قشاعم: الضخم المسن من كل شيء.والقشعم أيضاً :المسنُ من الرجال أو النُّسور والرخم لطول عمره.

[3] العَناجيجُ مفردها العُنْجوجُ: الرائع من الخيل. والصهوة من الفرس:موضع اللَّبْدِ من ظهره.

[4] في واسطة السلوك (مخ): ((كرام تجود بالنفوس))، وبغية الرواد: ((كرام سماح بالنفوس)). أما في و . س (مط) فهو مثل بغية الرواد؛ والوزن فيه أسلم.

[5] هكذا أيضاً في مخطوط واسطة السلوك؛ بينما كتب في بغية الرواد وواسطة السلوك المطبوع: ((حملنا عليهم حملة مضرية)).

[6] في بغية الرواد: ((وولت)).

[7] جاء عجز البيت في بغية الرواد كالتالي:
((وشيخ حماها في الثرى أي جاثم)). وترتيب هذا البيت في بغية الرواد مخالف لزهر البستان.

وكـم خلفـوا مـا بيـن بكـر وبكـرة
وكـم[1] غـــادة ملتفــة في الهدائـــم[2]

وكـم قبـة طاحـت وطـاح أميرهـا
على الأرض ما بيـن الصفـا والرثائـم[3]

وجالـت[4] خيـول للحجـاز[5] كأنهـا
عقـاب تمــطى بيـن فـرق الحمائـم[6]

فحـاز الثنـا فيهـا سغيـر بـن عامـر
كما حـاز من قبـل ذيـاب بـن غانـم[7]

وطاحت هياشيم على الأرض طعمـة
بـوادي مـلال للنســور القشاعـم[8]

فكانـوا إلى الطيـر الغبشــم فرائسـاً[9]
وكانـت على الأعـداء شـؤم الذمائـم

---

[1] في بغية الرواد: ((ومن)).

[2] جاء هذا البيت في بغية الرواد على غير هذا الترتيب.

[3] سقط هذا البيت في بغية الرواد. بينما ورد هكذا أيضاً في واسطة السلوك. ولكن حاجيات غير مفردة: ((الرثائم))؛ وكتبها: ((الوثائم))؛لأنها أسلم.

[4] في واسطة السلوك: ((وجالت)).

[5] في الأصل بزهر البستان: ((للحجازي))؛ بالياء؛ وهذا تحريف يخل بالوزن.

[6] سقط هذا البيت في بغية الرواد.

[7] هذا البيت والبيتان السابقان سقطت في بغية الرواد.

[8] كتب هذا البيت في بغية الرواد، وواسطة السلوك هكذا:

وطاحت على وادي مـلال هشائم   من القوم صرعى للنسور القشاعم

[9] وتغبّش: تخدعه وظلمهز والغابش: الخادع الظالم. وفي بغية الرواد: ((فكانت إلى الطير القشيم فرائساً)). والقشيم: الموت. وفي واسطة السلوك: ((الغشيم))؛ ولو كتب ((غشوم))؛ لكان أفضل؛ وهو: الظالم الغاصب.

وهبت رياح النصر من كل جانب

وكانت[1] إلينا مبهجات الغنائم

ولما قضينا[2] الأمر في الحرب منهم

رحلنا بعون الله نحو المعالم[3]

وخضراء[4] كبود تبدت هضابها[5]

وهبت رياح عاطرات النواسم

درجنا إلى درج ولاحت بشائر

بهلك الأعادي التاعسين الأشائم[6]

ألا أيها الناعي البشير الذي نعى

أمير مرين حزت أسنى المقاسم

لقد قرب الله البعيد بهلكه

فبشراك بالخيرات يا خير قادم[7]

---

[1] في بغية الرواد وواسطة السلوك: ((وجاءت)).

[2] في واسطة السلوك: ((((ولما قضيت ...)).

[3] لم يرد هذا البيت في بغية الرواد؛ وورد في المطبوع من واسطة السلوك.

[4] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في الأصل بزهر البستان، وواسطة السلوك: ((وخضرا كبود))؛ كبود))؛ بدون الهمزة؛ وهذا يخل بالوزن.

[5] جاء هذا الشطر في واسطة السلوك هكذا: ((وخضرا كبود قد تبدت هضابها)). وبذلك يختل وزن الشطر بسبب حذف الهمزة، وإضافة قد؛ معاً .

[6] يقصد وصول خبر موت أبي عنان؛ سلطان بني مرين.

[7] هذا البيت والبيت الذي سبقه موجودان في و . س (مخ + مط)، وزهر البستان؛ بينما سقطا في الأصل ببغية الرواد.

ولاح[1] لنا فرتون فافترَّت المُنَى
إلينا ابتساما بالثغور البواسم[2]
وصارت أسود الغاب تأتي مطيعة
وعادت لنا الأيام مثل المواسم
قطعنا الثنايا والخميس مسربل
صلاصله مثل الرياح القواصم
وعجنا وعرجنا على واد يسر
وجزنا المخاض[3] كالليوث الضراغم
وفي يسر آمالنا يسرت لنا
وجددت[4] للأوطان فيها عزائمي[5]
وبتنا وبات النوم غير مساعدي
وإني على جد السري جد عازم
وسرنا[6] ضحى والنصر يهفو أمامنا
برايات سعد فوقنا كالغمائم

---

[1] في و . س (مخ + مط): ((ولاحت)).
[2] في وبغية الرواد: ((للثغور البواسم)).
[3] في و . س (مط): ((المخاضي)).
[4] في بغية الرواد: ((فجددت)). وفي و . س: ((وجردت)).
[5] نفسه: ((فيه عزائمي)).
[6] في و . س (مخ): ((وصرنا ضحىً)).

قدمنا وكان الفتح يرجو قدومنا

وكان على الأعداء شرّ المقادم

/11ظ/وصفُّوا صفوفا ثم صفت صفوفنا

وخط بها الخطي بين الحلاقم[1]

وجالت ليوث الحرب بين صفوفها

وخط بها الخطي بين الحلاقم[2]

ولاح شعاع الهند بين صفوفنا

كبرق تبدى بين درج الأراقم[3]

سمونا إلى اسطفطيف[4] واشتد بيننا

حروب تشيب الرأس قبل الفطائم

كررنا عليهم كرة بعد كرة

وقد سعرت[5] للحرب نيران جاحم[6]

---

[1] جاء عجز هذا البيت في و . س (مخ) وبغية الرواد هكذا:
((وسالت دموع القوم مثل العنادم)).

[2] هذا البيت سقط في زهر البستان؛ وهو موجود في البغية، والواسطة.

[3] الدَّرَجُ جمعه أدْراج ودِراج: الطريق. الأراقم: من أخبث الحيّات؛ لونها مرقطة بالأبيض والأسود.
وجاء هذا البيت في و . س (مخ): ((ولاح شعاع الهند بين صفوفنا كبدر تبدَّى بين درج الأراقم)).
أما في بغية الرواد فكتبت: ((بين خميسها)) بدلاً من ((صفوفنا)).

[4] في و . س (مخ): ((سمونا إلى الصفصيف)). وفي بغية الرواد:
((علونا على الصفصيف)). والصفصيف وأحياناً اسطفطيف: اسم الوادي الصغير المجاور لتلمسان حالياً.

[5] في بغية الرواد: ((شعلت)).

[6] جَحَمَ جَحْماً النار: أوقدها. والجاحِم: الجمر حينما يشتعل بشدة. وجاحِم الحرب: ضيقها وشدتها.
والجاحم من الحرب: معظمها وشدة القتل في معاركها.

بضرب يزيـل الهـام[1] عـن مستقره
وطعـن مـضى بيـن الكـلى والحيـازم[2]

فهـذا أسيــر صفَّدتــه يـد الــوغى
وهـذا قتيــل في عجـاج المصــادم[3]

فطـوبى لعبد الـواد عند ازدحامهـم
لقـد جدلـوا في الحـرب كـل مزاحـم

وجالـت خيــول العامريــة فوقهــا
أسـود الشَّــرَى في بحرهـا[4] المتلاطـم[5]

وعـاد شعاع الشمس في الجـو أصفـرا
وجـال ذبـاب السيـف بيـن الغلاصـم[6]

جعلنــا كراديسـاً على كـل ربــوة
وطالـت رقـاب الأسـد تحت العمائم

شددنـا عليهـم شـدة بعــد شــدة
فولـوا فـرارا والتجـوا للمعاصـم[7]

---

[1] مفرد الهام الهامة: رأس كل شيء.
[2] كُلَى وكُلْيات مفردها كُلْيَة: وهي أحدى الغدتين في الإنسان والحيوان؛ وضيفتهما تصفية البول وإفرازه من الجسم. والحَيازِم وحَيازِيم مفردها حَيْزوم: وسط الصدر. وفي حال الكناية عن الصبر يقولون: (شُدَّ الحَيازِم).
[3] الصَّدْمُ: ضرب شيء صلب بمثله. والتَّصَادُمُ: التزاحم. والجيشان يتصادمان: يتضاربان. والمصادم: مواضع التصادم.
[4] في واسطة السلوك: ((في موجها)).
[5] ورد هذا البيت في بغية الرواد هكذا:
((وجالت خيول العامرية عندها   كأسد الشَّرَى في موجها المتلاطم)).
[6] الغَلاصِم مفردها الغَلْصَمَة: رأس الحُلْقوم.
[7] سقط هذا البيت في زهر البستان. بينما ورد في البغية والواسطة.

وداروا بأســـوار المدينـــة كلهـــا

كـدور سـوار فـوق حسـن المعاصـم[1]

وقد برزت من خذرها كل غـادة

درجـن عـلى الأسطـاح درج الحمائـم

وقـد عـاد ذاك الجمـع منهم مكسـرا

بجمـع لنـا بيـن الكتائــب سالــم

فرامـت مريـن الصلـح بعد فرارهـا

وقـد ظلمـوا عمـداً ولسـت بظالـم

فلا صلح حتى تضرم الحـرب نارهـا

وتسَّاقـط الأبـدان تحـت الجماجـم

وتُخـلا مـن الأعـداء دار عهدتهـا

مـع الغانجـات الناعمـات الكرائـم[2]

وجئـت[3] تلمسـان التي كنت أرتـجي

كمـا ذكـروه[4] في الجفـر أهـل الملاحـم

---

[1] هكذا في زهر البستان، ومخطوط واسطة السلوك؛ بينما كتب في مخطوط واسطة السلوك، وبغية الرواد: ((فوق أبهى المعاصم)). ويبدو أن بيت زهر البستان أسلم؛ وذلك بسبب عيب الإيطاء في بغية الرواد وواسطة السلوك؛ وذلك بتكرار كلمة: ((المعاصم))؛ على التوالي بعد البيت السابق..

[2] في بغية الرواد، وواسطة السلوك: ((مع الآنسات الناعمات الكرائم)).

[3] في واسطة السلوك، وبغية الرواد: ((دخلت)).

[4] في بغية الرواد: ((كما ذكروا))، وفي واسطة السلوك: ((كما ذكرت)). وما جاء فيهما أفضل مما ورد في زهر البستان

وخلصت[1] من غصابها دار ملكنا
وطهرتها من كل باغ وظالم[2]
لقد أسلموها عنوة دون عدة
وقد[3] طلقوها بالقنى والصوارم
ولم يغنهم ما شيدوا من معاقل
ولم يجدهم ما حصنوا من معاصم
ولا كثرة الجيش اللهام مدرعاً ولا الظبى[4]
ولا ما أعدوا من قسي سواهم[5]
إذا لم يكن للمرء سعد مساعد
فما تغني تعداد[6] الجيوش الخضارم[7]
نظمنا شتيت الملك بعد افتراقه
وكم بات نهباً شمله دون ناظم[8]
/12و/شددنا له أزراً وشدنا بناءه
بأوثق أركان وأقوى دعائم

[1] في بغية الرواد، ومخطوط واسطة السلوك: ((فخلصت)).
[2] هكذا أيضاً في مخطوط واسطة السلوك؛ بينما كتب في النسخة المطبوعة وبغية الرواد: ((باغ وجارم)).
[3] في بغية الرواد: ((لقد)).
[4] نفسه: ((ولا الجيش اللهام ولا الظبى)).
[5] في الأصل بزهر البستان: ((قس سواهم))؛ ولكن جاء في بغية الرواد، وواسطة السلوك: ((قسي))؛ وهو أفضل.
[6] في بغية الرواد: ((فما تغنه عد)). وفي و . س (مط) كتب: ((فما يغني إعداد الجيوش)).
[7] الخِضْرِم خُضَارِمٌ: الكثير من كل شيء.
[8] في واسطة السلوك (مط): ((غير ناظم)).

فعـادت[1] ملـوك الأرض تـأتي مطيعـة

إلى بابنـا تبغي التماس المكـارم

وجـاءت لنـا من كـل أوب ووجهـة

تبايعنـا طوعـاً وفـود العمائـم

أنـا الملـك الـزَّابي ولسـت بـزابي[2]

ولكنني مفـني الطغـاة الأعاظـم[3]

إذا مـا أتـت من بعـد ستيـن سبعـة[4]

نبيـد مرينـاً كـل طـاغ وجـارم[5]

وإني لمفنيهـم ومفـني جموعهـم

وهـادم مـا قـد شيـدوا مـن معالـم

سطيـح وشـق أخبـروا في جفورهـم[6]

بذلـك حقـا تحـت حسـن التراجـم

---

[1] في بغية الرواد وواسطة السلوك: ((فصارت)).

[2] كتبت هذه الأخيرة في واسطة السلوك(مط) ((زابئ)).وزَابِي الأولى:نسبة إلى منطقة الزّاب الممتدة حول بسكرة.أما زَابِي الثانية: فتعني الهروب والانسلال متخفياً؛ لذا فهو ينفي عنه تلك الصفة. ومعنى البيت هنا هو: أنه يقول: أنا الملك المنتسب لمنطقة الزّاب؛ ولكنني مع هذا لست من الذين يهربون وينسلون في الخفاء.

[3] في بغية الرواد: ((الطغاة الطماطم)). أما كلمة طُماطم:فمعناها العُجْم.

[4] المقصود هنا: سنة 760 هجرية.

[5] هذا البيت؛ والبيتان المواليان مباشرة سقطت في البغية والواسطة.

[6] الجَفْر: ضرب من التنجيم؛ سبق الحديث عنه. أما سَطيح: فاسمه ربيع بن ربيعة (توفي حوالي 572م)وهو كاهن؛ اشتهر بالتنجيم مع صنوه شِق؛ وتقول الأساطير أنه كان دوماً منسطحاً على الأرض؛ لا يستطيع القيام؛ ولا حتى الجلوس. وقد عمر مدة طويلة. أما شِق: فقد توفي (في حدود سنة 583م). ويُعَد ـ مع سُطيح ـ من أشهر الكهان أيام الجاهلية. وتقول الأساطير:أن شِقاً كان بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة؛ وقد عمر هـو الآخر طويلاً .

فقمنــا بأمــر الله في نصــر دينــه
وفي فكّ[1] ما قد أحدثوا من مظالم
فللـه منـا الحمـد والشكـر دائمـاً
وصلى على المختار من آل هاشم

***

أنظر إلى براعة هذا السلطان المنصور؛ ووفرة مادة فكرته المؤذنة بالظهور؛ وكيف نزعت همّته الشريفة، الكريمة إلى نظم هذه القصيدة الفريدة، اليتيمة؛ لم يشغله عن الفصاحة؛ الطبيعة، وعناء السفر، ولا مقارعة **الأعراب**؛ أهل **سويد**. وهذا دليل على ربط الجأش السليم، والشباب الذي لا يشوبه تخيل، ولا يعامل بالتوسم. وتلك غريزة مدَّه الله بها؛ مع الشجاعة الفائقة، والفطنة السليمة الرائقة. ومتى نظرت إلى جميع أحواله، وكفاءة خصاله؛ دلتك على التأييد، وأَرَتْكَ سِيَرَ الملوك الصناديد. أنظر كيف خرج من بلاده؛ فريداً، مطلوباً في نفسه، شريداً؟ فجمع عليه عتاة **العرب**، واستمالهم ومدّ لهم بالأطماع، وزين لهم أعمالهم؛ فانقادوا إليه؛ على عتوِّهم، ونفورهم؛ واقتحموا معه متاهة الحرب باختيارهم؛ ألف كلمتهم بعد الاختلاف، وقصد بهم مدينة **تلمسان**؛ للحروب والإيخاف؛ وبها الجيوش الوافرة، والأعداد المتكاثرة؛ وتلك من سياسة الصانعة الحسناء، والكفاية التي لا يقدر

[1] في بغية الرواد، وواسطة السلوك: ((وفي كفّ)).

عليها إلاّ الكيس من الرؤساء. وفي أخذه **تلمسان**، ودخوله /12**ظ**/للقتلة،[1] والبحث على فاعل هذه الفعلة[2] ؛ فسارت الجواسيس إلى جهة **كبود، ودرج** ؛ ليعلموا من أين انقطع معظم هذا الهرْج ؛ فأتت الجواسيس من تلك الجهات، وعرفت لمرسلها المريني[3] بما عاينت من **بني عبد الواد** الحماة ؛ وأخبرته بشأن سلطانهم، ومن هو من أبناء ملوكهم وأعيانهم ؛ وأنه لا بد من إتيانه إليهم، وعمله عليهم. ولما سمع بذكر **بني عبد الواد** ؛ وأنهم قاصدون بسلطانهم للبلاد ؛ جرد حصة من خمس مائة فارس ؛ وصرفها **لكبود** ؛ لقطع جادة هؤلاء ؛ العسكر ؛ فوصلوا لنصف الطريق ؛ ولم يتجاسروا ؛ وقفلوا راجعين ؛ ولم يأتوا بعلم ما عليه تظاهروا ؛ وعادوا لمرسلهم بغير علم، وباتوا على حرد ؛ بعد أن كانوا في سلم. والقائد **المربي**[4] من ذلك في قلق، وتحت لهيب من الخوف وأرق. ثم بعث حصة أخرى، وحضهم على أن يباشروا العدو ؛ فهو أحق وأحرى ؛ وحذرهم أن يرجعوا بغير علم كالأولين، وأن لا يقتصروا على الملاقاة بهم ؛ أين ما وجدوهم مستقرين. فسارت الحصة إلى أن كادت تقاربهم ؛ إشرافاً عليهم ؛ ورجعت **لتلمسان** ؛ ولم تصل إليهم. فلم يقف المربي المذكور من

---

[1] يبدو أن سياق الكلام انقطع هنا؛ وربما قفز الناسخ من سياق الحديث عن أبي حمو إلى الحديث عن المرينيين المتواجدين بتلمسان.

[2] المقصود هنا؛ هي الموقعة التي قُتِل فيها بنو عريف بوادي ملال.

[3] هو يغمراسن بن عثمان الورسفاني؛ وكافل الأمير محمد المهدي بن أبي عنان. أنظر بغية الرواد، ص: 71.

[4] سماه هكذا؛ لأنة كافل الأمير محمد المهدي بن أبي عنان؛ ومتولي تربيته. وسماه عبد الرحمن بن خلدون: ((سعيد بن موسى العجيسي؛ من صنائع السلطان)). العبر، مج: 7، ص: 627. ويقصد السلطان أبي عنان.

علمهم على يقين؛ ولولا أكلة **سويد**[1]؛ لكذبت **بنو مرين**. ولما لم يعرف لهم خبر، ولا تحقق لهم أثراً؛ تحيَّر بين تصديق، وتكذيب، وتبعيد، وتقريب. إلى أن ذكر له المولى **أبو حمو** بينهم؛ وأنه يسّر له كل ما تعسر. فاضطربت **بنو مرين بتلمسان**، وهمت بالفرار قبل الضراب والطعان. وأخذ أهل **المغرب** في القال والقيل، وداخلهم الرعب، وعظم التخبيل؛ فطائفة تقول بترك **تلمسان**، والتسليم بالكلية في هذه الأوطان، وطائفة تكذب بوجود هذا السلطان. وعندما عاين **المربي** شدة اضطرابهم، وإساءتهم في خطابهم، وقلة صوابهم؛ أشغلهم بالميز، وإحصاء العدد، وبتقيد المرتب، وإعطاء العدة. وجعل يتسبب في غمهم من الغفلة، ويحذرهم من التبلد والمهلة. فإن **المربي** كان من أحسن /13و/فرسانهم، وحامية حربهم وطغيانهم. ثم عطف عليهم في سيرهم المذكور؛ حين اجتمعوا بعددهم الموفور؛ وقال: يا **بني مرين**؛ مما داخلكم الفشل، وأصابكم العجز والكسل؟ أخوفاً من **بني عبد الواد**، أم من **البرابر** أهل هذه البلاد؟ فإن كان الخوف من **بني عبد الواد** في التقدير؛ فقد بلغني أنهم في نفر يسير؛ ولو علمت أين مقرهم لنهضت بنفسي إليهم؛ ولضربت بحصة عليهم؛ وقد أتاني العلم بهم، وبغاية أمرهم ومطلبهم. ثم قال: وما عسى يبلغ عددهم القليل؛ فلا يقلقكم هذا التخبيل؛ وإن كانوا فما هم إلاّ كعشركم؛ فأين فلهم من كثرتكم؟

---

[1] أي: ولولا مقتلة سويد... وكلمة ((أكل)) سيستعملها كثيراً صاحب زهر البستان؛ بمعنى القتل، والاستلحام، والاكتساح.

أفلال في البلاد؛ ولنا البلاد؛ والأعواد[1] لنا من **قسنطينة** إلى **السوس الأقصى**؛ وجيوشنا لا تحصى ولا تعد. فذعنوا لمقاله، واغتروا بزخرف محاله. ثم نظروا إلى ما هم فيه من العدد؛ فسكنت نفوسهم للجلد. ثم إن الوزير **يغمراسن؛** استحضرهم أيضاً على بكرة أبيهم؛ لينظر حالتهم في انقيادهم. أو ما بهم. وقال لهم: ما رأيكم ـ يا **بني مرين** ـ في شأن هذا الرجل، **وأعرابه** المنفردين؟ فإنه لا بلد له يرجع إليه، ولا عظيم قبيل يركن إليه ويعول عليه؛ ولو كان له بعض الحصون التي بأيدينا؛ لكان بذلك وصله إلي نادبا، ولو كان مزوداً بالرماة، ومعضداً بالحماة؛ لاتقينا شره، وتخوفنا أمره؛ لكنه رجل منفرد في **أعراب**، غير صبور للطعن والضراب. ومن المعلوم أن **العرب** لا تستطيع أخذ البلاد؛ ولو اجتمعت بملء الأرض من الأعداد. يا **بني مرين** تكلموا، ولا تقتصروا، وانظروا في مقالي هذا، واختبروا، واعملوا ما يشكر لكم ليوم القيام، ولا تسلموا بلدكم سلم اللئام. فأجابوه بلسان واحد: ليس إلاّ الخروج لقتاله، والعمل على ملاقاته وجداله؛ ثم قالوا: ليس إلاّ القتال على ابن ملكنا؛ وهو الواجب لما حولنا وملكنا. ثم إن الخبر أتاهم؛ أن المولى **أبو حمو** عبر لهم من **يسر**؛ فاعتد كل منهم لقتاله وتشمر؛ ثم اتصل بهم؛ أن القبائل أتته هارعة، وإلى بيعته سامعة، طائعة؛ فاشتد خوفهم لهذا **/13ظ/** المقال، وأصيبوا بالرعب والانفشال[2]. ثم أن المولى **أبا حمو**

---

[1] أي منابر الدعاء في المساجد.
[2] فش فشلاً: ضعف وتراخى. إنفشل: ذعر. والقصود هو: أصيبوا بالفشل.

أتاهم بما معه من الأحشاد، ونشر رايته المقرونة بالنصر والاعتضاد، وأقبل نحو **تلمسان**؛ إقبال الأسهام[1]؛ واحتفل به وجوه **بني عبد الواد** الكرام. ولم يزل يزاحم، ويقترب، ويقتحم؛ ولا يلتفت؛ إلى أن وقف **بتيط، وشقوف (شـقوف)**[2]. وصَفَّ بها المراكب، واستظهر بالصفوف؛ وعندما عاينه **بنو مرين**؛ خرجوا إلى قتاله مسرعين. فقاتلهم قتالاً شديداً، ولقوا منه ألماً مبيداً؛ فوقفت الحرب على ساق، وشدت **بنو عبد الواد** في الإرهاق، وصاحت بالثارات القديمة، وأظهرت شجاعتها الصميمة؛ ثم دفعوا بجملتهم دفعة واحدة؛ فهزموهم هزيمة شنيعة غامرة؛ فأعطوا رقابهم فراراً إلى البلد؛ ولم يغنهم كثرة ذلك العدد. وعندما ولوا على أعقابهم منهزمين؛ وقع القتل في كبار **بني مرين**؛ فمات في ذلك اليوم **الونجاسي؛ علي بن مسعود**[3]؛ كبير من حماتهم الأسود؛ ومات معه جملة من الفرسان؛ ولم تزل الهزيمة إلى **باب تلمسان**.

ثم أن المولى **أبا حمو**؛ عاد بمن معه إلى محلته، جذلان القلب بهزيمة العدو وخداعته[4]؛ فبات ليلته تلك إلى الصباح؛ وفي الغد صبح

---

[1] هكذا.
[2] تيط: موقع قريب من تلمسان ورد ذكره أيضاً في بغية الرواد؛ ولكنه الآن غير معروف؛ وكل ما في الأمر؛ أن هذا الاسم شائع في بلاد المغرب كلها؛ فثمة مدينة مندثرة في دكالة بالمغرب الأقصى كانت تسمى تيط؛ وبالقرب من تمنراست توجد الآن قرية تسمى تيت. وتيط بالأمازيغية: هي العين الجارية. وشقوف أيضاً مكان بالقرب من تلمسان؛ كما ذكره صاحب بغية الرواد؛ ولكن تعذر تحديده الآن. وشقوف كذلك اسم لبعض الأمكنة في بلاد المغرب.
[3] ورد اسمه بهذه الصفة في بغية الرواد.
[4] هكذا.

على **قنطرة وهران**[1]؛ عاملاً على الكفاح؛ فعند ذلك خرج إليه أهل **تلمسان** بالرّماة، والأجناد، والأغزاز[2]، والفرسان؛ وتأهبوا لقتاله، واعتدّوا، وعلموا ما لقوه بالأمس، واشتدّوا، ووقع القتال، وتطاعنت أسود الحرب والرجال، وصالت الفرسان، وتمادى الحرب والطعن. ثم أن **بني عبد الواد** عادت[3] إلى شدتها المعروفة، وإلى طلب ثاراتها الموصوفة؛ فانصرعت أبطال الجلاد، وعملت المرهفات الحداد، واشتعلت النيران، وشدت أسود الحرب الطعان. فعندما عاين **بنو مرين** ثبات **بني عبد الواد**، وانفشال أصحابهم بعد الجلاد؛ ولّوْا[4] على أعقابهم منهزمين، وتمادت الهزيمة على **بني مرين**، واستأصلوهم بالقتل الذريع، وأوقعوا بهم أعظم توقيع؛ وذلك من **القنطرة** إلى **الزلاقة**[5]؛ فيا لها /14و/من هزيمة، ومن صدمة. ثم دخلت **بنو مرين** إلى البلد، ووقف المولى **أبو حمو** بما معه ـ **بالزلاقة** ـ من العدد؛ فبات ليلته **بالزلاقة** المذكورة. وفي غد أصبح للقتال بعصابته المشهورة؛ فسدّ أهل **تلمسان** الأبواب، واعتصموا بالسور نعم المهاد. فتقدم المولى **أبو حمو** لقتال الأسوار؛ عاملاً على الحصار. فأمر وزيره **ابن برغوث**[6] بقتال

---

[1] يبدو أنها تقع قبل قنطرة وادي الصفصيف؛ وهي في الجهة الشرقية من تلمسان.
[2] أي الغز: وهم فئة من الترك.
[3] في ألأصل ((عاد)).
[4] في الأصل: ((ولو))؛ بدون الألف.
[5] يبدو أن الزلاقة هذه تقع على أطراف تلمسان؛ سميت بذلك تيمناً بمعركة الزلاقة الكبرى في الأندلس.أما القنطرة فهي قنطرة وهران المذكورة سابقاً.
[6] هو موسى بن علي بن برغوث؛ أحد وزراء أبي حمو.

باب العقبة[1]**.** وسار المولى **أبو حمو** إلى **باب كشوطة؛**[2] لما ظهر له من الظفر والغلبة. فكان **المربي** المذكور **بأجادير؛**[3] فدخل عليه عنوة كما حكمت المقادير. ولما دخل **ابن برغوث أجادير** عنوة؛ عاين **بنو مرين** الهلاك والسطوة؛ أعطوا صفقة أيديهم على أخذهم على الآمان التام. فعاملهم معاملة من ثاب بعد الحرب إلى الاستسلام. ثم فتحوا باب **كشوطة** على الأثر؛ ودخل المولى **أبو حمو** بما جاء به من الزُّمَر. ولما دخل **تلمسان،** وحل بحضرة أسلافه الكرام؛ بادرته **بنو مرين** بالمبايعة بذلك المقام؛ تقدمهم **المكتفي** ولد **أبي عنان**، وتلاه **المربي، ويغمراسن ابن عثمان؛** ثم استمرت مبايعة جميعهم؛ حتى لم يبق أحد؛ لا من رفيعهم، ولا من وضيعهم؛ ثم أمرهم بالمسير؛ وأن لا يبقى **بتلمسان** منهم أحد؛ لا من كبير، ولا من صغير؛ ثم انتزع خيولهم؛ وركب قبيله؛ وبلغه الله فيهم مأموله. فكان دخوله إليها في غرة ربيع الأول المبارك من عام الستين[4]؛ الذي هو عام الفتح المبين. ولما تمهدت البلاد للمولى **أبي حمو،** وتأثل سلطانه، وثبت في مقر أسلافه الكرام، وعظم شأنه؛ أتاه أهل الوطن، وبايعوه البيعة الكبرى؛ وكان أحق بها وأحرى. وفي أثناء هذه المبايعة؛ وافاه مولد **النبي صلى الله عليه**

---

[1] يقع هذا الباب في الجهة الشرقية لتمسان. ومنها إلى تلمسان القديمة المعروفة بأغادير.

[2] تسمى باب كشوط؛ أي باب الأكشاك؛ وتقع في الجهة الجنوبية الغربية لتلمسان؛ أين بناها يغمراسن سنة 668هـ/1269م؛ مدعمة بأبراج وأسوار.

[3] أو أكادير؛ ومعناها ـ على الأرجح ـ مخازن الحبوب. وهو اسم المدينـة الأمازيغية الأزلية لتلمسان.

[4] أي 760هـ/1358م.

وسلم ؛ فكان أول موسم وافاه وهو إمام ؛ فصنع ليلة باهرة ؛ عن كل خير سافرة ؛ أنفق فيها غاية الإنفاق، وأوسع توسيع الاحتراف ؛ وباتت الشعراء ـ بالقصائد ـ يذكرون ما له من المواقف، والمشاهد ؛ فعمل على نظامهم، وثاب ـ بنخوته ـ إلى إكرامهم، وأظهر محبته للشعر ؛ وأنه يدين بالنظم والنثر ؛ ثم أحسن **/14ظ/**لهم الجوائز وأجزلها، وبادر بإعطائها وكملها ؛ فكانت ليلة عظيمة سامية ؛ صحايف الآثار فيها سامية ؛ سلك فيها أحسن المسالك، وظهر له الطبع الفاضل بذلك. وسأذكر ـ الآن ـ من قصائد هذا المولد السعيد المبرور ؛ ما تخير ؛ على وجه التبرك بالمولد السعيد والظهور. فمن ذلك ما قاله الفقيه القاضي **أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسني**[1] المعروف **بابن يعلى ؛** عفا الله عنه[2] :

أشهر[3] بالأمـــالي والأمـــاني   أنال العالميـــن ذوي الأمـــاني

---

[1] ليس هو الفقيه العالم محمد بن أحمد بن علي الشريف الحسني صهر أبي حمو؛ والمدرس بالمدرسة التي خصصها له السلطان أبو حمو. إنما هو ـ كما جاء في الترجمة 615 بكتاب درة الحجال ـ ((محمد بن يَعْلَى الشريف الحسني أبو عبد الله. أخذ عن منديل بن أبي آجروم [مؤلف الأجرومية] وغيره. له شرح على المقدمة الجرومية [الأجرومية]؛ سماه "الدرة النحوية في شرح معاني الجرومية")).

[2] نظمت هذه القصيدة في بحر الوافر (مفاعلتن مفاعلتن فعولن). ويجوز في مفاعلتن = مفاعيلن، وفي فعولن = فعول. وفي الأعاريض: فعولن، وفي الأضرب: فعولن. ولم ترد إلاّ في زهر البستان؛ وهي متواضعة شكلاً ومضمومنا. كما أنها نسخت بشكل يصعب استخراج معانيها، ولا تفكيك كلماتها؛ بالإضافة إلى الأخطاء الإملائية؛ حيث بُتِرَتْ بعض الحروف، وسقطت كلمات بكاملها؛ فاختل بذلك وزن أبياتها، واضطربت معانيها.

[3] في الأصل: ((أشهرا))؛ وهذا خطأ يؤدي إلى خلل في الوزن.

بمقدمك [انجلى الحق المعلا][1] بأنـوار البشائـر والتهـاني

ألا أهـلا محيـاه وسهـلا وأهـلا بالتـلاقي والتـدان

وأهلا بالهدى والرشد أهـلا وأهلا بالحبيب [مدى الزمان][2]

محمـد النـبي الهاشـمي شفيع الخلق في يوم الهوان

أنـال العـز والعليـا مكانـا ودانـا بالتلطـف والحنـان

وأنقذ من لظى وحمى ونعمى[3] نعـم، وأحَلَّنـا دار الجنـان

لـه بدر السماء انشق طوعا [كذاك][4] الشمس ردت للعيان[5]

كـذاك الضـبّ كلمـه مجيبـاً كذاك الظبي وافى للضمـان[6]

كذاك الجذع حنّ لـه اشتياقاً [وأنَّ بِلَوْعَةٍ وحنانه، كواني] [7]

كذا الأشجار يدعوها فتـأتي[8] تخدّ[9] الأرض طائعـة العنـان

---

[1] هذا الشطر مضطرب ومعظم كلماته غير مفهومة؛ فجاء هكذا: ((بمقد~مك الأأقهلا المحلى)). هكذا بالضبط. وعليه فقد وضعنا ما ورد أعلاه بين حاصرتين؛ لكي يتمكن القارئ من متابعة بقية الأبيات.

[2] كتب في الأصل: ((...اللـذ تـران))؛ فتعذر استنتاج المقصود. وعليه فقد وضعت أعلاه عبارة بديلة؛ بين حاصرتين.

[3] هكذا.

[4] في الأصل: ((كذلك))؛ وهذا يخل بالوزن. فوجب التصويب.

[5] يشير هنا إلى معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم: منها انشقاق القمر، وارتداد الشمس بعض الوقت؛ بعد أن شارفت على الغروب. حدث هذا في يوم الخندق؛ إذ دعا الرسول (ص) فردت الشمس؛ لكي يصلي العصر في وقته. بعد أن نام علي ركبة علي كرم الله وجهه.

[6] معجزة الضّب سيأتي الحديث عنها فيما بعد. أما معجزة الظبي؛ فتتعلق بالظبية التي اصطادها بعضهم، وشدّوها على عمود فسطاط؛ فمرّ الرسول عليه الصلاة والسلام بهم؛ فكلمته متوسلة أن يأمرهم بإطلاقها حتى ترضع صغارها ثم تعود. فطلب منهم ذلك وضمنها؛ فاستجابوا له وأطلقوها. فأوفت الظبية بوعدها إذ عادت إليهم بعد الاطمئنان على صغارها.

[7] نسخ هذا الشطر هكذا: ((ودرع الشتات أإليهم الرهان)). وهذا كلام غير مفهوم بالمرة. وعليه فقد فقدنظمنا شطراً بدلاً منه؛ ووضعناه بين حاصرتين؛ لمساعدة القارئ على مواصلة القراءة دون بتر أو انقطاع.

[8] أما معجزة الأشجار؛ فمفادها أن الأشجار تجمعت حول رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لكي تستره؛ عند قضاء حاجته في الخلاء. وبعد انتهائه عادت كما كانت إلى مواضعها المتفرقة.

[9] خَدَّ الأرض:شق الأرض وجعل فيها أخدوداً.

وكم للمصطفى من معجزات   وآيـات على مـرِّ الزمـان
أمولانا رسـول الله شكوى   مطيـع طايـع بالغرب عـان
تَخَلَّفْ[1] والركاب إليك جرّت   رواحلهـا وسـاروا في أمـان
وما إن للعُبَيْـدِ سواك ذخراً   لما يرجـوه من نيـل الأمـان
ورحلي قد حططت برحب ملك   مطـاع لا يضيع بذي هـوان
مليـك حـازم عـدل همـام   سـمي سيـد سـامي المكـان
أمولانا استعن بالنصر طولاً   وثـق باللـه في كـل الأوان
/15و/ألا فاهنأ بما ترجوا فهيا   وأنت مع السعـادة في قران
سمت بك همة عليا تجلت   محل الحمل في أعلى امتكـان[2]
وتطلـب أن تبلغها الليـالي   علـوا ليـس يمكن في مكـان
وقد كثرت عن الأشياء حتى   مضت عُلُواً ولم تحفل بشـان
فما ترضى بأعظم ما ارتضته   ملوك الأرض من بـاق وفان
جرت جري الجموع إلى محل   بعيـد مـا ثناهـا عنـه ثـاني
سليل المجد قد أعطيت علماً   وأنت من الصبا في عنفوان
مليـك تحـت بهجتـه وقـار   كنـار قـد تجلـت من أمـان
لقد نُصِرَتْ جنودك في الأعادي   وكرُّوا من سعودك في ضمان

[1] وقع الناظم هنا في عيب التضمين؛ بسبب بدء هذا البيت بكلمة: ((تخلف)) المتعلقة بقافية البيت السابق.
[2] واضح من آثار التصحيح؛ أنه كتبها في البدية: ((مكان))؛ ثم تراجع لكي لا يقع في عيب الإيطاء؛ فجعلها: ((امتكان))؛ خاصة وأن كلمة: ((مكان)) وردت في البيت الموالي مباشرة.

قد اعتلقت أكف الناس منه   بثبت القلب [صونا للعيان][1]

إذا ما غرَّة الزيغ [عنته][2]   غزا بالقلب واليَدِ واللسان

لقد أظفى أبو حمو علينا   ظلال العدل في كنف الأمان

أبو حمو بن يوسف خير ملك   تلمسانٌ بها نال الأماني

أقام بها الشريعة فاستقامت   لدين الله آثار تراني[3]

يصمم في الجموع بلا افتخار   ويسهم في الجزيل بلا امتنان

فتحفل من ندى يده الثريا   ويكشف في سناه البشرَآن[4]

شديدٌ لينٌ يُخْشَى ويُرجَّى   [رحيم في مُلِمَّات خِشان][5]

وجوه الحسن في تلك السجايا   وجود الجود في لَكِّ[6] البنان

من القوم الذين جنوا وأجنوا   ثمار النصر يانعة المجان

بني[7] زيان زين الملك أصلا   ليوث الغاب في الحرب العوان

لهم حَسُنَ الزَّمان وطابَ نشراً   كذا الألفاظ تحسن بالمعاني

---

[1] رسم الناسخ هذا الشطر هكذا: ((بثبت القلب حفلها العيان))؛ وهو غير سليم؛ فعدلت العبارة الأخيرة؛ ووضعت أعلاه بين حاصرتين.

[2] في ألأصل: ((عنت)). كما أصيبت التفعيلة الثانية بزحاف (الكفّ). وذلك بسقوط حرف ساكن في آخر التفعيلة الثانية.

[3] هكذا.

[4] هكذا.

[5] جاء هذا الشطر في الأصل مضطرب المعنى، ومختل الوزن هكذا:
((كذا المجد استزاد في التيان)). وعليه؛ فقد نظمنا شطراً أخر وضعناه بين حاصرتين؛ لتمكين القارئ من مواصلة قراءة المنظومة دون انقطاع.

[6] لكه: ضغطه.

[7] هكذا. والصحيح: ((بنو)).

لقد أسكرت أهل الربع حتى بخمر الذعر لا خمر الدنانِ
فكم لك فيه من بطل صريع وكم من موبق في القيد عان
/15ظ/صبت عليهمُ سيف انتقام إذا ذكروا[1] المنية هو ثاني
خطيب يَنْظم البيت انتظاماً وينثرها بهم نثر الجمان
تجرده عن القمر المحلى وتكسوه برود الأرجوان
أمولانا ابن مولانا هنيئاً بمجد لا تحيط به التهاني
فكم نظَرٌ إليك بلا انتهاء أعندك منه بالسمع المتان[2]
إذا أعطى جنى النحل المصفى فممزوج بسمٍّ الأُفْعُوان[3]
فليس أريده غير اصطباري وليس يريدني غير امتحان
وما إن خفت منه وأنت قاص فكيف أخاف منه وأنت دان
وقد عاينت إحساناً وبشرى هما قادا هواي وقلدان
وكم أثنيت عنك بكل فخر ولكنَّ اليقين مع العيان
[وهأنذا][4] رفعت إليك شعراً تنافسني عليه الشعريان[5]
بقيت مجرراً ثوب المعالي ودمت مُنَظِّماً سلك الأمان

***

[1] كتب في الأصل: ((ذكروا لمنية)). بحيث سقطت ألف؛ سواء كانت ألف الجماعة، أم الألف المشتركة مع لام التعريف. وهذا خطأ؛ وجب تصويبه.
[2] هكذا. ولعلها: ((المثاني)).
[3] الأفعوان: ذكر الأفعى.
[4] كتب في الأصل، وضمن النص الأساس: ((وها أنا))؛ بينما وردت: ((ذا)) في الهامش. وعليه فرسم هذه العبارة بالطريقة المذكورة؛ يخل بالوزن؛ وعليه فقد صوبت العبارة ووضعت بين حاصرتين.
[5] الشعريان: هي العبور التي في الجوزاء.ويبدو أن الشاعر زج بهذه الكلمة زجاً هنا.

وللفقيه **أبي محمد عبد المؤمن بن يوسف المديوني** عفا الله عنه[1] :

مدح النبي المصطفى العدناني ... هو عدتي لقيامتي وكفانِي[2]

صيرته شغلي وغاية مقصدي ... حتى ثوى بجوانحي وجناني[3]

وسعت محبته بقلبي فاكتفى ... وجرت مجاري الروح من جثماني

لم لا وهو خير العباد لمرتضى[4] ... وأجل من وطئ الثرى ببنان[5]

الهاشمي الأوفى الكريم المجتبى ... [من جاءنا بالنور والبرهان][6]

زين القيامة شافع ومشفع ... في مذنب أو معتد أو جان

فهو الرسول إلى الخلائق كلهم ... وهو الدليل لجنة الرضوان

من أجله خلق السموات العلى ... رب العباد مكون الأكوان

ودحى البسيطة فوق ماء جامد ... سبحانه من ملك ديان[7]

من أجله[8] خلق الخلائق كلها ... متخالفي الأشكال والألوان

/16و/ وكذا النبيئون الكرام مِنَ اْجْلِهِ ... خلقوا بلا ريب ولا بهتان

---

[1] نظم الشاعر هذه القصيدة في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)؛ ويجوز في متفاعلن = مستفعلن. ويجوز في الأعاريض متفاعلن أو فَعِلُن. أما الأضرب فيجوز فيها متفاعلن، فَعِلاتن، مفعولن، فِعْلن، فَعِلن.

[2] أي يكفيني، ويغنيني.

[3] ثوى: أقام وسكن. الجوانح: الأضلاع التي تلي الصدر. والجنان ـ هنا ـ هو القلب؛ لأنه مستور تحت الأضلع.

[4] هذا الشطر غير موزون؛ والخلل في التفعيلتين: الأولى والثانية. بسقوط حرف ساكن في آخر الأولى، وزيادة حرف متحرك في الثانية.

[5] البنان: أطراف الأصابع.

[6] كتب في الأصل: ((من جاء بالنور وبالبرهان)).وهذا يخل بالوزن. وعليه فقد صوب الشطر؛ كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

[7] ثمة خلل في التفعيلة الثانية؛ بسقوط حرف متحرك في أولها.

[8] في الأصل: ((ومن أجله))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصحيح؛ بحذف حرف الواو في كلمة: ((ومن)). فأضحى كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

وضعته أمٌّ[1] لم تجد في وضعه … ألماً كما يأتي إلى النسوان
في ليلة أهدت لنا كل المنى … بظهور خير الخلق من عدنان
أربيع زرت زيارة محمودة[2] … أزهارها عبقت بكل مكان
وكسوت وجه الأرض حلة سندس … خضراء أجمل ما ترى العينان
لك يا ربيع على الشهور مزية … أزجيتها[3] بالحسن والإحسان
حزت المفاخر والمحاسن كلها … وعلوت في العليا على الأكوان
فيك استهل نبينا وحبيبنا … وشفيع أهل الذنب والعصيان
لما بدا في صورة قمرية … بل دونها في حسنها القمران
وأتى بوحي صادق من ربه … ودعا إلى الإسلام والإيمان
طارت عتات الجن في أفق السما … فأصابها شهب من النيران[4]
وتنكست أصنام قيصر كلها … من حينها سقطت على الأذقان
فكأنها قُرِئتْ عليها آية … وجب السجود لها من القرآن
والتاج عن كسرى تساقط هيبة … وتفرقت أجزاؤه نصفان
وتهدم الإيوان من أركانه[5] … خوفاً فلا تسأل عن الإيوان
والماء غاض من البحيرة وانطفت[6] … نيران فارس في أقل زمان

[1] حرفت هذه الكلمة في الأصل؛ فكتبت هكذا: ((أُمُنْ)).وهذا خطأ؛ فأمٌ بالتنوين؛ لا بحرف النون كما حدث.
[2] لأن مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقع في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول.
[3] كتبت هذه الكلمة في الأصل: هكذا: ((أذجيتها)). ويبدو أنه تحريف.
[4] مُنِعَتْ الشياطينُ من استراق السمع، وحراسة السماء بالشهب الحارقة؛ وذلك في يوم ولادته صلى الله عليه وسلم؛
[5] الإيوان: بلاط الحكم في فارس.
[6] جف الماء من بحيرة طبريا؛ بولادته عليه السلام.

والرّاهب المعلوم قال لجده[1] احذر بنيك من أذى الكهان
واحفظه من كيد اليهود ومكرهم وعداوة الأحبار والرهبان
فهو الرسول إلى الورى علم الهدى ومعيد أهل الكفر والعصيان
[فإذا][2] بقيت إلى أوان ظهوره وامتد لي عمري وطال زماني
فأمن به وأبذل طاقتي[3] في نصر دينٍ، أفضل الأديان
كم ذا له من معجزات جملة ظهرت وما خفيت على إنسان
منها الذراع بسمها قالت له[4] يا أحمد المحمود يا ذا الشان
/16ظ/لا تأكلنْ لحمي فسمي قاتل من فعل أهل الزيغ والعدوان
والجذع حن له لمحض محبة[5] وبكى بدمع ساجم هتان
والبدر أكبر آية في شقه[6] دلت عليه لمن له عينان

---

[1] قال لعمه أبا طالب وليس لجدّه. والراهب هنا يسمى بَحِيرَى؛ أوصى أبا طالب؛ بأن لا يوغل بمحمد في بلاد الشام؛ خوفاً عليه من اليهود؛ وليس من الكهان والرهبان.

[2] كتب في الأصل: ((فإن))؛ وهذا يخل بالوزن. ومع هذا؛ فقد حاول الناسخ استدراك الأمر؛ ولكنه سقط في خطأ آخر. وعليه؛ فقد صوبنا الخلل بوضع كلمة: ((فإذا)) بين حاصرتين؛ لكي يستقيم الوزن.

[3] وقع خلل بسيط في ضرب البيت؛ إذ سقط حرف متحرك في بدايته (/).

[4] يشير إلى ذراع الشاة التي سممتها زينب بنت الحارث، وقدمتها هدية إلى رسول الله؛ لكي تقتله؛ تقتله؛ فقال عليه السلام: ((إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم)).

[5] ورد في بعض كتب السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب على جذع، ثم تركه؛ فأخذ الجذع يئن أنيناً يسمعه من كان بالمسجد؛ فنزل عليه السلام من حيث كان يخطب، وضمّ الجذع إلى صدره وقال:هدأ جذع، هدأ جذع؛ إن أردتَ أن أغرسك فتعود أخضراً، يؤكل منك إلى يوم القيامة؛ أو أدفنك فتكون رفيقي في الآخرة. فقال الجذع: بل ادفني؛ وأكون معك في الآخرة".

[6] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "انفلق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فصار فلقتين: فلقة من وراء الجبل وفلقة دونه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشهدوا "

ثـم الغمامـة فوقه مهما يسـر[1]   هـذا لعمـرك أعظـم البرهـان
والضـب خاطبـه ونـادى معلنـا[2]   حييت[3] يا من خُصَّ بالفرقـان
أنـت النـبي الهاشميُّ المجتـبى   صلى عليـك اللـه كـل أوان
والماء حتى مـن أصابعـه جـرى   فروى جميع الجيش دون تـوان[4]
ثـم الحجـارة كلمتـه بـلا امتـرا[5]   مـن غيـر جارحـة وغيـر لسـان
هـذا وكـم ظهـرت لـه مـن آيـة   كالشمـس ناشـرة على البلـدان
صلى عليك الله من علمٍ هدى   مـا غـرد القُمْـرِيًّ في الأغصان
وانصر بجاهـك يـا مجيب إمامنـا   خيـر الملـوك وسيـد الشجعـان
ملك همام في الحروب غضنفر   مفـني العـداة بمرهـف وسنـان
قهـر الملـوك بمشـرق وبمغـرب   وسمى على الأملاك من قحطان

---

[1] ورد أن بحيرى الراهب ـ وهو في صومعته في بصرى الشام ـ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركب قريش ـ حين أقبلوا ـ وغمامة تظله من بين القوم.

[2] ورد في الأثر أن أعرابي من بني سليم كان قد صاد ضباً ليأكله. فرأى جماعة محتفين بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ فشق الأعرابي الجماعة، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ وقال: واللات والعزى لا آمنت بك إلاّ أن يؤمن بك هذا الضب الميت؛ ثم خلع الضب الميت من يده وطرحه بين يدي رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام. فقال صلى الله عليه وسلم: للضب الميت أضب. فقال الضب لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين. فقال له الرسول: ومن تعبد يا ضب. فقال الله الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عذابه. قال الرسول: ومن أنا يا ضب. قال الضب: أنت رسول رب العالمين، وخاتم المرسلين. فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

[3] في الأصل: ((حيت))؛ وهو تحريف.

[4] في الأصل: ((ثوان))؛ وهو تحريف. ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقد حانت صلاة العصر؛ فالتمس الناس ماء الوضوء؛ فلم يجدوه؛ فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء؛ فوضع صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الإناء؛ وأمر الناس أن يتوضأوا منه؛ فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه؛ فتوضأ الناس عن آخرهم.

[5] يشير إلى ما جاء في السيرة؛ من أن رسول الله قال: ((إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث)).
أبعث)).

تاج العلى بدر الدجى سيف الفدى   كهف الضعيف وملجأ اللهفان
سند لما أجنى عليه زمانه   والمورد السلسال للظمآن
ملك له ملك تأثل شامخاً   متوارث من جده زيان
حاز المكارم كلها بيمينه   فيها هديت إلى الغنى شيئان
للمقتفي بحر الندى إن أمه   [ولمن يناوي لفحة النيران][1]
هذي وحقك ما سمعت بمثلها   ماء ونار كيف يجتمعان
أعجوبة قرت بكف سيمدع   موسى بن يوسف حاميَ الأضعان
الله فضله بها واختصه   بمهابة وفصاحة وبيان
يا طلعة البدر المنير ضياؤه   عش في سرور دائم وأمان
واجن الأمان فكيف[2] شئت فإنها   حفظ الإله الواحد الرحمن
/17و/وأمر زمانك بالذي قد شئته   يفعلْه يا مولاي دون توان

***

[1] كتب هذا الشطر ـ في الأصل ـ هكذا: ((ولمن يناوي نفخة النيران)). وهذا يخل بالوزن. وعليه فقد صوب؛ كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

[2] كتب في الأصل: ((كيف))؛ بدون الفاء؛ وهذا يخل بالوزن؛ فصوبت الكلمة كما جاء أعلاه بين حاصرتين.

ومن شعر مولانا **الخليفة** المنصور، المخصوص بالتأييد والظهور؛ بذكر سيره الحميدة المشهورة، ومناقبه الحسنة المذكورة:[1]

دمع يَنْهَلُّ من المقل   لقبيح كان من العملِ
وجوى في الصدر له حرق   فالقلب لذلك في شغلِ
ونهيت النفس فما ازدجرت[2]   وثناء الصبر فما حِيَلي[3]
ناس ركبوا التقوى ولقد   ركبت نفسي طرق الزللِ[4]
أبأذني الوقر فما سمعت   والذنب تكاثر من خللي
ليلي سهر يومي فكر   دمعي دُرَرٌ بُرْئي عللي
نفسي ضجرت[5] لما افتكرت   هلا نظرت ما يصلح لي
أثمي كَثُرَا شيبي ظهَرَا   وقد اشتهرا والأمر جلي
في قلب شجًا كيف المنجَى   لمن الملجا حارت حيلي[6]
من ينقذني من يسعدني   من يرحمني من يغفر لي
إلاَّ مَوْلَى يسدي الطُّولَى   ربّي الأعلى شافي عللي[7]

[1] وردت هذه القصيدة ـ بالإضافة إلى زهر البستان ـ في واسطة السلوك. نظمها أبو حمو في وزن الخبب فِعْلُنْ (فِعْلُنْ فِعْلُنْ فِعْلُنْ) وهو أصلاً بحر المتدارك ويسمى أيضاً المحدث (فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن) ويجو في فِعْلُنْ فَعَلُنْ. وفي الأعاريض: فاعلن، وفعلن. وفي الأضرب: فاعلن، وفعلن. فإذا استعمل هذه الجوازات بشكل واسع؛ سمي:خبباً.
[2] في واسطة السلوك: ((فما قبلت)).
[3] في واسطة السلوك: ((وتولى الصبر في حيلي)).
[4] هكذا في الواسطة (مط) وزهر البستان؛ بينما كتب في مخطوط الواسطة:
((ركبت نفسي على طرق الزلل))؛ وهذا طبعاً يخل بالوزن.
[5] في مخطوط واسطة السلوك: ((زجرت)).
[6] في واسطة السلوك: ((بارت حيلي)).
[7] نفسه: ((ربي الأعلى محيي الدول)).

منشي الرمم معطي القسم باري النسم محيي الدول
أحيا وأعاد قبيل أبي[1] من عبد الواد[ذي] [2] الأسل[3]
أحياها بي وبأعرابي وأنا الزابي والدولة لي[4]
بي[5] أحياها بي أنشاها لي أعطاها أزل الأزل
الله قضى والحكم مضى ولنا فرضا[6] فدعوا عذلي
فله الشكر وله الأمر منه النصر لا من قبلي
حمّلني الملك ومن يقوى يحمل ما فيه من الثقل؟
إلاَّ بِمَعُونَـةِ خالقنا مولى النعماء وخير ولي
أحمي المظلوم وأنصره وأقيم الحق على عجل[7]
/17ظ/نَزَّلْتُ[8]الناس منازلهم وتركت الظالم في وجل
وأنا للطفل كوالده[9] وأسوق الشيخ على مهل
والرفق كذلك من شيمي[10] والعدل به أعطي أملي
وأنيل القاصد حاجته وأنيل المال بلا مللِ

---

[1] في الأصل بزهر البستان: ((أبائي))؛ وهذا تحريف يخل بالوزن.
[2] في الأصل بزهر البستان: ((أولي))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصويب؛ كما ورد أعلاه بين حاصرتين.
[3] هذا البيت، والبيت الذي سبقه؛ سقطا في واسطة السلوك.
[4] سقط هذا البيت في مخطوط واسطة السلوك.
[5] في واسطة السلوك: ((لي)).
[6] في الأصل بزهر البستان: ((فرض)). وما ورد أعلاه أفضل.
[7] في واسطة السلوك: ((وأقيم الحق بلا ميل)).
[8] نفسه: ((أنزلت)).
[9] نفسه: ((أحنو للطفل كوالده)).
[10] في الأصل بزهر البستان: ((شيمتي))؛ وهذا يخل بالوزن.

وأنــا للحــرب كعنتــرة[1]	وأنا في السلم أخو جدلِ
خيـلي للخيـر ملجمــة	وكذا للحرب[2] ولا تسلِ
وأنا مـوسى وأبـو حمـو	أصلحْ للملك ويصلح لي
سيـفي إن ملـت بقائمــه	أدنى المـرَّاق إلى الأجـلِ
وكذا[3] كفَّـأي إذا انبسطت	من كان مقـلا عـاد مـلي
أهــل تلمســان بدولتنــا	كالشمس لدى برج الحملِ[4]
تفــنى الدنيــا ومحبتهــم	فينا أبـداً ما أن ترحـلِ[5]
ولقـد بذلــوا في خدمتنــا	أقصى الغايات بـلا مثـل[6]
فلهـــم منــا عــدل ونــدى	ولهـم منـا أقـصى الأمـلِ[7]
فبفضــل اللــه ورحمتــه[8]	أرشدت إلى أهـدى السبـلِ
وأنــا أرجــو مـن منَّتِــه[9]	أن يغفر لي يوم الخجـلِ
بعنايــة أحمــد سيدنــا	وهـو المبعـث إلى الملـلِ
مبـدي الإسـلام ومظهـره	علم التقوى خير الرسـلِ

---

[1] في واسطة السلوك: ((وأنا للحرب كعنترها)).
[2] نفسه: ((وكذا للشر)).
[3] في مخطوط واسطة السلوك: ((وكذلك))؛ وهذا يخل بالوزن.
[4] في واسطة السلوك: ((كالشمس لدى برج الحمل)).
[5] نفسه: ((فينا وحياتك لم تحل)). وهذا أفضل.
[6] نفسه: ((بلا كسل)).
[7] نفسه: ((ولنا منهم أقصى الأمل)).
[8] نفسه: ((فبفضل الله ومنَّتِه)).
[9] نفسه: ((وأنا أرجو من رحمته)).

ولـم تـزل الأمـداح قائمـة، والمدوحـات لـه علـى مـا يوافقـه ويواتيـه؛ إلى أن رفعـت لـه الدواويـن مـن الأمـداح، وانتشـر عنـه مـن الكـرم والجـود مـن مـا استمـال روحانيـة الأرواح. ولما انقضـى المولـد السعيـد، وتـم الأسبـوع علـى حسـب مـا يريـد؛ أتتـه أهـل الأوطـان بالهدايـا، وبـادرت لطاعتـه الرعايـا؛ فكـان لهـذا الفتـح صيتـاً عظيمـاً، وأمشاجـاً مـن اللـه سبحانـه؛ جسيمـا. وبعـد أربعـة **/18و/**أيـام؛ كـان وصـول أهـل **وجـدة** ببيعتهـم، وأهـل **ندرومـة**، **وهنيـن**[1] علـى بيعتهـم؛ وأتـت قبائـل الساحـل **لتلمسـان** مـن غيـر حـرب ولا طعـان. وفي رابـع عشـر ربيـع الأول المبـارك؛ وصـل أهـل **تلمسـان**[2]؛ **مستغانـم وتمزغـزان**[3] ببيعتهمـا، وأهـل **البطحـاء**[4]

---

[1] تقع مدينة وجدة في الجهة الغربية من مدينة تلمسان؛ وتبعد عنها بـ 80كلم تقريباً. بناها زيري بن بن عطية المغراوي الزناتي في عام 384هـ/994م. وهي الآن محاذية للحدود الجزائرية، وتابعة للمملكة المغربية. أما ندرومة؛ فتقع في الشمال الغربي من تلمسان؛ وتبعد عنها بـ 60 كلم؛ وتربض في الطريق المؤدي إلى مرسى هنين. هذا؛ وقد أخذت مدينة ندرومة اسمها من فرع من فروع قبيلة كومية الأمازيغية يسمى ندرومة. ويرى الوزان أنها أزلية البناء؛ إذ شيدت في زمن الرومان؛ وبالأسلوب نفسه الذي بنيت به مدينة روما. غير أن المحققين ينفون هذا القول؛ وحجتهم هي؛ أن مدينة ندرومة خالية كلياً من أي أثر روماني. أما هنين الساحلية؛ فتطل على البحر الأبيض المتوسط؛ وهي مرسى مملكة تلمسان الأولى. ويقول الوزان أن بناتها هم من الأفارقة؛ ويقصد بذلك أهل البلاد الأصليين. وتبعد هنين عن تلمسان بـ 90كلم تقريباً؛ كما تبعد عن ندرومة بـ 30 كلم.

[2] هكذا.

[3] مستغانم مدينة ساحلية؛ يقول الوزان أن الأفارقة هم بناتها؛ ويقصد بذلك السكان الأصليين للبلاد. للبلاد. وتقع هذه المدينة إلى الشرق من مدينة وهران؛ كما تبعد عنها بـ 80كلم تقريباً. أما تمزغران أو مزغران في قول؛ فهي مدينة صغيرة داخلية؛ تقع في الهضاب الغربية من مستغانم؛ كما تبعد عنها بـ 4 كلم فقط. ويقول الوزان أن الأفارقة هم الذين بنوا تمزغران.

[4] البطحاء؛ فهي مدينة قديمة اندثرت في الوقت الحاضر. وقد حدد الخبراء موقعها في مكان غيليزان الحالية.

كذلك، ثم تلاهم أهل **هوارة**[1] بالبيعة؛ فنال جميعهم بالمبادرة غاية الرفعة، وأتى الفتح نسقاً، وجرت خيل السعادة طلقا، وتأثل الملك الشريف، وعاد إلى مقره المنيف؛ فسبحان من بيده الملك والقضا؛ يعز من يشاء ويذل من يشاء. ومن الأحوال الدالة على سعادته، والأقدار الجارية لوفق إرادته؛ أن **أبا عنان** ترك هدية سنية؛ كان أنتخبها للسلطان **النصري**[2] لغرض له وأمنية؛ فعاقه الحمام عن إرسالها إلى إرجاء من ملوك الإسلام؛ من هو أحق بأمثالها. وجد الخيل العتاق، والذخائر والأعلاق، والسروج من الفضة صرفاً، والمستحسنات من الذخائر؛ والسيوف، وكلما يباهي به الإسلام على الشرك، ويبين بقيمة الملك؛ فلا قدرة على إحصائه؛ ولا نهاية إلى استقصائه. ومن العجايب أيضاً؛ أن خراج عامين عند الولاة؛ وجده عوناً على المعضلات؛ لا يخرج قائد إلاّ وجده بخراجه معه، ولا يعطي والٍ صفقة يده حتى يعطي ما جمعه؛ فاتسعت يده في الأموال، وظهرت أمارة اليمن والإقبال؛ فاستعمل بأسباب الهدية المجال الوافرة، وركب بجيوش

[1] وهي قلعة هوارة التي تقع غربي مستغانم وبالقرب من يلل الحالية. وقد أشار إليها البكري؛ كما ذكرها اليعقوبي؛ حين تكلم عن أصحابها؛ وهم من قبيلة هوارة الأمازيغية؛ وقال أنها تحت سلطة أمير هواري يسمى ابن مسالة؛ وهو الذي تصدى لأمير الدولة الرستمية؛ أبي بكر بن أفلح.

[2] أما يحيى بن خلدون؛ فلم يقل أن الهدية موجهة للسلطان النصري؛ بل قال: ((وأحصى ما غادرته الدولة الذاهبة؛ من متاع، وزرع، وسلع بحرية، وما حوته الملك المتفى [أبوعنان] إلى ملك قطلان؛ من: خيل عتيقة، وسروج مفرغة ركبها من ذوب اللجين، ولجم موشية، وأسباب مختارة...)). بغية الرواد، ج: 2، ص: 96. وفي ما يخص هذه الهدية قال عبد الرحمن بن خلدون: ((كان السلطان [أبو عنان] انتقاها وبعث بها إلى صاحب برشلونة بطره بن ألقنط. وبعث إليه فيها بفرس أدهم من مقَّرباته؛ بمركب ولجام ذهبيين ثقيلين؛ فاتخذ أبو حمو ذلك الفرس لركوبه؛ وصرف الهدية في مصارفه ووجوه مذاهبه)). العبر، مج: 7، ص: 628.

متظافرة؛ فتأثل سلطانه للحين، وشاع خبره عند **مرين**؛ فاهتز له **المغرب الأقصى**؛ وكان من سؤاله ما لا يحصى؛ فدان له الداني والقاصي، وانقاد له الشارد العاصي؛ فكانت سعادة حكمت بها الأقدار، وعطية منحها له الواحد القهار.

***

ذكر
خروج المولى أبي حمو للمحلة
وما كان من حسن رأيه في هذه الفعلة

/18ظ/أعلم أنه لما دخل **تلمسان** على **بني مرين**؛ وكان ما كان من الفتح المبين؛ أخبر **بنو مرين** سلطانهم بشأن **بني عبد الواد**، وأنهم تمكنوا في البلاد. وكان ملك **المغرب** ـ آنذاك ـ **أبو بكر بن أبي عنان**؛ الملقب **بالسعيد**[1]؛ ابن السلطان. وكان **الحسن بن عمر**[2]؛ يدير خلافته؛ بحكم الوزارة، ويأمر عنه وينهى؛ وله كانت ـ في الحقيقة ـ عين الإمارة. وعندما وصل **للمربي**؛ ومن معه بخبر **بني عبد الواد**؛ وأنهم أخرجوهم من **تلمسان**؛ وهم يتمادون على البلاد؛ جمع **الحسن بن عمر** كافة **بني مرين**، وتحدث مع الأشياخ؛ بما كان من المنهزمين. وقال ما ترون في **بني عبد الواد**؛ كيف أخذوا من أيدينا البلاد؟ فاضطربت ـ حينئذ ـ أحوالهم، وتبين خذلانهم وانفشالهم؛ فقوم يقولون بتسليم البلاد لأهلها، وقوم يقولون ليس إلاّ التمسك بها بخيرها. وتردد الكلام وطال، وأخذ المجلس حقه من القيل والقال، واستحال. ثم قال **الحسن ابن عمر**: كيف يا **بني مرين** تتركوا البلاد إقتهاراً[3]، وتسلموا أهاليكم

---

[1] نصبه الوزير الحسن بن عمر ـ المستبد على عرش فاس بعد مهلك أبي عنان؛ فحكم من ذي الحجة سنة 759هـ/1357م؛ إلى شعبان من سنة 760هـ/1358م.

[2] هو الحسن بن عمر الفودودي؛ هو الوزير المستبد بالدولة المرينية في فاس.

[3]أي قهراً.

للنيران خساراً؟ فأينكم من **بني** (...)[1] **عبد الواد؟** أفلال في البلاد ؛ قاتلوا لأوطانهم، واستقلوا بها مع سلطانهم. والرأي عندي أن أصرف لهم جيشاً كبيراً ؛ ينفرهم عن **تلمسان** تنفيراً ؛ فتكون حصتكم **بتلمسان** عوناً على **البلاد الشرقية**، ووصلة لنا إلى **بلادنا الغربية** ؛ والبلاد قائمة بدعوانا ؛ لا يقدر عليها سوانا ؛ وما الرأي إلاّ مسيركم ؛ لتمهيد البلاد، وإزالة ما بدا بها من الفساد. فشرع في إخراج محلة كبيرة، وأخذ في حركة مسرعة شهيرة ؛ أعدّ لها الأعداد، وكثّر فيها العدد والإمداد، وقدم عليها القواد، واستنهضها **لتلمسان** ؛ لقتال **بني عبد الواد**. أرسل تسعة آلاف من **بني مرين**. فترحلت المحال على **تلمسان** عاملين ؛ فلم تزل المحال عاملة إلى أن حلوا **بأحواز /19و/وادي الزيتون**[2] ؛ وهم في ملإ عظيم من الحشد، والزبون. وفي هذه الفترة ؛ ـ التي كانت بين أخذ **تلمسان**، ومجيء المَحال ؛ ـ كان المولى **أبو حمو** يبعث الجواسيس، ولا يغفل عن الإرسال. فجاءته الجواسيس، واعلموا الخبر، وتواتر الأمر ؛ أنهم على الأثر؛ إلى أن حلوا بالموضع المذكور بما جاءوا به من الجمهور. وعندما حلوا بأوائل البلاد ؛ جمع الخاصة والعامة من **بني عبد الواد**، والخدام من أهل **تلمسان والحضر** ؛ أولي المشورة والشأن. وقال: يا **بني عبد الواد** ؛ ما رأيكم في شأن **بني مرين** ؛ الواصلين إلينا بهذا الجيش المتين. فقالوا له: الأمر إليك ؛ والمعول في كل الأمور

---

[1] توجد هنا كلمة في غير محله؛ ربما كانت: ((مرين)).
[2] ثمة أماكن كثيرة في بلاد المغرب تسمى وادي الزيتون. والمقصود هنا هو وادي الزيتون من أحواز تلمسان.

عليك؛ فأنظر ما تريد لمثله، وما تأمر به نفعله. فقال: الرأي الخروج إلى ملاقاتهم، والضرب والطعن في صدور ساقاتهم. فأمر بخروج الأثاث والأثقال، وحمل البغال والجمال؛ وتكفل في قبيلة بالحماة الفرسان، ونبذ خلفه مدينة **تلمسان**؛ ثم أضطرب عن نفي الملاقاة، وعاقه عن ذلك بعض العاقات[1]. وقال: الخروج إلى **الصحراء** أفيد وأصلح؛ والكر عليهم إذا توغلوا في البلاد أرحم؛ والأعراب خدمة لنا. ومن هناك يبلغنا الله آمالنا. فعندما سمع الحضر كلامه، وفهموا قصده ومرامه؛ أخذوا في الخروج معه؛ وأخرج كل واحد منهم أهله وتبعه. فخرج معه الأحباء الخلصاء والأولياء والخدام والنصحاء. وانتقل بمن معه إلى **بني عامر الأعراب**. وعمل في ذلك ما لم يكن لأحد في حساب؛ فكان ذلك من أحسن الآراء، ومن شهامة الملوك والأمراء. ثم سار إلى حيث منع نفسه، ومن معه. فيا حسن ما دبره وصنعه. وفي المثل: **((رب حيلة[2] أنفع من قبيلة))** وقالت الفُرْس: **((مقابلة الأقوى بالأضعف جهل، ومدافعة من لا تستطيع عليه بالحيلة عقل))**.

وكان المولى **أبو حمو** ـ قبل إجماعه على هذا الرأي السديد ـ عازماً على **/19ظ/**ملاقاة **بني مرين**؛ وإن جاءوا بالعدد الوافر المتين. وقد خرج للقائهم مبادراً وعلى قتالهم، مثابراً؛ إلى أن تقرب منهم؛ بحيث سمعوا طبوله، وشارفت خيولهم خيوله. وعندما عاينه **بنو مرين**؛

---

[1] أي العوائق.

[2] في الأصل؛ كلمة ((حيلة)) مكررة.

تأخروا إلى **وادي الزيتون** مقهقرين، وعلى الأعقاب نكصين. ثم رجع عن رأيه ـ كما قلناه ـ ونعم ما فعله وارتضاه؛ وذلك لموجب اقتضاه النظر المصيب، والذكاء الثاقب العجيب. وهو أن إلمام **بني مرين** بهذا البلد؛ كان على حين غفلة **لبني عبد الواد**. ممن يعط المفاجأة من مهلة،[1] ولا تيسر لهذه الفعلة. كان الأكثر من الجيش متفرقا في البلاد، ولا مهلة لإتيانهم بالأحشاد. ولم يكن معه إلا صدور حضرته، ووجوه قبيلته وعترته؛ فلذلك اتخذ **الصحراء** شعاراً، **والعرب** حماة وأنصاراً.

وأما خبر بني مرين؛ فإنهم لما تقهقروا راجعين؛ ينتظرون ما يصدر عن **بني عبد الواد**، وما يكون منهم؛ من اللين، أو الاشتداد؛ إذْ أتاهم الخبر بدخولهم **للصحراء** بجملة أعدادهم، ومن انضاف إليهم؛ من جملة خدّامهم، وأهلهم، وأولادهم. استقبلوا **تلمسان** وبادروا إليها في الآن؛ فوجدوها خالية من الأنيس وحضرة عظيمة بلا[2] رئيس. فسقط ـ عند ذلك ـ في أيديهم؛ وجعلوا يرمون لمرسلهم ومهديهم. فتوحشوا من العامة العميا، وتحققوا أنهم رموا بالداهية الدهيا؛ فاستوطنوا البلد للحين، وعادت على حكم **بني مرين**. فمسكت القبائل على الإتيان إليهم، وانقطعت الطرق عليهم. ثم أن **المعقل** حالت بينهم وبين بلادهم؛ فأيقنوا بالهلكة لأجل إنفرادهم. وعند حلول القوم **بتلمسان**

---

[1] الأسلم أن تكون العبارة هكذا: ((فلم تعط المفاجأة من مهلة)).
[2] في الأصل: ((من)).

وصل **عامر بن ماساي**[1] من **وهران**؛ فوجدوا[2] الناس قد رموا بذلك المعضل؛ فيما أصابهم من أمر **المعقل**. فقال أنا أكفيكم شرهم، وأزيل عنكم محنتهم وغدرهم. فعقدوا /20و/له على حصة وافرة، واستنهضوه ليفعل **بالمعقل** بالقوة[3]. فعندما لقيهم؛ كان أول قتيل؛ فحزّوا رأسه وحملوه إلى المولى **أبي حمو**؛ الملك الجليل. فكان موته ـ على **بني مرين** ـ من أعظم الضراء، وعند المولى **أبي حمو** من أجمل السراء. فعند ذلك اشتدّ قلق **بني مرين؛** وأيقنوا أنهم ـ بهذه البلاد ـ منقطعين؛ وأنه **لا** نجاة لهم، ولا حياة، ولا سبيل من هذا المخنق للفلات[4]؛ فأجمعوا رأيهم على نقض عهد **السعيد**، وتقديم **منصور بن سليمان**[5] على حجة التسديد فبايعوه **بأبي مدين**[6]؛ من **تلمسان؛** وعقدوا عليه البيعة من غير توان. فكانت بيعتهم له يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى؛ ورأوا أنه أحق بها وأولى؛ ثم أشاروا عليه بمصالحة **بني عبد الواد**؛ لما رأوا في ذلك من الصلاح والسداد. ثم كتبت عقود المصالحة **بأبي مدين**؛ وكان لهم ذلك من أحسن التدبير؛ فبعثوا عقود المصالحة للمولى **أبي حمو** السلطان، وخرجوا في حينهم من **تلمسان**؛ بعد أن ضربوا البريح

---

[1] هو عامر بن إبراهيم (عبّو) بن ماساي؛ ابن عم القائد الوزير مسعود بن رحو بن ماساي الفودودي، والوزير الحسن بن عمر الفودودي.
[2] هكذا.
[3] في الأصل: ((باقوة)).
[4] هكذا. والمقصود هو للإفلات.
[5] هو منصور بن سليمان بن أبي مالك بن يعقوب بن عبد الحق. من العائلة المالكة لبني مرين. كان ضمن الجيش الذي زحف إلى تلمسان؛ بقيادة مسعود بن رحو.
[6] أي بمقام الولي الصالح أبي مدين شعيب.

ببقائها على ذمة **بني عبد الواد**؛ وأنهم لا شيء لهم في هذه البلاد. وقد كان صلحهم على من بقي في **البلاد الشرقية** من أناسهم؛ وخوفاً من **بني عبد الواد** وبأسهم. ولما حلّوا بالجهات **الوجدية**؛ انتهبتهم **الأعراب**، ووقع فيهم الاستلاب؛ ثم أن المولى **أبا حمو** بلغه الخبر بفرارهم، ورجوعهم لديارهم. فأقبل **لتلمسان** قافلاً؛ وعلى حضرته الكريمة عاملاً. فكان دخوله إليها يوم الاثنين غرة جمادى الثانية؛ قرير العين؛ بما منحه الله من العافية؛ على ما تيسر للأولياء، وبرغم الأعداء. فكانت غيبته أحد وعشرين يوماً قطعها أمناً، وسلماً. وقد قالت الشعراء في ذلك أمداحاً؛ فوصلهم جوائز وإتحافاً. في ذلك ما قاله الطالب الأديب **أبو عبد لله محمد البطوي** عفا الله عنه[1]:

شمس الخلافة حلت منزل الحَمَلِ

فما تحيد عن العليا ولا تحل

وأنجم السعد من علياك مشرقة

نجم السرور بمرأها ولم تفل

/20ظ/مولاي طالع السعد من حين بدى[2]

باليمن أقبل والإقبال والجدل

---

[1] نظمت هذه القصيدة في بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن). ويجوز في مستفعلن = مفاعلن، وفي فاعلن = فعلن. وفي الأعاريض: فعلن، وفي الأضرب فَعِلن فِعْلن.

[2] هذا الشطر؛ مختل الوزن.

فالأمر طوعك إن تأمره موعدا

يقضي لأمرك ما نسيت من أمل[1]

نظمت للملك عقدا لا نثار له

مجيد علياك حالٌ ليس بالعطل

كما أقمت من التقوى عماد تقي

شيدت بنيانه بالعدل والعمل

تبني تلمسان لما أن حللت بها

مولاي موسى حلول الشمس بالحمل

قد أشرقت بسنائكم هيّ سافرة[2]

عن منظر ببهاء الحسن مشتمل

وقُلِّدَتْ بوشاح نَظْمُ جوهره

مفصلا بحلاكم غير منفصل

تأرجت منكم الأرجاء (و) قد فتحت[3]

أكمام أزهارها أجرى الجبا الهطل

من كل زاهرة في الحسن زاهية

مفترة عن ثغور الخرد الرتل

---

[1] ورد هذا الشطر في الأصل هكذا: ((يقضي لأمرك ما قد نسيت من أمل)). وهذا يخل بالوزن؛ فحذفت كلمة: ((قد)).

[2] هذا الشطر غير واضح في الأصل. ويمكن قراءته كما هو ظاهر أعلاه.

[3] لكي يستقيم الوزن أسقطنا الواو قبل ((قد))؛ فأضحى الشطر هكذا: ((تأرجت منكم الأرجاء قد فتحت)).

والقَضْب ترقص من مرّ النسيم بها[1]

والأرض تضرع في أفنائها الميَّل

والنهر ينساب كالسيف [الصقيل][2] يرى

مع الضحى ويرى كالزرع في الأصِل

أما تلمسان راقت منظرا فرقت

على البلاد وقد قرت سنا المقل

لِمْ لا وملك بني زيان عاد لها

عيدا فعادت إلى أيامها الأول

بشراكم أهلها إذ حل ساحتها

ملك حماها سيعد منه مقتبل

لكم بني عابد الواد الفخار به

فإن دولته من أشرف الدول

هذا الإمام أبو حموا أعاد لهم

ملكا جديدا وعزا غير منفصل

فتى إذا هاجت الهيجاء يصول بها

عن الأعادي بحد البيض والأسل

---

[1] حرف هذا الشطر؛ فكتب هكذا: ((والقطب ترقص من مر النسيب بها)). فاخترنا ما جاء أعلاه.

[2] حرفت هذه الكلمة في الأصل؛ فكتبت بالسين المهملة: ((سقيل)). والسيف الصقيل (بالصاد) هو المصقول ـ الحاد الأملس.

تكفي محاربه في الحرب هيبته
عن صارم سل فيها والقنا الذبل
قد بايعته جميع العرب قاطبة
من كل ندب همام فارس بطل
جاءت بنو عامر طوعا لبيعته
وقد جرى ذكره في السهل والجبل
فإنه الملك الزابي الذي ذكرت
في الكتب أخباره قدما ولم تزل
مولا الأئمة أسناهم وأرفعهم
....[1]
إن الملوك نجوم وهْو بدرهمُ
أربى عليهم بحسن فيه مكتمل
/21و/قد أظهر الله سر الملك فيه وقد
أعطاه نيل بلوغ القصد والأمل
بشراك بالملك مولانا فرايته
بالنصر قد نُشِرَتْ والفتح عن عجل

[1] هذا الشطر غير مفهوم بالكامل.

سللت للمجد سيفا صارما فبه
تدمي قلوب العدى والرهن[1] والوصل
ذلت لسلطانه الأملاك إذ خضعت
لعزكم وعراها روعة الرجل
بك الخلافة يا مولاي قد سعدت
ونزهت عن جميع النقص والخلل
أكرم بنجل أبي يعقوبِ من ملك
حاز المكارم عن أسلافه الأول
يعطيك ما شيته من غير مسألة
كأن كفيه صوّب الوابل المُهطل
فاقصد حماه وبادر نحو ساحته
تجده بحرا وليس البحر كالوشل[2]
فما يخيِّب راج من مكارمه
تلقاه مبتسما بالبشر والجذل
مولاي منك على نظمي القبول وان
قصرت في المدح فالتقصير من قبل

[1] هكذا. ولعلها: ((والرهب)).
[2] الوشل: الماء القليل.

ما زان شعريَ إلا مدحكم فغدى
كالدر زين به جيد المهى العطل
لكن رجوت الهي أن أنال بكم
عزا يبلغ نفسي غاية الأمل
لا زلت شمس ضحى فينا وظل ضحى
ترجى وورد ظما بالمال[1] والنَّهل
فدم بملك سعيد غير منفصل
وأهنأ بسعد جدير غير منتقل

***

ـ وله أيضاً في المعنى[2]:

أمولاي نصر الله جاءك والفتح
لأنك فيك الجود للخلق والنصح
هنيئاً بتأييد وملك مؤيد
وفتح مبين لا يقاس به فتح
وأنت بحمد الله في كل حالة
[مؤيد][3] رايات وفي رأيك النجح

---

[1] هكذا.
[2] نظمت هذه القصيدة في البحر الطويل (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن). ويجوز في فعولن = فعول، وفي مفاعيلن = مفاعلن. وفي الأعاريض: مفاعلن، وفي الأضرب: مفاعيلن مفاعلن فعولن.
[3] في الأصل: ((مايد))، وهذا مخل بالمعنى والوزن معاً؛ فاخترنا كلمة: ((مؤيد))؛ للتصويب.

لــواؤك منصــور وأنــت مؤيــد

وسيفك ماض في عدائك والرمح

أيا من لـه بيـن الملـوك فضائـل

يُقَصِّرُ عن إثبات أوصافها الشرح

لك الملك يا مولاي إرثا ومكسبـا

لك الحسن والإحسان والحلم والصفح

فمن وجهك الأقمار يدركها السنا

ومن طيبك الأزهار طاب بها النفح

جلا بمحياه الخطوب عـن الـورى

كما قد جلا الليل البهيم لنا الصبح

/21ظ/له منظر أبهى من البدر إن بدى

وكـف إذا مـح الغمـام لهـا مـح

هو الملك المنصور موسى بن يوسف

إمام الرضى [من دأبه][1] الفضل والمنح

هو الملك المذكور في الكُتْبِ وصفه

سجيتـه العليـا علامتـه السمـح

[1] كتب في الأصل: ((من آدابه))؛ وهذا تحريف يخل بالوزن؛ فاخترنا عبارة: ((من دأبه))؛ ووضعت بين حاصرتين؛ لكي يستقيم الوزن.

وحين بدا من جانب الزاب وانتضى
مهند حزم في هجير له لفح
أعاد لعبد الواد ملكاً مجدداً
فخدمته فوز وطاعته ربح
وشيد بنيان الخلافة عزمه
ونظم عقد الملك واتصل الفتح
فدم يا أمير المؤمنين لك الرضى
هنيئا بطول الدهر يهدي لك المدح

***

ـ وللفقيه أبي محمد عبد المؤمن المديوني (؟؟؟؟):[1]

وافى السرور بحمد الله محتفلا   والسعد أقبل يا مولاي متصلا
نصر من الله مقرون بجيشك لا   ينفك عنه ولا يبغي [له] بدلا[2]
والنصر يتبعه ما أن يفارقه   به مثال الرضى والأمن والأملا
جاءت بشائر تتلوها نضائرها   فاشكر لربك ما أولا وما فعلا
هذا عدوك قد ولت كتائبه   وفر منهزما إذ فارق الخطلا

[1] حيز لكلمتين أو ثلاثة؛ مُحيَ ولا يظهر ما كتب فيه. وهذه القصيدة نظمت في بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن). ويجوز في مستفعلن = مفاعلن، وفي فاعلن = فعلن. وفي الأعاريض: فعلن، وفي الأضرب فَعِلن فِعْلن.

[2] عجز البيت هنا مختل؛ ولا يستقيم إلا إذا أضيف إليه سبب ثقيل (//) متكون من حرفين متحركين؛ مثل: ((لَهُ))؛ التي أضفناها.

لا يستطيع رجوعا من مخافتكم   كأنه الظبا المذعور إذ جفلا
فصارم الحزم مسلول بكفك لا   ترهب فبادر به الأعناق والغللا
وعش سعيدا قرير العين في دعة   ودع مناويك تبكي الدار والطللا
واجن الأماني كما تهوى فمثلك   من حاز الكمال ومن بالمكرمات علا
أرى الليالِيَ والأيام ضاحكة   أتتك خاضعة مكسوة حللا
كأنها خودة[1] راقت محاسنها   تهدي لعاشقها من ثغرها قبلا
فاعطف عليها أيا مولاي إذ سمحت   بوصلها وأتت محمرَّة خجلا
وضمها وارتشف من ريق مسمها   خمراً معتقة ممزوجة عسلا
وأنلها منك وصلا غير منفصل   ولا تفارقها هجرا ولا مللا
ثم اعتبر ما جئت من عشرتها   وعاملتك به فيما مضى وخلا
/22و/يا أيها الملك الميمون طائره   وافاك سعدك يا مولاي مقتبلا
أعطاك ربك ملكا دون ما تعب   وزادك الله تدبيرا به كملا
لا بد أن تملك الدنيا بأجمعها   رغما على أنف من أبدا الجفا وقلا
وترتقي فوق ما قد كنت تأمله   حتى تصير لكم أعدائكم خولا
يا سائلي عن مليك فيه أربعة   بأس وحلم وإيثار إذا وصلا
وحسن رأي سديد هو رابعها كالعطف   والنعت والتوكيد والبدلا
شاعت مكارمه في الأرض وانتشرت   من شاء مصداق قولي يقتفي السلا
لا زلت أنشر ما لولاه من نعم   ومدحه في فمي قد لذ لي وحلا

---

[1] الْخَوْد؛ جمع خَوْدات: المرأة الشابة. وقد كتبها في شعره ((خودة)) بتاء التأنيث.

ماذا عسى تبلغ الأمداح في ملك إن جاء سائله يرجوه إن قبلا
فالله يبقيه في أمن وفي دعة مقضيا إربا مبلغا أملا
ثم السلام عليه دائما أبدا ما حلت الشمس من أبراجها الحملا

***

ـ ومما قاله الطالب الأديب أبو القاسم ابن ميمون السنوسي[1]:

بزهدك لا بالعزم كان لك الظفر وبالجد لا بالجبر تمّ لك النصر
وبالكوكب الأعلى السعيد الذي أتا بطالعك الميمون ساعدك الدهر
فيمناك فيها اليمن مهما مددتها ويسراك عند العسر في بسطها اليسر
وغرتك الغراء في ما توجهت إلى حاجة بالأمن قابلها البشر
لك الفخر يا شمس الملوك ومن به علت رتبة العلياء وافتخر الفخر
أتيت لناس جانب الزاب طال ما ذكرت به قدما فشاع بك الذكر
فقابلت الأيام وجهك بالمنى ودانت بك الدنيا وساعدك الأمر
خرجت فريداً بين قوم قلايل كرام فكان الله عونك والنصر
فجاءتك أشياخ القبائل كلها تبايع يا مولاي ليس لها عذر
كمثل أسود الحرب أبناء عامر إذا ذكروا، أسود الحروب والجمر
ثناهم إذا طال الجلاد هو الثنا وصبرهم حيث الطعان هو الصبر
/22ظ/عليكم عباد الله بالشكر والثنا فقد نزل التيسير وارتحل العسر

[1] نظمت هذه القصيدة في البحر الطويل (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن). ويجوز في فعولن = فعول، وفي مفاعيلن = مفاعلن. وفي الأعاريض: مفاعلن، وفي الأضرب: مفاعيلن مفاعلن فعولن.

وزال العنـا عنـا بعـودة دولـة   لأبناء عبد الواد وإنكشف الضر
أسود إذا راحوا سيول إذا عدوا   لهم يرفع الشأن المعظم والقدر
لهم ينسب القول الجميل وعنهم   يحدث فعل الخير إن ذكر الخير
يقاتل عشر الألف في الحرب منهم   بعشـرة آلاف فيهزمهـا العُشْـر
بذكر أبى عمران موسى بن يوسف   إذا ذكر الأشراف يفتخر الذكر
إمـام أعـاد اللـه دولـة أهلـه   على يده لِمْ لاَ يكون له الفخر
أمولاي يا ذا العلم والحلم والحجا   ومن قوله الحسنى ومن فعله الخير
على هذه النعمى التي جاد ربنا   علينا بهامولاي قد وجب الشكر
أقمت عماد العدل في كل منزل   من الأرض لما كان هدّمه الجور
فَبَيَّضَ وجهَ الدهر بعد سواده   وأنى يُرى الليل وقد طلع الفجر
يمينك مثل البحر والبحر دونها   وجودك مثل القطر بل دونه القطر
وأولاد عبد الواد شهب ثواقب   ووجهك يا مولاي بينهم البدر
فهز يمين العز سيف العلى على   رقاب العدى يا من له سمح العصر
لمن فرت الفرسان من كل جانب   لدى الحرب حيث البيض تلمع والسمر
فما فر عنك العزم والحزم والحبا   ومازال يبدوا فوق رايتك النصر
كأنهـم لمـا بـرزت إليهـم   سحاب على الآفاق قشعها بدر
كأنهم ليل سجى حين أقبلوا   فعرّفه من بعد مذ قد سجى فجر
أدرت عليهم كأس حرب تشعشعت   كما شعشعت في كأس ياقوتة خمر
فلو لم يكن منكم على القوم عفة   هناك ولطف الله فوقهم ستـر

لخلفتهم في الأرض صرعى كأنهم سكارى وما بالقوم من خمرة سكر
إذا جن ليل ناح وحش عليهم وإن لاح صبح صار يندبهم طير
فلا جنة إلا ودنت أزهارها ولا سهلة إلا ومن فوقها نسر
/23و/فعاملتهم بالصفح منك تفضلا عليهم جميعا ليس من شيمتك الغدر
إلى أن أتموا من بعد ستين ليلة مكملة شهر خلا قبله شهر
فوليت عنهم معرضا غير ناظر عليهم ولم تعبأ بهم وهم كثر
لذاك تولى الليث والليث جائع لعفة شاة وبينهما قفر
فلو لا انقلاب الدهر ما كان يُتَّقَى وبعد امتلاء البحر قد تحدث الحصر
كأنك بدر وغبت عشرين ليلة تضاف إليها بعد عدتها عشر
فلاح إلى الأنصار وجهك بعدما جرعنا كؤوسا طعمها علقم مر
فوا عجبا عنه بهم كيف يطلبوا لقاك فلما سرت طالبهم فروا
وقالوا رأينا الصلح خير لنا عسى تصالحنا والصلح بين الورى خير
فقلت بلى لو لم يقلها لصالحت رقابهم طرا مهندة بتر
وسمَّطت بالخطيّ فوق جسومهم خطوطاً لذي التعداد ليس لها حصر
فكان الذي قد شده الله وانفض[1] وأبرزه في اللوح عن قلم سطر
فبادر له بالخير والشكر والثنا عليه وقل حمداً له الحمد والشكر
وجاز بخير نجل يغمور إنه أقام مقام الجيش عنك ولا فخر

[1] هكذا. والمعنى هنا مبهم وغير مفهوم.

أبا يوسف يعقوب فارس عصرنا وبحر الندى العذب الذي له....(ر)[1]

فكن كيف شئت الآن يا نجل يوسف هنيئا لك الفتح الميسر والظفر

لجدك كان الملك ثم صوبته ولا شك فيه ينتهي بعدك الأمر[2]

فأنت وأيْم اللهْ حقا مليكنا أتانا على رغم الأعادي بك الدهر

سأنفق عمري في امتداحك ربما تواصلني النعمى ويبعدني العسر

ويتحفني مولاي بالحكمة التي عرفت بها حبي ويسعفني اليسر

فشأن الموالى إذ تقل عبيدها إذا عثرت والعبد يكنفه الحر

أمولاي ها عادت تلمسان داركم وعدتم وقد أغنى عن................[3]

سنحضى بفاس بل بمراكشْ[4] معاً وبالمغرب الأقصى وما رده البحر

/23ظ/كلامك مسموع وحكمك نافذ وأمرك في كل البلاد هو الأمر

فخذ [و] رعاك الله مني هدية[5] من الشعر فيها الدهر جَمَّعَ والسحر

سهرت[6] عليها الليل حتى نظمتها كما ينظم الياقوت في العقد والدر

وحئت بها حسناء في الخدر تختلي وما هي في القرطاس ليس بها خدر

---

[1] هذا البيت مضطرب المعنى وغير موزون؛ كما قلب فيه الاسم لقباً؛ بل سقطت منه كلمة؛ واكتفى الناسخ بكتابة حرف ((الراء)) منها فقط؛ وهو الروي. وعليه نقترح ما يلي: [وبحر الندى العذب الذي له مدّ ذكر].

[2] المعنى هنا غير سليم.

[3] هذا الشطر غير واضح.

[4] يسكن الشين المثلثة الفوقية لكي يستقيم الوزن.

[5] أضفنا حرف ((الواو)) قبل ((رعاك))؛ لكي يستقيم الوزن.

[6] حرفت هذه الكلمة؛ فكتبت ((صهرت))؛ بالصاد المهملة.

فضها أمير المؤمنين (و) لدمجها[1] فما مسها شين كما أنها بكر
خطبتك للأمداح دعني للحياة[2] فمن يخطب الحسناء لم يغله المهر

***

[1] حذفنا ((الواو)) قبل كلمة ((لدمجها))؛ لكي يستقيم الوزن؛ مع أن المعنى فيه ضعف وإسفاف.
[2] هذا الشطر كتب هكذا؛ دون معنى، ودون وزن. لعل الناسخ أسقط بعض كلماته.

ذكر
وصول المولى أبي يعقوب من المغرب لتلمسان
مع حفيده الأمير أبي تاشفين

أعلم أن المولى **أبا يعقوب**؛ كان رجلاً صالحاً، ووليًا لله ناصحاً؛ لم يزل منذ نشأ مثابراً على خير يفعله، وإيثار يأمر به ويعمله ويسديه؛ ويزامله، ينظر في الأحوال التي تقربه من الله، ويعمل لآخرته قبل دنياه؛ مرفق بالضعفاء والمساكين، متبركاً بالفقراء والصالحين؛ أخلاقه كرم وسخاء، وعوارفه عطاء ووفاء؛ أرضعته المروءة بلبانها، ورتبته العفة بين أحضانها؛ فكان غيثاً للعفاة، وسماناً[1] للعداة؛ تضرب بعفته الأمثال، وبما حواه من شرف الخصال. هذا مع الشجاعة الفائقة، والفطنة الثاقبة الرائقة؛ لا يسمع في مجلسه فحشاء، ولا تعرف منه البدع والأهواء، ولا السَّمْعَة[2] والرياء؛ بل كان على جبلته الأولى في الكرم، وعلى أصالته في احترام الذمم؛ مصمم في أحواله المتعلقة بديانته، ومتحفظا بما قدر من أمانته؛ إذا أوعد لم يخلف وإذا أخذ لم يعنف، وإذا كان في مركبه لم يرهب، ولم يرجف. فكانت سيرته سيرة الخلفاء الراشدين، وإمارته إمارة الأمراء الصالحين. فلذلك كان عند الفريقين عظيماً؛ أوسعاه براً وتكريماً. وقّره **أبو عنان**، وأبقى عليه في نصابه، ولم يعامله إلاّ بخير؛ ونهى عن امتحانه وحبسه. وقال:

[1] أي الأراضي المتربة.
[2] يقولون: ((فعله رياء وسمعة)). وهو ((أذن سمعة)).

هذا الأمير /24و/بقية الناس ؛ ثم صرفه على خير، وأسكنه **بفاس**. فلم يزل على حالته المعروفة من: الصلاح، والعفاف، والفضل، والاعتراف ؛ إلى أن أتاه نصر الله، والفتح والتيسير - بعد العسر والغم - على يد ولده السلطان **أبي حمو**؛ المنصور، الأوحد، المشهور. كان السبب في إتيانه **لتلمسان** ؛ قيام **منصور بن سليمان** - وقد تقدم أنه سافر من **تلمسان** - على المهادنة، والمحاسنة ؛ وكف اليد المعادية، والمعاتبة ؛ فوقع رأي **منصور بن سليمان ؛** مع أرباب دولته، وأشياخ قبيله وعترته، ووجوه خلافته وحضرته ؛ أن أول شيء يوالى به المولى **أبا حمو** صرف والده وولده؛ إذ بهما يقع عظيم التناصر، وشده عضده. ولعمري؛ لقد فعل الفعل المختار، [ونظر نظراً يوجب الإخاء والايواء][1]. وذلك محاولة منه على **بني مرين**؛ الذين **بالبلاد الشرقية** منقطعين. ولما حلّ **منصور بفاس البالي،** واتصل به بقية قومه على التوالي ؛ بعث إلى **أبي يعقوب**؛ وجالسه مجالسة المحبوب؛ وتكلم له كلاماً حسناً ؛ لا يتكلم به إلاّ إليه. أزال به وحشاً وسجناً. وقال له يا **أبا يعقوب** إن الله أعطى ولدك ملكاً عظيماً، وصيتاً في الملوك عميماً. نصره وهو على حالة انفراد، واستخدم له **العرب**؛ فدانت بالانقياد. ومن ذلك التي[2] تجتمع عليه كلمة **الأعراب**؛ إلاّ من خصه الله بالملك المهاب. يا **أبا يعقوب**؛ الله الله في **بني مرين** الكائنين بالبلاد الشرقية،

---

[1] كتبت - في الأصل - هذه العبارة بأخطاء إملائية عديدة.
[2] هكذا. والأصح: ((الذي)).

المنقطعين، لا يتطرق إليهم بأذية؛ وليكونوا تحت إيالتك العلية؛ حتى يقدموا على بلادنا أمنين؛ ومن أفعالكم الحسنة شاكرين. ثم ودعه وصرفه. ولعمري؛ لقد لاطفه؛ ثم أمره أن يحمل حفيده إلى أبيه؛ فإنه أحق وأولى أن يربيه ويليه؛ وهذا ما يرضيه. وعندما ارتحل **أبو يعقوب** مسافراً ووجهه ببشائر التلاقي سافراً؛ قال **/24ظ/منصور بن سليمان**: لا شيء أبقى لحرمة **بني مرين** من صرف والد هذا السلطان. وذلك من **منصور بن سليمان**؛ حفظاً على قبيله، ورجاء لقبول مأموله، وتوفقه منه بزيارة المولى **أبى يعقوب؛** ولعلمه أنه سيبلغه المرغوب. ونعم ما فعل؛ لو تم له المراد، ويا حسن ما رآه من الصلاح والسداد. ثم أقام **منصور ابن سليمان** يحاصر **الحسن بن عمر؛** إلى أن كان ما كان.

وأما المولى **أبو يعقوب** فإنه لما ارتحل من البلاد **الفاسية**؛ عاملاً على بلاده **التلمسانية**؛ تقدمت الفرسان بالبشرى؛ يهنئون المولى **أبا حمو**؛ بهذه البهجة الكبرى؛ فلم يزل يعمل ركابه؛ إلى أن حل بظاهر **تلمسان** جذلان[1] بما منح الله ولده من السلطان. وعندما حل بالظاهر المذكور؛ أمر المولى **أبو حمو** بركوب جيشه المنصور؛ ثم أخرج الطبول والعلامات، وأمر أهل **تلمسان** بالزينة، والخروج للملاقاة؛ فخرج الناس كالخروج للأعياد، وركب الجيش في أحسن الاستعداد؛ ولم يبق **بتلمسان** حاضر ولا بادي، ولا رايح ولا عاد إلا وخرج؛ يشهد هذا

[1] هكذا. والأصح: ((جذلاناً)).

القدوم العظيم، وينظر هذا الملتقى الجسيم. ثم خرج المولى **أبو حمو** في مركبه الباهر، وجيشه المنصور الوافر؛ إلى أن حل بظاهر البلد؛ وحيث يلتقي بالوالد والولد؛ ثم صرف الجيش إلى أبيه؛ وبقي في الخاصة فهي ترضيه. ثم أقبل إلى أبيه؛ في سكينة ووقار، وخفض واستصغار؛ استشعاراً بالإبرار والأدب؛ عالماً بأن ذلك من أعظم الأرب. وعندما قاربه ترجل وبايعه، وتلاه على البيعة جيشه ومن تابعه؛ ثم أمر بالطبول أن تضرب على رأس أبيه، وبالرايات أن تنشر حسبما يرضيه؛ وأظهر للخاصة [ما][1] له للمولى **أبي يعقوب**. ولذلك بلغه الله المرغوب. فكان لا يأتي طرفاً من الأرض إلاّ ونزل لبيعته، وتبرك **/25و/**بتقبيله يديه ودعوته؛ فكان الناس يبكون عند النزول للمبايعة لأبيه، ويدعون له بإقامة الدولة، وبلوغ ما يرتضيه. ولم يزل كذلك بين يديه؛ عاملاً من البرّ ما يجب عليه؛ إلى أن دخلوا **لتلمسان**؛ وحلّ المولى **أبو يعقوب** بقصر أسلافه؛ أولي الملك والسلطان، وانصرف المولى **أبو حمو** لقصره؛ وقضى الله له برضا أبيه ونصره؛ فكان يوم لم يشهد في إقليم، ولا يسمع بمثله في الزمن القديم؛ فاعتبروا يا أولي الأبصار؛ كيف تجري تصرفات الأقدار. خلق لسعادة قبيلته ووالده وولده، ولجميع عشائره وحده؛ فيا لها من نقيبة[2] ما أهناها، ومن نتيجة ما أحسنها. ثم انتهت البشائر بتعظيم الأهل، واستبانت المفاخر، وذهبت

---

[1] أظفنا كلمة ((ما))؛ لتصويب العبارة.
[2] النقيبة: النفس، والعقل، والطبيعة، ونفاذ الرأي.

الأتراح، وأتى اليمن والانشراح. وفي ذلك يقول الطالب الأديب **أبو القاسم بن ميمون السنوسي**[1]:

أطلق عنانك لا تنظر إلى أحد
كفى حسودك ما يلقى من الكمد
وانظر[2] يمينا شمالا كيف شئت فلا
معارض لك في الدنا[3] مِنَ الأبد
جواد جَدّك مسروج وسايسه
مهذب الرأي ما أدناه من.......[4]
أنت الخليفة بعد الله حجته
في الأرض أفضل من أُومَا له بيد
ما للشياه يسسن الملك واعجباً
أظنهن نسين وثبة الأسد
وللعصافير في الآفاق سايحة
وفي البسيطة عقبان بلا عدد

---

[1] هذه القصيدة متواضعة في الشكل والمضمون.وزادها ناسخها سوءاً. وقد نظمت في بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن). ويجوز في مستفعلن = مفاعلن، وفي فاعلن = فَعِلن. والأعاريض:فَعِلن. والأضربفَعِلن فِعْلن.

[2] الكلمة هنا غير واضحة؛ فوضعنا مكانها كلمة: ((وانظر)).

[3] لعلها هكذا.

[4] كلمة غير مفهومة. لعلها: ((خَدِ))، أو ((مَدِ)).

تبا لمن أمن الدنيا وصار على
متونها راكباً يسعى بلا قود
فالركب ما لم يكن فيه الدليل فما
يجوب بالحج منه غير ذي جلد
والنوق ما لم تكن تحدوا حداة بها
لم تشرد العير في البيداء أو تجهد
هو الإمام عماد القوم يا ملكا
أعداؤه أرفعوا[1] بيتاً بلا عمد
ما يُبْتَنَى البيت إلا بالعماد ولا
يرضى عماد إذا ما شد بالوتد
هيهات هيهاتْ دعمهم جانبا فلهم
يومٌ يفرق بين الرأس والجسد
/25ظ/لا تكترث كمدا أصلا بهم كمدا
لأن منك هُمُ موتى من الكمد
ويلاً لأنفسهم في فرض دولتهم
إذ كل ما مال للنقصان لم يزد
هب كان فارسهم أسنى فوارسهم
فذاك آخرهم ولى ولم يعد

[1] هكذا.

عجبت من معشر ما فيهمُ بطل
قد عاقدوا بطلا في الحرب كالأسد
يصلي بصارمه الهيجا فيضرمها
ناراً فصارمه أمضى من الزند[1]
ترى الندى حيث داعي الندا ودعا
من جوده في مَحَلٍ لم يكن بند[2]
يلقاك بالبشر إن وافيت مقتصداً
له وإن لم يكن له بمقتصد[3]
كَـأَنَّ ذاك الذي بالناس كلهمُ
به مِنَ النَّاس بل ألقى فقل وزد[4]
حزت الفضائل يا موسى بأجمعها
لم يبق منها نصيبا ما إلى أحد
أفديك بالروح من عين الحسود ومن
عين الودود وقل بالمال والولد
تبارك الله نيران العدى خمدت
ونور وجهك يبدو غير مُنْخَمِد

[1] الزند بفتح النون: المِسَن.
[2] هكذا.
[3] كتبت: ((مقصداً))؛ وهو تحريف يخل بالوزن والمعنى. فوجب التصويب.
[4] هذا البيت مضطرب في معناه.

لا أحجر الحق إن الحق يعرفه
أخو البصيرة والأعمى وذو الرمد
كم لا وكيف ومن حيث استنار لنا
وجه الزمان كفينا نظرة الحسد
فالحمد لله هذا الشمل منتظم
أضحى بوالدك أسنى وبالولد
إن كنت بالأمس لا أهلٌ ولا ولد
فاليوم أصبحت بين الأهل في البلد
فعش هنيئا أمير المؤمنين على
مراتب العز معصوما من النكد
لا تخش سطوة دهر أنت من يده
على الأكف شبيه المهد بالولد
إن كان كابر عبر مدح غيرك في
ما قد مضى وتولى غير مجتهد
دعني أكابر فيك المجد مجتهدا
ما عشته خلق الإنسان في كبد

***

فلما كمل سبعة عشر يوماً ؛ في دعة وأمان، وسرور ومهرجان ؛ جهز له محلة وافرة متينة ؛ استنهضه بها لفتح **البلاد الشرقية**، وفوض له

الأمر فيما يستفتح من تلك البلاد، وأطلق يده على مناباتها على وفق المراد. فخرج بطبوله وعلاماته وجيوشه الوافرة، /26و/وساقاته؛ قاصداً لحصار البلاد على **بني مرين**، ولقطع دابر القبائل المفسدين. فترحل من **تلمسان** مشرقاً لما خرج بصدده. وقد تزلزلت البلاد خوفاً منه، ومن حشده؛ إلى أن حلّ بالجهة **البطحية**؛ الموسطة للجهة الشرقية؛ فأقام هناك بمن معه من الجمهور؛ وقد اهتز لأتيانه أهل تلك الثغور. فأتت القبائل بالهدايا، وهرعت لطاعته جميع الرعايا.

فبينما هو في تلك البلاد مقيم، وحاله في كل يوم يستقيم؛ إذ أتاه آت؛ أخبره أن **يحيى بن علي؛** أحد قواد **بني مرين**؛ قد جمع عليه **سويد،** وطائفة من **بني تجين**[1]**،** وأفلال الغربية؛ من القبائل المنقطعين؛ وأنه توقف **بوانشريس**؛ بما معه من الأحشاد؛ وأنه يعتد لملاقات **بني عبد الواد**. ومن قبل؛ قد أوقع بأهل **البطحاء**، وقتل شيخها، وسطا على أهل تلك الأنحاء. ولما سمع بخروج المولى **أبى يعقوب** من **تلمسان**؛ دخل **بلاد سويد**، وانقطع من تلك الأوطان.

***

[1] تنطق في الغالب: ((توجين)) بالواو، وأحياناً ((تيجين)) بالياء. وهم من زناتة؛ ومن بني بادين بالتحديد؛ وأقرباء لبني عبد الواد؛ ولكن التنافس على الملك أبعد الشقة بينهما.

ذكر
هزيمة يحيى بن علي بن عبد الرزاق
وما أحدث من الهرج والنفاق

اعلم أن **يحيى بن علي** هذا؛ من قواد **بني مرين،** ومن حماتهم المشتهرين. بعثه **الحسن بن عمر** قائداً على **بلاد بني تجين**؛ فرأت البلاد منه كل العذاب المهين. صادف في ولايته تيّار الأهوال؛ فأعفت فيه سيول الفتن والقتال؛ أظهر الجلاد، وأرجف البلاد، وسطا على الرعية، وظن أنه سيبلغ بنصحه الأمينة؛ ولا[1] يحظى عند مرسله، وينال من المكان غاية مأمله. فوافق حلوله بتلك البلاد؛ إتيان المولى **أبي حمو**؛ حامية **عبد الواد**؛ فأراد أن يذبّ عن مولاه؛ حتى يأتيه النصر ممن ولاه. فاحتفل في إخوته ووصفانه، وضم إليه من هو من قبل سلطانه؛ مع خلو البلاد من الفرسان؛ واشتغال **بني عبد الواد** بدار **تلمسان**؛ فصاح في القبائل بدعوة **بني مرين**؛ ووقف /26ظ/معه **نصر بن عمر بن عثمان؛** من **بني تجين؛** وائتلفت عليه أصحاب الجنايات والصعالك؛ أهل الأذيات؛ فشن بهم الغارات، وصاح بطلب الثارات؛ وضم إليه **سويد الأعراب،** وأخذ في الفساد والخراب. ولم يزل يقاتل القبائل، ويخرب المداشر[2] والمناهل؛ لا يراقب الله في دم مسلم، ولا يفرق بين محسن ولا مجرم. فاتفق من مآثره أن أغار على

---

[1] هكذا. ويبدو أن كلمة ((لأن)) أصح.
[2] هذه الكلمة كثيرة الاستعمال في بلاد المغرب. والمداشر مفردها دشرة وهي القرية الصغيرة.

هوارة[1] ، وأوقع بهم ؛ فقتلوا أخوته فهرب. وكان قبل قتل إخوته يدخل على أهل **البطحاء** عنوة، وقتل شيخها **عيسى بن أحمد** سطوة ؛ فعاقبه الله بهلاك إخوته. وتلك عادة الله في هادم بنيته. ثم أهلكه الله ؛ بمثل فعلته ؛ قتل بمثل قتلته. ثم توغل في البلاد، وحد شوكته في الفتك والفساد ؛ حتى كاد أن يخلي الإقليم بطغيانه. ومع ذلك لم يأته نصر من سلطانه. وعندما سمع بإتيان المولى **أبي يعقوب** في طلبه ؛ فرَّ من **البطحاء** ؛ إلى حيث أراد الله بعطفه ؛ ولم [يجد][2] عناية إلاّ **بجبل وانشريس** ؛ بعد أن لبس على القبائل أتم التلبيس.

وأما خبر المولى **أبى يعقوب** ؛ فإنه لما وصل **البطحاء** ـ كما قلناه ـ هرعت القبائل للقياه ؛ أخذ في التمهيد والتسكين، والعفو عن الشراد والتأمين ؛ إلى أن تمهدت البلاد، ودانت **لبني عبد الواد**. أخبر بخبر **يحيى ابن علي** المذكور، وما حدث منه من الفتك والفجور ؛ وأنه قد استقر **بوانشريس**، وأن **سويداً** معه بنجوعها، وقبائل من **بني مالك**[3]؛ لا يحصى عدة جموعها. فارتحل المولى **أبو يعقوب** إلى **بلد سويد** عاملاً على أن يصيدهم أتم صيد، ويكيدهم بالسرايا أعظم كيد ؛ فوجد الجميع **بوانشريس** ؛ مؤتلفين ؛ وعن قيادة **يحيى بن علي** غير مختلفين. فنزل بقربهم للملاقاة، وبرز لهم بما أعد لهم من الساقات. وعندما

[1] قلعة بالقرب من مدينة يلل في نواحي غيليزان. تسمى بهذا الاسم؛ نسبة إلى قبيلة هوارة الأمازيغية.
[2] كلمة هنا غير مفهومة؛ فعوضت بهذه.
[3] كتب ملك؛ وخطأ. ومالك هم قبيلة مالك بن زغبة الهلالية. وهم إخوة لسويد.

عاينوه نزل بقربهم؛ عاملاً على حربهم؛ [امتنعوا][1] بالجبل المنيع، وتحصنوا به خوفاً من التوقيع. فانتقل إلى سفح [2] جبلهم؛ ونزله، وصار حيث /27و/كانت حلتهم منزلة. ولما رأوا اقتحامه عليهم، واقترابه إليهم؛ أخذوا في مصافهم للقتال، وبرزت[3] المقاتلون من: الخيل والرجال، وأظهروا نخوتهم، وبينوا حدّتهم. وكان **يحيى بن علي** قد اجتمع عليه من **بني مرين** خلق كثير، وحشد من **العرب** كبير. كان معه كثير من **بني واطاس**[4]، ومن **بني يرنيان**[5]؛ كثير من الناس، وأخلاط من القبائل **والوصفان**، وكثير ممن تقعّد في الأوطان؛ ولذلك أدركه العجب، وغُرّر، وطلب المقابلة، وما اعتبر. وعندما شرع الناس في القتال؛ بادر **يحيى بن علي**؛ [بمن][6] معه من الأحشاد، والخيل والرجال؛ وضايقوا المولى **أبا يعقوب** بسفح الجبل. وظهر له أنه الغالب في هذا العمل؛ فالتحمت الأبطال، ووقع القتال، واشتدت الحرب، وطال الطعن والضرب. وعندما رأى المولى **أبو يعقوب** أن شكتهم حادة، وعزمتهم في حربهم جادة؛ ضرب طبوله، ورجف وقصد مصافهم؛ وما توقف، وضم جناحي جيشه عليهم؛ ولم يثن عنانه؛ إلاّ بعد التوصل إليهم. فلما عاينوا رايته العلية؛ أدركهم الفشل، وتأخروا

---

[1] الكلمة هنا أخفتها لطخة من الحبر؛ ويمكن أن تكون كما أثبتناه.
[2] كتبت: ((صفح))؛ بالصاد المهملة؛ وهذا خطأ إملائي.
[3] هكذا. والصحيح: ((برز)).
[4] يدعون أيضاً ((وَطّاس)). وهم فرع من بني مرين.
[5] وهم إخوة لبني مرين.
[6] سقطت في الأصل كلمة ((بمن))؛ فأضفناها.

معتصمين بالجبل. جدّ عليهم **بنو عبد الواد**، وصاحوا بالثارات في الأعادي؛ [فـ]نكصوا[1] على أعقابهم منهزمين، وفرّ **يحيى بن علي** ومن معه من **بني مرين.** ثم صعد معهم المولى **أبو يعقوب** الجبل، واستأصلهم بالسيف، وبلغ منهم الأمل؛ ثم استولى على أموال **سويد وتجين**، ومات من شاء الله منهم، ومن **بني مرين**؛ فسلموا في البيوت والأموال، وطلبوا النجاة بأنفسهم في رؤوس الجبال. وتمادى **يحيى بن علي** إلى **مليانة** في أسوء حال، وشرّ إهانة.

ولما رجع[2] من إتباع **بني مرين** ومن فرّ معهم من **بني تجين**؛ [استاق][3] الأموال إلى محلته، وضم غلال **العرب** إلى غلته. فأقام هناك أياماً؛ يمهد البلاد، ويسكن الشراد، ويولي القواد. ثم بعث إلى ولده المولى **أبي حمو**؛ يعلمه بهذا الفتح الجميل؛ وما منحه[4] الله من العطايا العطايا الجزيل؛ وعرفه بفرار **يحيى بن علي** المذكور؛ وأنه اعتصم **بمليانة**؛ في بعض من كان؛ وأن يضيق عليه تلك الأوطان. فارتحل المولى **أبو يعقوب /27ظ/**مقبلاً، وطالباً على أخذ **المهدية**[5]؛ ومعولاً ليزيل ما بها؛ من أمر **بني مرين**، ويتمكن من **عرب بني مالك** أتم تمكين.

***

□

---

[1] في الأصل: ((نكصوا))؛ بدون الفاء.

[2] أي أبو يعقوب.

[3] حرفت هذه الكلمة؛ فكتبت: ((اشتفاق)).

[4] لطخت الكلمة في الأصل بالحبر؛ ولكنها كتبت في الهامش.

[5] هكذا كتبت؛ وهو تحريف؛ والصحيح: (لمدية)).

ذكر أخذ لمدية[1]
على الأمان وإتيانهم بعد الهرج إلى الإذعان

قد تقدم ذكر **يحيى بن علي** ومن معه من الاستيلاء[2] عليه وعلى من تبعه. وأن **بني مرين** عند فرارهم من البلاد؛ تفرقوا للبلاد[3]؛ خوفاً من **بني عبد الواد**، وطلب ثأرهم؛ وأنهم لجئوا للبلاد التي بقيت على ذمتهم؛ لما عاينوا في المعركة عين منيتهم؛ فلجأت طائفة مع **يحيى بن علي بمليانة**، وطائفة إلى **المدية**؛ في أسوأ إهانة، وطائفة إلى **الجزائر**، وطائفة في الجبال والمحاصر. فارتحل المولى **أبو يعقوب** عاملاً على **المدية**؛ ليزيلهم منها بالكلية. وذلك بعدما مهّد البلاد، وأزال ما بها من الفساد؛ وبدل وغير، وقدم وأخّر. ولم يزل يعمل ركابه إلى أن نزلها. وعندما شارفها قاتلها؛ فوجد أهلها قد برزوا للقتال، واعتدّوا للحصار والنزال؛ فاخرجوا له المقاتلين، وبادروه مبادرة المنافرين؛ فوقع القتال واختلفت الفرسان، والرجال؛ وتناكرت الوجوه؛ ولم يبق شيء من قوتهم إلا أظهروه؛ ثم أن **بني عبد الواد** غضبوا لوقوف **المدية،** وأخذتهم لذلك الأنفة والحمية؛ فحملوا على المقاتلين، وشدوا عليهم في الحين؛ فانهزم أهل البلد هزيمة شنيعة، ورأوا من القتل ساعة؛ كادوا أن يدخلوا عليهم البلد؛ لولا ما ثابوا إليه من الرشد. وذلك أنهم لما

[1] كتب في الأصل: ((المدينة))؛ وهو تحريف.
[2] كتب في الأصل: ((الإستولاء)).
[3] هكذا.

عاينـوا مـا لا قـدرة لـهـم عليـه، ولا منـاص لـهـم إلا بالاستسـلام إليـه؛ باتـوا ليلتهـم عـلى الأسـوار؛ قـد دخلهـم الرعـب مما لقـوه بالنهـار؛ فاتفقـت آرائهـم في ليلتهـم تلـك؛ أن يعطوهـم صفقـة أيديهـم؛ لمـا عاينـوا الهـلاك. فلمـا أصبـح؛ بعثـوا إلى المـولى **أبى يعقـوب** السلطـان؛ يطلبـون منـه أن ينعـم عليهـم بالأمـان؛ فأجابهـم لمـا طلبـوه؛ وأنالهـم منـه مـا رغبـوه؛ ففتحـوا لـه الأبـواب، وخرجـوا إليـه؛ فلقـوا منـه مـن البـرّ والإكـرام؛ مـا لا عولـوا عليـه. ثـم بايعـوه، وكتبـوا إلى المـولى **أبى حمـو** ببيعتهـم؛ /28و/فنالـوا منـه عوايدهـم، ومنفعتهـم. ثـم أخـرج **بنـي مريـن** ومـن تبعهـم مـن الغربيـة **الحصين**[1]. وعـادت **المدية** إلى حكـم **بنـي عبـد الـواد**؛ وبلـغ[2] في فتحهـا غايـة المـراد؛ فكـان دخولـه إليهـا في غـرة ذي القعـدة؛ وأزال اللـه عـن أهـل **المدية** كـرب الحصـار والشـدة. ثـم أقـام **بالمدية**؛ إلى أن[3] بعـث لـه أهـل **مليانـة** بالخدمـة، وأن يـرد عليهـم؛ فإنـه أبـقى لـهـم للذمـة. ثـم كتـب بفتحهـا إلى ولـده؛ مولانـا السلطـان؛ ويعرفـه بمـا وجـد فيهـا مـن **بنـي مريـن** الفرسـان. وسيـأتي خـبر **مليانـة** وفتحهـا، وكيـف سنـى اللـه كيفيـة فتحهـا؛ وذلـك عـلى يـد الوزيـر المعظـم **عبـد اللـه بـن مسلـم**.

***

[1] يقصد: ((وحصين)) بواو العطف؛ وهم أتباع القبيلة الهلالية المسماة حصين. ومواطنهم في ضواحي تيطري.
[2] في الأصل: ((وبالغ))؛ وهو تحريف.
[3] ((أن)) كتبت في الأصل بالهامش.

ذكر
وصول عبد الله بن مسلم من وادي درعة وأحواز سجلماسة
وما أبدى من الشهامة والرياسة

اعلم أن **عبد الله بن مسلم** هذا ؛ سيد **بني زردال**، وشهم حماتم الأبطال. استوطن **المغرب** ؛ حين خرج **بنو عبد الواد** من **تلمسان ؛** وأقام **بالمغرب** إلى أن ولاّه القيادة **أبو عنان**. وذلك لما ظهر له من نجابته، وكفايته، وخدمته، وشهامته. ولاّه **وادي درعة** وأنحائه، وحكّمه في ذلك الإقليم، واستحسن [توليته][1]؛ فمهدها له أتم تمهيد، وسكّن عفاتها، وأنس من التشريد، واستمال قبائل تلك الجهات بإحسانه، ولاطفهم حتى عادوا كإخوانه ؛ فساد على غيره بذلك الوادي، وطاوعته أهل تلك البلاد ؛ فكان بها كالأمير المطاع، والرئيس ذي الأتباع. فنمت[2] بولايته الجبايا، وصلحت بقياده الرعايا ؛ فخص عند **أبى عنان ؛** فأقره بذلك المكان، فلم يزل به إلى أن مات[3]؛ فولي **السعيد ؛** وتمادت ولايته من **بني مرين** ؛ كما يريد ؛ إلى أن فتح الله على المولى **أبى حمو** البلاد، وبلغه في أعدائه مراده، واتصل علمه ؛ أنه بحضرة **تلمسان** ؛ وأنه تملك ما كان لأسلافه من الأوطان. كتب له ـ من تلك البلاد ـ يهنيه، ويعلمه أنه عبده وابن عبده ؛ بما يأمره به يمضيه. فكتب له **أبو حمو** باستخدام

[1] في الأصل: ((استليت له))؛ وهو تحريف؛ فوجب التصويب.
[2] كتب في الأصل: ((فنميت))؛ وهو خطأ.
[3] أبو عنان.

أهل /28ظ/تلك البلاد ؛ واستجلابهم لدعوة **بني عبد الواد** ؛ وأن يجمع عليه قبيله، ويسير كثيره وقليله ؛ وأن يضم لخدمته من يعتمد عليه، ويقرب من يصف للخدمة إليه، وأن يحض **الأعراب** على خدمة **بني زيان**، وأن يقوموا على دعوته في تلك الأوطان ؛ وأنه إذا انقضى بالفتح بقية البلاد فيصرف وجهه لقبلة **المغرب** ؛ بما تيسر من الأحشاد. فلم تزل المراسلات بينه وبين مولانا السلطان، والأوامر **الزيانية** تجري على يديه في تلك الأوطان ؛ إلى أن استخدم كثيراً من أهل تلك الجهات، وطاعت له **العرب**، وركنت للموالاة. فطال أمره ؛ إلى أن هم بالوثوب على **سجلماسة**. وذلك من الشهامات والرياسات. فبينما هو يحاول الوثوب عليها، ويحتال في التوصل بمحاولة إليها ؛ إذ أتاه آت ؛ أخبره بقدوم **أبى سالم** ؛ وأنه أطاع له **المغرب**، وخدمته جميع الأقاليم[1]**.** فنظر ؛ أن محاولته لذلك تقررت ؛ لكن تلك المقدمات قد أثرت. وسمع أن **أبا سالم** عزم على ملاقاة **بني عبد الواد** ؛ فأخذته حمية الكرام الأنجاد ؛ فأخذ في شأن القدوم على مولاه ؛ وذلك ما نظره ورآه ؛ وأنه لا عزة إلاّ في قومه الكرام، ولا ضرب إلاّ أمامه[2] بالحسام. فجمع أمره على القدوم، وأبرم وعقد عقده بالخلاص وأحكمه ؛ فاستعمل هدية سنية كأنها **لأبى سالم**[3] ؛ وهو يريد بها المولى **أبا حمو** ذي[4] المكارم. أخرق

[1] في الأصل: ((الأقالم))؛ وهو تحريف.
[2] أي أمام السلطان أبي حمو.
[3] أي أوهم الأعين أنها سيقدمها لأبي سالم.
[4] في الأصل: ((دو))؛ وهو خطأ.

في عملها المعتاد، ومدّ يده فيما يستحسن وزاد؛ وولف الرزق والعدد، وأخذ من ذلك الوادي أحسن ما وجد. ثم جمع عليه قبيله، وحمل كثيره وقليله؛ وارتحل حاكماً نفسه ومن معه.

فيا حسن ما دبره وصنعه. ثم أخذ يظهر نفاقه، ويبين ـ في تلك البلاد ـ شقاقه، ويشتهر[1] بخلافة مولاه، ويستبيح النهب فيما والاه؛ فشن الغارات على أهل الأودية، وأكلها،[2] وحرق المداشر وسهولها؛ حتى كادت تبلغ **سجلماسة** غاراته، وتحرق البلد شرارته. ثم أكل ما وجد من حقل وقطع جميع تلك السبل. وأبدا عداوته /29و/علانية؛ وصاح بالخراب صيحة كلية؛ فلا يمر بمدشر إلاّ حرقه، ولا بحقل إلا أكله وفرقه؛ إلى أن وصل بلاد **تلمسان**، وحل بأول أوطان مولانا السلطان؛ فبعث إلى المولى **أبى حمو** يعلمه بقدومه عليه، وبشأن الهدية التي جاء بها إليه؛ فكان إتيانه فتحاً جديداً، وركناً للحماية مشيداً. فكان من استحفاله به أن استوزره، ونوهه، وقدمه، وصدّره؛ ثم أعطاه دار أكبر وزراء المولى **أبى تاشفين**، ومكنه في الوزارة[3] الرفيعة أي تمكين؛ وأنزل من قبيله بديار والكرمات، وأطلق أيديهم على الطاعات؛ ونوه بهم تنويهاً يليق بأمثالهم؛ وذلك بما قدموا من جميل فعالهم. ثم أخرج إليه محلة، وأمَّره، وأزاده إلى قوة أحشاده؛ فتكاثرت.

---

[1] هكذا.
[2] يقصد: إستلحم أهلها.
[3] في الأصل: ((في وزارة)).

وأمره أن يسير لفتح **البلاد الشرقية**؛ إلى الجهات **البجائية**؛ وفوض له أمر تلك البلاد، وأن ما أمضاه عنه ليس له من راد. ثم ودعه وارتحل مسافراً وعلى إحصار[1] الأعداء عاملاً. فكان وصوله **لتلمسان** في الشهر المعظم رمضان؛ فلم يزل يعمل ركابه، والأعداء تعمل حسابه؛ إلى أن حل **بشلف**؛ من أحواز **مليانة**؛ يريد الإنهاك بأهلها والإهانة.

***

[1] أي: على محاصرة الأعداء.

ذكر
أخذ مليانة والقبض على يحيى بن علي وفارح وبني مرين الذين معهما وكل من كان يتبعهما

اعلم أن **يحيى بن علي** المذكور لما فرّ من الهزيمة؛ بمن معه وعاين الثبور؛ لجأ إلى **مليانة** متحصناً وبوعرها متأمناً. تلقاه **فارح**[1]؛ وأزال دهشته، وآنسه إلى أن أزال وحشته. سأله كيف كانت ملاقاته؟ وكيف حدثت عاقته. فأقر أنه لم تُعمل السروجُ إلاّ **لبني عبد الواد**؛ وأنه لا قبل لأحد بهم في البلاد. ثم قال: ما رأيك يا **فارح**؟ فأنا أعرف أنك لمولانا ناصح. قال[2]**:** نحتبس **بمليانة** ما استطعنا؛ ونقاتل بجملتنا؛ وقبل إتيانك؛ على الحصر عولنا. فقال له **يحيى بن علي**: كن يا **فارح** فيما يأتي، وساعد على ما يصح فعله ويواتي[3]**.** قال **فارح**: وما ذلك؟ قال: النجاة خير من الاقتحام في المهالك؛ يا **فارح** الرأي السديد، والأمر الموافق الرشيد أن نقصد **الجزائر**؛ إلى **ابن ودرار؛**[4] ونأخذ **/29ظ/**معه في شأن الانتصار؛ وأن نبايع ولد **أبى عنان**[5] الذي عنده، ونقيم[6] له من **الجزائر** محلة وعدة؛ فإن كانت الطايعة[7] لنا؛ فذلك هو

[1] علج من فتيان بني مرين.
[2] أي: قال فارح.
[3] في الأصل: ((ويوات)).
[4] هو شعيب بن ميمون بن ودرار؛ قائد من قواد بني مرين.
[5] كان أبو عنان قبل موته قد أقام صغار أبنائه على رأس ولايات الدولة؛ وأرفقهم بقادة بمثابة الوزراء لإعانتهم.
[6] في الأصل. ((ونقيموا))؛ وهو خطأ.
[7] هكذا. ربما يقصد: إن كانت تلك الطائفة مطيعة لنا...

أملنا؛ وإن كانت علينا فالقدر واضح لدينا. وبالحقيقة أن صاحب **المغرب** يعلم قيامنا به؛ للعناد؛ ومبايعتنا له غيظاً **لبني عبد الواد**. ثم زين للعلج[1] زخارف كالأحلام، وأراه في اليقظة ما يراه النائم في المنام؛ حتي اغتره بكلامه، ونظمه في سلك نظامه. وخرجا **للجزائر** مسرعين، وتركا **مليانة** كأنهما يقضيان لدين. وعندما دخلا **الجزائر** على **ابن ودرار؛** ظنّ أنهما ـ ومن معهما ـ ألحقا بالبوار؛ فقال لهما ـ بعدما أنزلهما ـ ما الخبر الذي أعجلكما، **وبالجزائر** ألحقكما؟ أدُخلت **مليانة** عليكما[2]**؟** قالا له: قرب أن تُدخل؛ إن لم تكن منك المساندة، والموافقة لنا، والمناجدة. قال: تكلموا؛ فما هو صواب توافقنا عليه، وما هو خطأ لم نلتفت إليه. قال: الرأي أن نبايع[3] ولد **أبى عنان**؛ الذي تحت نظرك؛ من غير توان؛ فإن **بني عبد الواد** قد (أخذ جيشا)[4] جيشا)[4] من البلاد. فإذا نحن فرضناه[5]، وأوقفناه، وبايعناه؛ اجتمع عليه كافة **بني مرين**؛ ويأمن خوف الذين في البلاد منقطعين؛ فإن كان لنا بذلك ما أملناه؛ وإن كانت علينا فالأمر له، وعذرنا واضح؛ لانقطاعنا؛ وحجة في ابتداعنا. قال **ابن ودرار**: لا يتأتى لي هذا العمل؛

---

[1] المقصود بالعلج: هو القائد فارح.
[2] هكذا. والمقصود هو: أدخل العدو عليكما بمليانة؟
[3] في الأصل: ((نبيع))، وهو تحريف بيّن.
[4] ما بين قوسين؛ عبارة في الأصل غامضة؛ وربما المقصود بها هو أن بني عبد الواد استولوا على على جزء من البلاد....
[5] أي ابن أبي عنان.

إلاّ بموافقة أهل **الجزائر**، ومشورة أشياخها الأكابر؛ فإن رأوا ذلك سداداً؛ اتخذناه جميعاً رشاداً.

وكان **ابن ودرار**؛ قد علم أن ذلك مفسدة، وأن هذا الرأي ليس فيه محمده. وعندما ذكر الحضر[1] **ليحيى بن علي**؛ قال: لا مدخل[2] للحضر معنا. قال: لا بد من مشورتهم؛ إن تتبعنا؛ وإلاّ فهذا عين الخلاف، وسبب الإرجاف. فعندما ردّ أمرهم للحضر؛ همّوا بقتله في الأثر؛ فبعث إلى الحضر ـ في خفية ـ أن يتذرعوا، وأن لا يوافقوا، ولا يتبعوا. ثم أقبل أهل **الجزائر** إلى **القصبة** مروعين؛ يريدون قتل المبتدعين؛ فأتوا على عرض **ابن ودرار**. وكاد **يحيى بن علي** /30و/أن يلحق بالبوار؛ فخرج مع العلج خائفين؛ وبما عاينوا من أهل **الجزائر** راجعين بخيبة؛ في جملة من **بني يرنيان**، وجملة من **بني واطاس**، ومن بقي في تلك الأوطان. فأخذهم **يحيى بن علي**؛ في جرته؛ ودخل بهم **مليانة** على غصة؛ فامتلأت **مليانة ببني مرين**، واشتد عضد أهل البلد بالمقاتلين.

ولما سمع **يحيى بن علي**؛ بإتيان الوزير **عبد الله بن مسلم** إليه؛ عول على ما يُعَوَّل عليه؛ فخرج بمن معه من **بني مرين** إلى ملاقاته؛ وتعرض له بقرب الحضرة بساقاته؛ فما لبث الأمر أن وقع القتال، والتحمت الأبطال؛ ودفع **يحيى بن علي** بمن معه؛ فلم تنفع دفعته؛

[1] أي سكان الجزائر من الحضر.
[2] في الأصل: ((لا مدخال)).

ولا من تبعه؛ فثنى عنانه منهزماً، وترك قومه؛ ولجأ للبلد معتصماً؛ فتبعه الوزير؛ إلى أن نزل عليه البلد؛ فخرجوا لقتاله، وأظهروا الجلد؛ فانهزم[1] أهل البلد هزيمة شنيعة، وأوقعوا بهم وقتلوهم قتلة ذريعة.[2] كاد أن يدخل عليهم البلد؛ ولو دخل لهلك الأهل والولد.

فلما عاينوا ما لا قدرة لهم عليه؛ أذعنوا للسلم، وجنحوا إليه. فبعث الوزير إلى المولى **أبي يعقوب**؛ ليحضر هذا الفتح الموهوب؛ فجاء من **المدية**، ودخل البلد، وقبض على **يحيى بن علي وفارح وبني مرين**، ومن انضاف إليهم واجتهد. ثم انتزع خيولهم، وأسرهم. وكذلك فعل بحصة **المدية** ومن ظاهرهم؛ وذلك في رابع ذي القعدة. وأراح الله من **يحيى بن علي**، وأزال ـ بأخذه ـ الشدة. ثم بعثهم ـ في حكم الأسارى ـ لحضرة مولانا السلطان، وحبس **يحيى بن علي** وابن أخيه؛ لما قدر عليهما من الامتحان. ثم أخذ المولى **أبو يعقوب** في الحركة **للجزائر**؛ ومعه الوزير المعظم **عبد الله بن مسلم** الليث الماهر ذي المآثر.

***

---

[1] في الأصل: ((فانهزموا))؛ وهو تحريف.

[2] هكذا. والمقصود هو: أن عبد الله بن مسلم هزم أهل البلد، وأوقع بهم، وقتلهم قتلة شنيعة.

ذكر حصر الجزائر على ابن ودرار
وقتل يحيى بن علي وابن أخيه وما لقيا من البوار

ولما استفتح المولى **أبو يعقوب المدية**، والوزير **مليانة**؛ ورزقهما الله على فتحهما [السلامة][1]؛ أخذا في الحركة **للجزائر**؛ وحشدا إليها عظيم الحشد الوافر. أقبل إليها بمحلة /30ظ/وافرة وأبطال متكاثرة؛ جمعت محلتهما الأجناد، والأغزاز، والأنجاد، ورماة البلاد؛ فارتحل من **مليانة**؛ عاملاً عليها وزاحفاً بحشده إليها. فلما حلّ بأرجائها، وشارفها من أقرب اتجاهاتها؛ نزل منها بحد الرماية؛ وتلك أعظم نكاية. ضاق أهل **الجزائر** لذلك النزول ذرعاً، وساءهم ذلك التقرب روعاً. وكانت **الجزائر** قد شحنت **بالمغاربة**، وجاءت إليها جميع الحصص الهاربة؛ فكان فيها ما ينيّف على الألفين؛ زيادة على أهل البلد؛ من غير مَيْنٍ.[2] فبادروا بأجمعهم بالخروج للقتال، وأظهروا النجدة في نفس الحال؛ وعاجلوا أهل المحلة - قبل النزول - بقتالهم، واستعدوا برماتهم ورجالهم. فكان الناس ينزلون؛ وهم يقاتلون؛ وينهوهم عن المعاجلة؛ وهم يعاجلون؛ إلى أن وصلوا معهم شرايط الأخبية. وكادوا يضربون في صدور الأولوية؛ فضربت - حينئذ - الطبول، وترجلت الفرسان؛ وتركت الخيول، وشدّوا على أهل البلد؛ شدة

[1] في الأصل هذه الكلمة غير واضحة وملطخة بالحبر. وما كتب بين حاصرتين شبيه بما استنشف.
[2] أي من غير كذب.

عظيمة، وأضغطوهم ضغطة ذميمة؛ فانهزم أهل البلد عند ذلك، ولقوا من أهل المحلة أشد المهالك. فكانت الهزيمة عليهم إلى الباب؛ حتى كاد[1] أن يدخلوها بالرايات. إلاّ أن **ابن ودرار**؛ خرج في جملة من النصارى وقاتل أمام الباب؛ وما توارى. فقتل في تلك الهزيمة ثمانية عشر رجلاً؛ ولم يبلغوا في معاجلتهم أملاً. وبلغ عدد الجرحى ما ينيّف على الثمانين. هذا من أهل البلد؛ دون **بني مرين**. ولولا أن الله يسر وحمى؛ لدخلت عليهم، وهتك الحمى[2]. ثم أن **ابن ودرار**؛ وقف بخارج الباب؛ حتى دخل الناس، ومسك على الطعن والضراب. ثم أمر بغلق الباب وبنائه؛ ورأى بناءه من حسن آرائه؛ فصار أهل البلد يقاتلون من أعلى الأسوار، ويرمون بالمنجنيقات والأحجار. فكان المقاتلون يخرجون من المخادع، ويقاتلون في الموانع؛ والوزير **/31و/عبد الله بن مسلم** - في كل يوم - يرهقهم وبالقتال، يروعهم، ويقلقهم؛ يشد عليهم[3] ليلاً ونهاراً، ويكر عليهم عشياً وإبكاراً؛ إلى أن دخل الناس الفشل، وذعنوا إلى الكسل؛ لما طال العمل، وكادوا أن يسلموا البلاد؛ ليسلموا الأهل والولد. ثم أنه هرب من المحلة أحد الرماة، وأخبرهم أن المحلة خالية من الحماة؛ وأنه لم يبق إلاّ السلطان، والوزير، والوصفان، والنفر اليسير. طلب أهل البلاد الخروج إلى

[1] هكذا. والمقصود: حتى كادوا...
[2] هكذا. والمقصود: لدخلت بنو عبد الواد عليهم، وهتكت الحمى...
[3] عبارة: ((يشد عليهم)) تكررت مرتين في الأصل. وهو سهو في النسخ.

المحلة؛ حين أخبروا أنها خالية، وقومها في قلة؛ فطلبوا **ابن ودرار** في الخروج؛ فلم يسمح لهم؛ وقال: لعل هذا مما يريد به ختلهم. ثم غلبوا عليه، وخرجوا على غير اختياره، وتركوه يتقلب على حرّ جماره. فأتوا المحلة من جهة المولى **أبى يعقوب**؛ لأنها أمنع لهم للهروب؛ فبادروا النوايل[1] بالنيران؛ بعدما يئسوا من الضراب والطعان. فعندما عاين المولى **أبو يعقوب** حدّة شوكتهم؛ خاف ما ينتظره من معركتهم؛ فأمر الناس بالرّحيل، وحمل ما كان معه من الكثير والقليل؛ وذلك خوفاً من حرق النار؛ لا من قتال الأشرار. وكذلك فعل **عبد الله بن مسلم** بمحلته؛ ولم يصل أحد إلى أن أتيه[2]**.** ثم أمر **بيحيى بن علي** وابن أخيه؛ فقتلا، وحملا رأسه، وارتحلا؛ وفي عام إحدى وستين وسبعمائة [هجرية].[3] في هذا العام؛ قابل سلطان المولى **أبو حمو** وظهر، وقهر أعداءه وظفر. جاءه مولد سيد الأنام؛ فقام بحقه أتمّ القيام، وضاعف في الإنفاق، وأوسع في الإصراف، وخرق المعتاد، وضاعف في كل فضيلة وزاد. حضرها شيوخ البلاد، ووجوه أهل تلمسان، وبنو[4] عبد الواد؛ عمّ طعامها البادي، والحاضر، والمقيم، والعابر. حرق من العود، والجاوي، والعنبر؛ ما أقام ليلة متوالياً؛ من غير أن يختصر؛ وأظهر للناس فضله؛ فجاءه شعراء **تلمسان**

[1] لعله يقصد أوشحة الأخبية.
[2] هكذا. وهي عبارة غمضة.
[3] 1359م
[4] في الأصل: ((بنوا))؛ بالألف وهو تحريف.

بالمولديات ؛ فنشدوا بين يديه ؛ /31ظ/تلحيناً على حسب الأعاريض، والصناعات السمعيات. فمن ذلك ؛ ما قاله الفقيه **القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسني** المسمى **بابن يعلى** عفا الله عنه[1]:

ظَهَرَتْ فَأَظْهَرَتِ السُّرورَ الأَبْكَرا   وسمت فأخفضت الهلال الأزهرا
ورقت معاليَ سيمة[2] علوية   ما كان أعلا ما علته وأشهرا
للـه صبـح صبيحـة ميمونـة   أبـدت بفضل اللـه نـورا نيـرا
يا خير ذا صبح وخير صبيحة   جـاءت بمولـده ظهيـراً أظهـرا
سفرت لنا عن ثغرها فتبسمت   أزهار روض قد أثارت عنبـرا
وجلـت قلائـد جيدها عطريـة   ما كان أسمى ريح ذاك وأعطـرا
للـه منهـا ساعـة مسعـودة   عـادت لمنشئها بعيـشٍ أخضـرا
جـاءت بأحمد [هادياً] وممهـدا[3]   ومبشـراً ومحـرراً ومطهـرا
خضعت ركاب المشركيـن لبعثـه   وتضعضع الإيـوان منـه وكسـرا
وكذاك نيـران المجـوس بفـارس   خمدت لمولده كما قد سطـرا
وبكفِّـه حصباء [رمل] سبّحت[4]   وكذلـك المـاء الـزلال تفجـرا
والضبي كلّمـه بأفصح مِقْـوَلٍ   والظّـبّ رد لـه جوابـا مخبـرا

---

[1] نظمت في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن). ويجوز في متفاعلن = مستفعلن. والأعاريض:متفاعلن، فَعِلن. والأضرب متفاعلن، فَعِلاتن، مَفْعولن، فِعْلن، فَعِلن، فِعلنْ.

[2] السِّيمَة: العلامة والهيئة.

[3] حرف هذا الشطر في الأصل؛ فكتب هكذا: ((جاءت بأحمد هاد وأمهدا))؛ وهذا يخل بالوزن. فوجب التصويب.

[4] حرف هذا الشطر في الأصل؛ فكتب هكذا: ((وبكفِّه حصباء رمال سبّحت))؛ بمدّ ميم ((رمل)) فأضحت ((رمال))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصويب.

وشكى البعيـر إليـه ظلماً نالــه   فحبــاه نصــراً بالعــدو وظفّــرا
وبكى الجُذَيْــعُ تشوّقــا لفراقــه   فحنــا عليــه مسكتــاً ومصبــرا
هذا وكم من معجزات قد سمت   وتعاظمت في قدرها أن تحصرا
صلى عليك الله يا خير الورى   أزكى صــلاة للإلــه وأوفـــرا
مولاي إني قد وجدتك كاشفاً   بلـوى ذنـوب أوبقـت وتحسـرا
مــالي إلى ربّي سـواك وسيلـة   ليمــن بالعفـو الجميـل ويغفــرا
[ويُبَلِّــغ العــاني زيــارة طيبـــة   من قبل أن يـأتي ممــاتي أقبـرا][1]
أمـلي الزيـارة لا عدتـني كلما   رمت ارتحالا رمت صعبا أوعرا
وأرى الذنوب صوارفا عن بابكم   وأرى الرجى عن وجه نَيلي أسفرا
/32و/مولاي حظي من رجائك حضني   فوثقت منه بكـل موثقـة العـرا
[وبباب جودك يا مليك ميمني   أوقفت أرجو منك عفوا مؤثرا][2]
لتمدني بالعــون منـك إذا دنـا   [رَكْبٌ إلى تلك الربـوع مشمرا][3]
طابت بذكرك يا مليك وعطرت   أرجى[4] تلمسان وطابـت مخبـرا

---

[1] هذا البيت غير سليم بالمرة. وورد في الأصل هكذا:
((ويبلغني طيبـة في طيبـة   من قبل أن يلحقني الممات وأقبـرا))؛ فوضعناه كما جاء أعلاه بين حاصرتين.
[2] جاء هذا البيت ـ في الأصل ـ هكذا:
((وباب جودك يا مليك ميميني   أوقفت أرجوا منك موثـرا))؛ وهو مضطرب، وغير موزون؛ فصوب كما ورد بين حاصرتين كما ورد أعلاه.
[3] جاء هذا الشطر ـ في الأصل ـ هكذا: ((رَكْبٌ إلى نزلك الربوع مشمرا))؛ فاضطرب المعنى، واختل الوزن؛ وعليه فقد صوب؛ كما ورد أعلاه بين حاصرتين.
[4] هكذا.

وسمت بك [العلياء][1] أسما رتبة وبجاهــك المجــد الرفيــع تــأزرا
للـه منـك مكانـة قـد ظفّـرت بعزيـز نصـرك ظافـراً ومُــؤزرا[2]
للـــه منـــك جلالـــة مأثـــورة ونهايـــة فيهـا العـــدو تحيـــرا
لك في الدعا[3] إن ما حمدت مفاخر تغني الأسود إذا بلونـا منظـرا[4]
وإذا مننت (ببحر) غيث وابل وإذا اثنثيت فبدر تم [و] أزهـرا[5]
موسى الرضى مولاي فاهنأ واثقا باللـــه فالفتـــح المبيـــن تيســـرا
هذي السعود دَلَتْ ودانت بالذي تهـواه والمطلوب عـاد الأيسـرا
هذي الاماني طوع أمرك أقبلت وزمام عزمك في الأماني أمرا
فاحكم بما تهوى فأمرك نافذ حكمت به الأقدار جبراً للورى
فاللـه يبقيكـم ويـولي أمركـم نصراَ على مرِّ الزمـان مظفـرا
ويريكــمُ وبمــا تحــب يمدكــم وينيلكـم عنـا النوال الأوفـرا
ثـم الصلاة على النـبي محمـد [أسنى الموارد ذا وأطيب عنصرا][6]

***

[1] ((العلياء)) ـ في الأصل ـ كتبت ((العليا))؛ بدون همزة؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصويب.
[2] كتبت في الأصل: ((مُأزرا))؛ بالهمزة على الألف؛ وهو خطأ.
[3] رسمت في الأصل هكذا: ((الدعى))؛ بالألف المقصورة.
[4] هكذا. وفي الشطر غموض.
[5] في الأصل؛ بدون واو العطف؛ وهذا يخل بالوزن. فأضفناها.
[6] هذا الشطر مضطرب المعنى، مختل الوزن؛ وورد في الأصل هكذا:
((أسنى المو راد أتا وأطيب عنصـرا))؛ فوجب التصويب.

وللفقيه **أبي محمد عبد المؤمن بن موسى المديوني** عفا الله عنه [1]:

شهرٌ ربيعٌ زارنا يا حبذا　　أهلا به من زائر [متفقد][2]
في كل عام مرة يهدي لنا　　أزهاره ومبشراً بالمولد
[فـ]أيا ربيعُ لك العلا فأرى العلا[3]　　فضلا ولا تسمع لقول [مفسد][4]
وأيا ربيعُ لك المفاخر كلها　　ولك الشهور أذلة كالأعبد
فيك استهل نبينا خير الورى　　في ساعة طلعت بسعد مسعد
فتكشفت ظلماء كل ظلالة　　وانجاب غيهبها لكل موجد
/32ظ/والكفر ولّى[5] لا ضلالة بعده　　قد هُدَّ ما قد شاده بمحمد
فكأنه في نوره وبهائه　　قمر بدا في جنح ليل أسود
فتنكّست أصنام قيصر عنده　　واعتاض [قائدهم][6] كَمَيِّتِ ملحد
ثم انطفت نيران فارس بعدما　　مرَّت سنون وحموها لم يخمد
والتاج عن كسرى تساقط هيبة　　لظهور خير العالمين محمد
وتضعضع الإيوان من جنابته　　وبدت أمور للكفور المخلد
هذا وكم ظهرت له من آية　　كالشمس في إشراقها أو أزيد

---

[1] نظمت هذه القصيدة في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن). ويجوز في متفاعلن = مستفعلن. والأعاريض:متفاعلن، فَعِلن. والأضرب:متفاعلن، فَعِلاتن، مَفْعولن، فِعْلن، فَعِلن، فِعلنْ .

[2] في الأصل: ((منتقدا))؛ وهو خطأ نحوي؛ ويصيب الروي بعيب الإقواء.

[3] جاء هذا الشطر في الأصل هكذا: ((أيا ربيعُ لك العلا فارى العلا))؛ فاختل وزنه؛ فصوب كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

[4] في الأصل: ((مفندا))؛ وهذا إقواء وعيب في الروي. كما أن وزن الكلمة يفسد وزن الشطر كله.

[5] في الأصل: ((ولا)).

[6] في الأصل: ((قايا))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصويب.

من معجزات عز أن يأتي بها   بشر سواه ومثلها لم يشهد
ككلام ضب والغزالة بعده   والذئب حقا والحصا والجلمد
ثم انشقاق البدر والماء الذي   روَّى الجيوش من الأصابع واليد
ثم الغمامة فوقه مهما[1] مشى   وتضل واقفة له إن يَقْعُدِ
ويرى الذي من خلفه مثل الذي   يأتي قبالته كما في المسند
الهاشمي المصطفى علم الهدى   فله اللوى وله الشفاعة في الغد
يوما يقوم الناس من أجداثهم   ذهل العقول إلى المقام الأوحد
شُعُثاً عراة خائفين وفوقهم   شمس تُغَرِّبُ والجوارح ترعد
والنار جيء بها لتلفح من عصى   والخلق في قلق وكرب مجهد
والله ربي قد تجلى للقضا   بين العباد فيا له من مشهد
ويود مقترف الجرائم في الدنا   لو كان ينفع أنه لم يولدِ
فهناك يشفع شافع ومشفع   ومقرب في ظالم أو معتد
خير الورى محبوبنا ونبينا   فهو الذي نرجوا ليوم الموعد
يوما ينادي أمتي يا سيدي   أوعدتني وعداً فبلغ مقصد
فيجيبه لك يا محمد ما تشا   هذا الجنان بها فلجْ ثم أصعدِ
واشفع تشفع واطلبنْ ما تبتغي   تعطى الذي ترضى فأنت محمد
/33و/يعطى الشفاعة والوسيلة والرضى   أكرم به من شافع وممجد

[1] في الأصل: ((مهمى)).

وينال إذ ذاك الرضى من ربه   ويَقِرّ عينا بالنعيم السرمد
لولاك ما كان النهار ولا دَجَا   ليلٌ ولا بان الصواب لمرشد
لولاك لم تكن الجحيم لمن عصى   لا لاق لا الحور الحسان لمهتد[1]
لولاه ضل الناس في غشواتهم   كل يتيه بمهمه وبفدفد
صلى عليه الله في ملكوته   ما غردت وُرْقٌ على غصنٍ نَدِ
وانصر بجودك يا مجيب إمامنا   [نصراً بليغا بالثنا والمقصد][2]
ملك زكت أخلاقه وأصوله   ورث الخلافة سيداً عن سيد
الله فَضَّلَهُ ورَفَّعَ قدره   وأمدَّه بمهابة وتَأَيُّدِ
مولاي [بو حمو][3] الذي قهر العدى   وأماتهم حتفاً بِعضْب مهند
فالنصر يقدمه ويقدم جيشه   والفتح يتبعه يروح ويفتد[4]
في الليلة الغراء جاد بما له   ليفوز بالخير المقيم السرمد
والله ربي لا يُخَيِّبُ قَصْدَهُ   فيما رجا[5] من فضل هذا المولد
يتسيفه[6] [يستوفه] فيما نراه بقُبَّةٍ   حيطانها من لؤلؤ وزبرجد
في جنة طابت وطاب نعيمها   ويقال طب نفساً بها ثم اخلد

---

[1] هكذا.
[2] لحق بهذا الشطر في رويه عيب الإقواء؛ فأتى في الأصل هكذا:
((نصرا يبلغه الثنا والمقصدَ))؛ فصحح كما ورد أعلاه بين حاصرتين.
[3] في الأصل: ((أبو حمو))؛ وهذا يؤدي إلى خلل في الوزن؛ وعليه؛ فقد وجب حذف ألف ((أبو))؛ فأضحت ((بو حمو))؛ كما ورد أعلاه بين حاصرتين.
[4] هكذا.
[5] في الأصل: ((رجى))؛ بالألف المقصورة.
[6] كتب في الأصل: ((يستيفه))؛ فوجب التصويب.

يا آل عبد الـواد دام سروركـم   ببقـاء مولانـا الإمام الأسعـد
[المتصدر][1] الأسـنى الكريـم المرتـضى   الماجد الأوفى الزعيـم الأصعـد
أولاكـمُ بـراً وألّـفَ شملكـم   من أرض فـاس والمكان الأبعد
فَرْضـاً عليكم أن توفـوا حَقَّـهُ   نصحاً وفعـلاً باللِّسـان وباليـد
فاللـه يبقيَـهُ ويبـقي ملكـه   ما دار نجم في السمـاء بفرقـد
ثـم السلام عليـه دأبـاً دائمـاً   ما مـرّ ريح بالقضيب الأملـد

***

ولطبيب حضرته العليا السنية **الحاج محمد بن أبي جمعة بن علي التلاسي ؛** عفا الله عنه[2]:

/33ظ/أشهر ربيعٍ أنت ربيع قلبي   لقد كـان الفـؤاد إليك حـاد
أتيت بسيـد الثقليـن طـراً   وخير الخلـق من آتٍ وغـاد
نـبي هاشـمي أبطـحي[3] سرى لمليكـه والليـل هـاد
حبـاه اللـه بالسبـع المثـاني   وفضَّلـه عـلى كـل العبـاد
محبَّتـه لقـد علقـت بقلـبي   بها أرجوا نجـاتي في المعـاد
عليـه صـلاة خالقنـا تعـالى   إلى يـوم ينادينـا المنـاد

[1] كتب في الأصل: ((نصور))؛ بطريقة غير واضحة؛ فعوضت بما ورد أعلاه بين حاصرتين.
[2] نظمت هذه القصيدة في بحر الوافر (مفاعلتن مفاعلتن فعولن). ويجوز في مفاعلتن = مفاعيلن، وفي فعولن = فعول. وفي الأعاريض: فعولن، والأضرب: فعولن.
[3] لكلمة أبطحي معان عديدة؛ غير أن الشاعر يقصد بها هنا؛ نسبة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بطحاء مكة. وقد أشار إليها شعراء كثيرون؛ مثل قول الزمخشري: ((إني إلى بطحاء مكة سائر))؛ وقول الفرزدق: ((هذا الذي تعرف البطحاء وطأته)). ومع هذا فصيغة ((الأبطحي)) التي استعملها التلاسي؛ ليست لائقة في هذا المقام؛ لأن لها معان أخرى سلبية.

صلاة دائمــا تتــرى عليــه وليس لها وحقك من نفـاد
عباد الله من عرب وعجـم هلمّــوا للصلاح وللرشـــاد
هلمــوا للإمـــام فبايعـــوه فإنَّ الحق خيـر مِـنْ [عِنـاد][1]
هو الزّابي الذي كنا سمعنا تديـن لـه الحوضر والبـواد
هو المذكور في الحدثان يفني لمن في الأرض من أهل الفساد
هو المولى أبو حمو وقدما سنـاء الملك كان عليه بـاد
أتاه الملك عفواً دون حرب وكان لغيـره صعـب القيـاد
تلمسانٌ به حسنت وراقـت وصار لها الفخار على البلاد
إمـام عــادل شهـم جـواد فهيــا للصـــلاح وللســـداد
لطاعتـــه دعانـــا فاستجبنـــا رعـاه الله من ملك وهـاد
فمــن يــأتي لبيعتــه مطيعـــا وإلاّ فالحســـام عليـــه عـــاد
يلين على الضعيف إذا رآه ويسطـوا بالفراعنـة الشـداد
لقد مَـنَّ الإلـه بـه علينـا ونجانـا بـه من كـل عـاد
لـه من عامـر جمع تراهـم أسود في الحروب على الأعاد
حمـــوه وآزروه وناصحـــوه وهم أنصـاره يـوم الجـلاد
إذا وعدوا وفوا وإذا ينـادي [بذكراهم][2] بلغت إلى المـراد
وإن سالمتهـم نلـت الأمــاني ووا أسفـا لمـن لهُـمُ يعـــاد

---

[1] في الأصل: ((خيـر مـن العنـاد))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصحيـح بحذف الألف واللام في كلمة((العنـاد)).
[2] كتب في الأصل: ((بذكرهـم))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصويب.

/34و/وعبد الواد سادات كرام بهم ما شئت من بطل جواد
وأقسِمُ لَيْس في الدُّنيا جميعاً سواهم للسروج وللجياد
فكم من كربة بهِمُ تَجلت شدا بمديحهم في الناس شاد
بني زيان عاد الملك فيكم بحول الله قهار العباد
فعيشوا ما دعا لله داع بخيرٍ مَّا حدى بالركب حاد
أنيلونا مِنَ النُّعما فإنَّا أُناسٌ شأْنُنَا حفظ الوداد
فكم من نعمة لكُمُ علينا وكمْ لَكُمُ عَلينا من أياد
فلا زلنا رعيتكم وأنتم أئمتنا إلى يوم التناد

***

وللطالب **أبى الحسن علي بن العطار** عفا الله عنه[1]:

وصبٌّ بالهوى كلف مُعَنَّى أعنَّ مِنَ الصَّبابة ما تعنَّا
فمن زفراته ما شبَّ ناراً ومن عبراته ما نهْل مزنا
تذكَّر عيشه الماضي فأضحى يكفكف دمعه شوقا وحزنا
وشبَّ أوارُ أطلقه وأجرى مدامعه وهام وكاد يفنى[2]
حبى بجُذَيَّة[3] هبت فتمَّت[4] فرق لعزفها طربا وأنسا[5]

---

[1] نظم الشاعر قصيدته هذه في بحر الوافر (مفاعلتن مفاعلتن فعولن). ويجوز في مفاعلتن = مفاعيلن، وفي فعولن = فعول. وفي الأعاريض: فعولن، والأضرب: فعولن.
[2] هكذا.
[3] الجِذْي؛ والجِذْيَة من الشجرة: أصلها.
[4] هكذا ورد هذا الشطر في الأصل. ولعله تعرض للتحريف.
[5] هكذا في الأصل؛ وربما تكون: ((وأنَّا)).

تَنُـمّ نُمَيَّـة[1] كالمسك نشـرا   [وريـح تفــوح بمـا يفدنــا][2]
فهام القلب أجلالا وشوقـا   بمـن نلنا الفخـار به وسدنــا
نبي مصطـفى هــاد شفيــع   بمولـده السعيـد لقـد سعدنــا
شفيـع المذنبيـن غـداة حشـر   مقيـل عثارنـا ممــا اقترفنــا
لقـد نلنــا بـه شرفـا صميمـا   وحُزْنَـا المكرمات بـه وفزنـا
ذراع الشـــاة كلمـــه يقينـــا   وأخبــره وأظهــر مــا أُكِنَّــا[3]
[وعيـن قتـادةٍ عـادت ومـا أن   رأى الـراؤون أحسـن منه عينـا][4]
نعـم والبـدر شُـقَّ لــه بليــل   كذاك الجذع للمختـار حَنَّــا
وإيـوان المجـوس لـه ارتجـاج   وأصبـح دينهـم كذبـا ومَيْنَــا[5]
/34ظ/وأعظـم آيـة بتبـوك مـاء   جـرى من كفِّـه وانْهَـلَّ مُزْنــا
مدائـح سيـد الثقليـن مـا أنْ   تعـد وكيـف إن تحـصى وأنــا[6]
وحسبـك مدحـة وعلـو قـدر   من الـرَّبِّ العظيـم عليـه أثنـى
رسـول اللـه يـا أملـي وسـؤلي   ويـا أسمـى الورى قـدراً وأسنـى

---

[1] نَمَّ الشيء: سطعت رائحته. ونمت الريح: جلبت الرائحة أو الحركة.والنُّمَيَّة: الطبيعة.
[2] ورد هذا الشطر في الأصل هكذا: ((فطيبه ونشواها ذكرتنا))؛ وهو مختل الوزن؛ ومضطرب: تعويضه بما ورد أعلاه بين حاصرتين.
[3] أكن الشيء: ستره.
[4] كتب في الأصل: ((وعين قتادة عادت وما رأى)). وهذا يخل بالوزن؛ فنقلنا كلمة ((رأى)) إلى عجز البيت؛ ثم أضفنا إلى الصدر مقدار سبب خفيف تمثله كلمة((أن))؛ كما جاء أعلاه؛ للتصويب.
[5] المَيْن؛ جمع مُيُون:الكَذِب.
[6] هذا الشطر مضطرب المعنى.

سألت الله في سرِّي وجَهْرِي   [وأرْقُبُه إذا ما الليل جنّا][1]

لعلي إن أحل حماك يوما   ويبلغ قلب صبٍّ ما تمنا

إذا المولى أبو حمو حباني   بإحسان وجاد به ومنَّا

فمن يقصد حماه [يجده][2] رحبا   ويبدل خوفه فرحا وأمنا

إمام قد تخير للبريا   فما أرقى معاليه وأسنا

بدائع مجده الآفاق عمَّت   وكم من سُنَّةٍ في الجود سَنَّا

وغرة ملكه الغراء لما   علت وجه الزمان كسته حسنا

فتًى جمع المحاسن والمعالي   وحاز فنونها فنّاً ففنَّا

مهابٌ إن نظرت رأيت ليثاً   ووهّابٌ [يلاقي][3] ما تمنى

[وكفَّاه السحايب حاملات][4] يفيض نواله يُسْرَى ويُمْنَى

وكَفَّ أكُفَّ أهل البغي قهراً   وكل العالمين عليه أثنى

دعته خلافة الآفاق طراً   بما إن عن إجابتها تأنَّا[5]

وكم رام الخلافة من غَوِيٍّ   فئاب وفي تطلبها تَعَنَّى

وما ربحت تجارته ولكن   شرى صفقاته نحساً وغبنا

أمولانا أبو حمو هنيئا   لك البشرى بأن تبقى وتهنا

---

[1] ورد هذا العجز في الأصل هكذا: ((وأرْقبه إذا ما أتا الليل جنّا))؛ فاختل الوزن؛ بسبب كلمة ((أتا))؛ وهي زائدة؛ فاقتضى الحال حذفها للتصويب. وجِنُّ اللَّيْل: هي ظلمته.

[2] في الأصل: ((يجد))؛ بدون هاء الضمير؛ وهذا يخل بالوزن والمعنى. فوجب التصويب.

[3] تم وضع كلمة: ((يلاقي)) عوض كلمة غير مفهومة في الأصل.

[4] ورد هذا الشطر في الأصل هكذا: ((وكفاه الصحايب حامدات))؛ ويبدو أن الناسخ حرف كلماته؛ لذا فقد رأيناه كما جاء أعلاه.

[5] في هذا الشطر غموض.

فطب نفساً على رغم الأعـادي[1] وسِرْ وابلـغْ مُنـاك وقرَّ عينـا
[ودونـك هـذه بكـر تبــدت][2] بمدحك في حلى لفظ ومعـنى
[ويبقى ذا زمانك في سمـو][3] ودام عـدوك المدمـوع مضنـا

***

ولما كمل المولد السعيد وجدد الأسبوع على ما يريد /35و/عاد إلى الاشتغال بسلطانه، ونال كل أحد ما قدر له من إحسانه.

أما خبر المولى **أبى يعقوب**؛ لما قطن **بمليانة**؛ في أجمل دعة، وأرفع مكانة؛ طالت إقامته؛ إلى أن جوز مولد نبينا عليه السلام، ودفئ[4] الفصل، وزهرت الأيام. جاءه الأمر؛ أن يحشد على **الجزائر**؛ وأن يقطع عنها قفول الميرة، وحبس المسافر. فحشد إليها الأحشاد، وأعد لها الأعداد، ومدّ الأمداد، وبعث إلى الرماة من البلاد، وجاءته الحصص من **بني عبد الواد**. وكان مكترثاً لما ناله منها، وحنقاً لما أن نزل عليها؛ لا ينفك عنها. فما تيسرت له الحركة إلا بعد كمال شهر المولد، وتيسر له المسير إليها على المقصد.

***

□

[1] في الأصل: ((الأعاد))؛ بدون ياء.
[2] ورد هذا الصدر هكذا: ((ودونك بكر قد تبدت))؛ فاختل الوزن؛ فوجب التصويب كما ورد أعلاه بين حاصرتين.
[3] جاء في الأصل صدر البيت هكذا: ((ودونك بكر قد تبدت))؛ وهو مختل الوزن؛ فلزم الحال؛ تصويبه كما ورد أعلاه بين حاصرتين.
[4] في الأصل: ((ودفا))؛ بالألف الممدودة.

ذكر النزول على الجزائر
وحصارها وما كان من الطعن والضرب ومآل أخبارها

قد تقدم لنا؛ كيف اتفق في الحصار الأول، وكيف حدث على المولى **أبى يعقوب**؛ ما لم يؤمل. فكان لتلك الحادثة يهيم بها، وطالب على غلبتها، ونكبها. والحكم الرباني يقول له: لا تدخلها إلاّ صلحاً، ولا يرى منك أهلها إلا خيراً ونجحاً. فارتحل من **مليانة** بما أعدّه إليها؛ ومؤملا لها شراً؛ إن قدر عليها؛ فلم يُرِحْ ركاب محلته؛ إلا بقربها، وما استقرت هجمته؛ حتى استقر بحيث يحكم على حربها وكله حذر. عرف منازلها الحصينة؛ وحيث تكون المحلة أمينة؛ فنزل بمرسى نزله **الموحدون** في قديم الزمان؛ وأقره لمحله بأحسن مكان. فلما عاين أهل **الجزائر** وصول المولى **أبي يعقوب** إليهم، ونزوله كما كان بالمحلة؛ خافوا على أنفسهم خوف الجاني، وساموا أنفسهم بالهلكة؛ كالمريض الذي عدم المعاني. وقالوا: إنْ ظفر بنا لإساءتنا أهلكنا، وإن أعطينا صفقة أيدينا؛ حتى تملكنا؛ تبعونا بالثارات في الأموال، وأغلظوا علينا في كل حال؛ والرأي أن نعزم الجلد، ونقاتل، ونحمي الولد والأهل؛ ولا نتغافل. فأجمعوا بجملتهم أن يقفوا ببلدهم، ويقاتلوا على أهلهم وولدهم؛ حتى يأتي الله بأمر من عنده، وينبلج الأمر؛ إلى ما شاء من وعده. فخرجوا على عادتهم للقتال، وأظهروا الجلد والقوة /35ظ/في الحال.

وفي أثناء غيبة المولى **أبي يعقوب بمليانة**؛ بعث السلطان **أبو سالم**؛ القائد **ابن فتح**[1] بأربعة أجفان؛ إعانة؛ فاشتد بهم عضد أهل **الجزائر**؛ وقاتلوا معهم تلك العمائر. فكان المولى **أبو يعقوب** ـ في كل غدوة وعشية ـ يزلزلهم زلزالاً، ويرهقهم رجفاً ونكالاً، ويرهقهم بالضرب والطعن وبالاً؛ وساءت ظنونهم **بأبي سالم**؛ وقالوا: ليس نصره نصرة حازم؛ فضاق أهل البلد بأهل الأجفان؛ ووقعت بينهم المشاجرة؛ من جهة الضراب والطعان. فأهل البلد يقولون: ما رفعت أجفانكم عنّا مضرة، ولا حليت لنا مسرّة. وأهل الأجفان يقولون: لولا نحن لملكوكم؛ ولولا الأجفان لأهلكوكم. وظهرت آيات الشتات، وانكشفت الغطاء؛ أن لا نصرة إلا بالحملات. فبينما أهل البلد بين نارين؛ ومن المشاجرة في عيارين؛ إذا بالمولى **أبي يعقوب** أصبح راحلاً، وعن **الجزائر** ناكباً، وحافلاً. فعجب الناس لرحيله من غير سبب، وإجفاله؛ بعد أن كاد يظفر بالطلب. فلم يأمن أهل **الجزائر** رحيله؛ بل قالوا إنما هي حيلة. ثم أتاهم من أخبرهم؛ أن **أبا سالم** قد تحرك إليهم، وأن رحيله إجفالاً؛ خوفاً مما يقدم عليهم. فأمسك الناس ثلاثة أيام؛ ينتظرون الخبر، ويتعرفون أية وجهة أخذ، وأين استقر؛ فجاءت الجواسيس عنه؛ أنه **بمليانة**، وأنه طالب **تلمسان**؛ مكان ولده ومكانه. فكانت إقامته سبعة عشر يوماً؛ كالمرة الأولى؛ قدراً، وحكماً. فسافرت

---

[1] هكذا. وفي بغية الرواد: ((سليمان بن عامر بن فتح الله)).

الأجفان إلى مغربها، وبقيت البلد على حسبها. ثم أن الخبر بلغ أهل **الجزائر؛** أن المولى **أبا حمو**؛ اتخذ **الصحراء** شعاراً، والغرب دثاراً؛ وأن **أبا سالم**؛ قد جيش **للبلاد الشرقية**، وعمل على إزالة **بني عبد الواد** من البلاد بالكلية؛ فسر عمال **الجزائر** بما سمعوا، وشكروا أهل **الجزائر** على ما صنعوا. فسكن أهل البلد من إرجافهم، وتأمنوا بعد مخافهم. وجعل أهل **الجزائر** ينتظرون ما يصدر عن هذه الأخبار، ومتى تحل بهم **بنو مرين** في تلك الديار. وسيأتي ما كان من السلطان **أبى سالم**، /36و/والعجب في حوادث العالم.

***

ذكر
خروج المولى أبي حمو للصحراء في المرة الثانية
وما كان له من الفتوحات السامية

السبب الذي حرك السلطان **أبا سالم** لهذه البلاد ـ مع سكونه إلى اللذات، والراحات، وترك المسامرة والعباد ـ إنما هو خبر **الجزائر**؛ التي حبست عليه، ولجأت في كلياتها وجزئياتها إليه، واعتمدت في نصرتها على حسابه، وأقامت على دعوته وأحكامه. وذلك أن أهل **الجزائر** يبعثون في البحر الإرسال، ويطلبون منه النصرة؛ حين عاينوا الأهوال؛ فكان قائد البلد يكتب بضعف **بني عبد الواد**، وقلة آمالهم في البلاد، وأنهم لا يطلبون إلاّ فرصة، ولا يغتنمون منها إلاّ خرصة. وجعلوا يخاطبونه بالمحال، ويأتون على مراده في جميع الأقوال؛ ويقولون له أنهم أفسدوا البلاد، وحرقوا العباد؛ فلو طَلَّتْ على أهل البلاد راياتك العلية؛ لهرعت لخلافتك الرعية. وزخاريف يزخرفونها، وأباطيل يصنفونها، وحجج بالمال يوقفونها؛ كل يطلب خلاص نفسه من الهلاك، والنجاة من أليم الانتهاك. فكان **أبو سالم** يعدهم في كفهم بانتصارهم، ويمنيهم بفكهم من قيد أسارهم، ويعدهم بالإنعام، والعمل على البر والإكرام، والمجازات على أفعالهم؛ ويبشرهم ببلوغ آمالهم. وذلك مع ما بعثوا إليه بأكل[1] محال **بني عبد الواد**؛ وما ظهر

---

[1] المقصود بكلمة ((بأكل)) هنا هو: بالفتك والقتل.

لـه منهـم مـن الاجتهـاد، والإلحـاح عليـه في النصـرة، والتوسـل لـه أن يزيـل عنهـم مـا آلمهـم[1] مـن الحسـرة؛ ولا يخلف الملك وعده؛ فإنه إن أخلفه؛ سلبه الله النصرة والنجدة. فأخذته لذلك القـوة والنخـوة، ودعتـه الثـورة والسطـوة، وأهاجته الخلافة للحمية؛ فألزمته التحرك على **البلاد الشرقية**. فجمع الأحشاد من **السوس الأقصا**، وولف الأعداد واستقصى؛ ولم يترك **بالمغرب** خيلاً، ولا رجلاً، ولا شاباً، ولا كهلاً؛ فجمع ألوف الأعداد، والكثير من الأمداد، والأحشاد، **/36ظ/**والرماة المترجلة من **الأندلس والمغرب**. وبادر **لتلمسان**؛ ليدرك ما يطلب. ولم يزل يرحل، يحمل المحال بالمسير؛ إلى أن اتصل بأطراف البلاد؛ في الزمن اليسير.

هذا ما كان من خبر **أبى سالم**. وأما خبر المولى **أبي حمو**؛ وما كان من حركته الناجحة؛ فإنه سهم لا ترقد فيه خارجة، ولا يغفل عن حال، ولا يلهيه شيء عن البحث والسؤال؛ يبعث الجواسيس حيناً بعد حين؛ وتأتيه ـ مناوبة ـ أخبار **بني مرين**. فأتته الجواسيس بالحركة؛ فعرفها يقينا وأوصاف المحلة؛ نقلاً ونفساً؛ (....)[2] الخبر بالرحيل، والعلم بالكثير والقليل. فعندما تحقق إتيانه[3]؛ وأنه يريد بلده وأوطانه؛ أعلم أرباب دولته، وأشياخ حضرته، وفرسان صولته؛ أن **أبا سالم**

[1] أي:لأمّ بهم.
[2] كلمة هنا غير مفهومة؛ ويمكن أن تكون: ((وإسراع))؛ أي أسرع إليه الخبر برحيل العدو.
[3] أي: قدوم عدوه.

قادم على البلاد، وعامل على قهر **بني عبد الواد**. ثم تحدث معهم؛ يختبر آراءهم، ويعرف أهواءهم؛ فمنهم من يقول بالملاقاة، ومنهم من يقول بالفساد وشن الغارات؛ فأخذوا في الآراء بين مصيب وخاط[1]، ومغرب ومشرق ومتواط[2]. وهو على ما كان من العزيمة [عاملاً][3]؛ لا يضره رأي، ولا يشغله شاغل. وعندما حقَّتْ الحقائق، وانقطعت العلائق؛ أمر **بني عبد الواد** بعمل الأزواد؛ ووجه إلى أبيه المولى **أبى يعقوب**؛ يأتيه بمن معه في البلاد. ثم قال للحاضرين: على الصحراء؛ فإنكم ستحمدون ـ إن شاء الله ـ جميل الآراء[4]. فاشتغل الناس بالعمل على السفر، والتجهيز بما يحتاج إليه على الأثر؛ فتيسرت البغال، والجمال، وبراذين الأثقال؛ واشتدت الأحمال. ثم أن المولى **أبا يعقوب** وصل بالأهل والأولاد؛ وبمن بقي ـ في البلاد ـ من **بني عبد الواد**. فكان وصوله في جمادى الثانية[5]؛ واجتمع الشمل بولده على الخير والعافية. ثم أن المولى **أبا حمو**؛ أمره بالخروج ـ مع الأثقال ـ بحفظ العيالات والأحمال؛ وبقي المولى **أبو حمو بتلمسان**؛ بمن معه من الحماة الفرسان، وأبطال الجلاد والطعان؛ يتقرب[6] وصول **أبى سالم**؛ لأطراف البلاد؛ /37و/ويتعرف ما هو عليه من الاجتهاد. وتلك من شهامات

---

[1] أي: مخطئ.
[2] أي: متواطئ.
[3] في الأصل: ((عامل)).
[4] هكذا.
[5] من سنة 761هـ/1359م.
[6] ربما: يترقب.

الملوك الأشهام، وأولي النخوة والاعتزام. ولما حل **أبو سالم** بأطراف البلاد؛ خرج المولى **أبو حمو**؛ طالباً **للمغرب**؛ بما معه من الأحشاد. أظهر أنه يريد **الصحراء**؛ وموّه للسماع بهذه الأمور؛ فتلا أباه؛ واليمن يصحب راياته، والفتح يتلوا عليه سُور آياته. فهذا طالب **للبلاد الشرقية**، وهذا زاحف **للبلاد الغربية**. وهذا قاصد للتمهيد، وهذا قاصد للتخريب والتنكيد. فكان **أبو سالم**؛ لا يقرب من **تلمسان** مرحلة؛ إلا زاد المولى **أبو حمو للمغرب** منزلة.

هذا ما كان من خروج المولى **أبى حمو** السلطان، وما آل أمره؛ حين خرج من **تلمسان**. وأما خبر السلطان **أبى سالم؛** فإنه لما حلّ بأطراف البلاد؛ سأل عما فعله **بنو عبد الواد**؛ فعرف أنه خرج **للصحراء**؛ في قبيله **وأعرابه** النصحاء؛ فسبوه بخروجهم من البلاد، وتشريدهم وإخلائهم عن **تلمسان** وتنكيدهم. فقال هذا غاية ما يقدرون عليه، وأقصى ما يتوصلون إليه. فاستقبل **تلمسان** بمن معه من الأحشاد، واستظهر بقوة العدد والأعداد؛ ولم يثن عنانه؛ إلاّ بحضرة **تلمسان**، وبقصرها الأعظم؛ قصر الخليفة مولانا السلطان. فأتته أهل **تلمسان** للمبايعة، وبادروا بالرغبة على أنفسهم والمصانعة؛ فعفا عنهم، وبسط آمالهم، وهدر جباياتهم عليه، وأفعالهم، وبعث الكتب إلى **البلاد الشرقية** بالأمان، **وللبلاد الغربية** بالفتح لهذه الأوطان؛ وعزم أن يجعل **تلمسان** دار إمامته، ويتخذها ـ عوض **فاس** ـ لإقامته؛ واستغرق في

شأن الفتح وسروره، ومحاولة ملكه وتدبيره. وسأل عن **بني عبد الواد** واستقرارهم؛ فلم يسمع هنا أخبارهم.

هذا خبر **أبو سالم** بعد ما حلّ **بتلمسان**. وأما خبر المولى **أبو حمو؛** فأغرب ما سطر في هذه الديوان. ولما خرج المولى **أبو حمو** من هذه الأوطان، وخلط ـ في **الصحراء** ـ على **العربان**؛ أمر بالرحيل إلى **البلاد الغربية**؛ لقتالها، ولخراب **/37ظ/**حصونها، ولزلزالها. فأول **حصن** نزله **تاوريرت**؛ فوجد أهله قد جفلوا منه؛ خوف القتل والتعسف؛ فأمر بهدمه وخرابه؛ ووكل به عامة محلّته **وأعرابه**. ثم ارتحل إلى **حصن أوطاط؛** فأخذه عنوة، وهيَّط أهله أشدّ هياط[1]**.** ثم ارتحل إلى **أجرسيف**؛ فعنف على أهله أعظم تعنيف؛ ثم تمادى إلى **أرجو؛** أمنع هذه القلاع، وأشد بأساً في الكفاح والقراع. فعندما نزل عليهم نازلوه، وحين أراد قتالهم قاتلوه؛ ودُعوا للمسالمة؛ فلم يثيبوا، وأجهروا بالعار، ولم يستريبوا. وعندما ظهر له شقاقهم، ونادى بانطلاقهم؛ أمر أن يشن عليهم القتال، وأن تضايقهم الرماة والرجال؛ وهم ـ من سفح الحصن ـ يدقون الصخور، ويتمسكون بمضايق الوعور؛ إلى أن ترجلت **بنو عبد الواد**؛ حلقا عليهم، وزحفت مدرقة مدرعة إليهم؛ فشاركوهم في المراقي؛ بعد أن كادت النفوس تبلغ التراقي؛ فانهزموا داخلين إلى حصنهم؛ وذلك لما أراد الله من حينهم؛ فتعلقت الرجال

---

[1]هاط يهيط هيطاً :ضجّ وأجلب يقولون: ((مازال في هيط وميط)): أي في ضجيج وشر وجلبة.

بالأسوار؛ بعد المشقة والإعسار؛ فدخلوا عليهم عنوة؛ فقتلوهم عن آخرهم؛ حنقاً وسطوة. ثم تمادى على الحصون؛ ينهب ويخرب، ويضرب وينكب؛ إلى أن تمادى ـ على ما ذكر ـ واحد بعد واحد، وصار أهل البلد بين مطيع وشارد؛ إلى أن كان من **صفروي؛** على أميال قليلة؛ فذعر أهل **تازة وفاس** لهذه الفعلة المثيلة[1]**.** فبعث أهل **تازة وفاس** لمولاهم **أبى سالم؛** يعرفانه[2] بما فعلت **بنو عبد الواد**؛ من العظائم، وبما خرَّبت من الحصون، وبما أذاقت الناس من الهوان؛ وأنه من **صفروي** على أميال قليلة؛ ولا لنا[3] على دفاعهم من قدرة ولا حيلة؛ وبادر[4] لنصر هذه البلاد؛ قبل أن تخربها **بنو عبد الواد**. فبينما هو على ما أدرك من السرور، وتأثل له من النصر والحبور؛ إذ أتته الإرسال من بلاده؛ يخبرونه بانقلاب **المغرب** وفساده؛ وأن **بني عبد الواد** نسفته نسفاً، وأذاقت أهله حتفاً ورجفاً؛ /38و/وأنه أحرث الحصون، وهدمت، وأُكِلت القبائل ودمرت؛ وأن **المغرب** ـ إن لم تبادره ـ هلك، ودار عليك فيه الحرك[5]**؛ والمغرب** قائم على ساق، وضاق أهله غاية التضياق. وقد أخذ **بنو عبد الواد تاوريرت** وهدموها، وخربوا **وطاط**؛ بعدما غنموها؛ وما جرى **بأجرسيف**، وما نال أهل البلاد من

[1] لعلها: المبتلية، أو المشينة.
[2] هكذا. والصحيح: يعرفونه.
[3] أي وما لنا.
[4] في الأصل: ((والقادر))؛ وهي كلمة في غير محلها.
[5] حرك حركاً: امتنع من الحق الذي عليه.

الترجيف، وما نال أهل **وطاط** من قتل الإفراط. وأعلموه بعيث المولى **أبي**[1] **حمو** في البلاد، وما اتفق في بلاده من الفساد.

قال الراوي: فلما أن سمع **أبو سالم** ما قال له الرسول؛ اعتراه الإدهاش والذهول، وسقط في يديه، ورجع عليه بعد أن كان إليه، وجعل يردد النظر في الرسول وللكتاب؛ وصار يقول: جاءت أمور لم تكن في حساب. وعندما تواترت الإرسال، وكثر القيل والقال؛ خاف ما ينتظره له من **بني مرين.** فنظر في أمر مصلحته في الحين؛ فأمر بإحضار حفيد المولى **أبى تاشفين**[2]؛ وقال له تقدم على بلاد جدّك، وأمدك بالمال المعين، واشترط عليه؛ قلّما يفعلها لبيب، ولا يتأتى لها نجيب؛ على أن تكون السواحل **لأبى سالم** والبلاد القريبة للأمير **محمد** القائم. فلم يكن جوابه في الاشتراط إلاّ نعم؛ لأنه كالخروج من العدم. فأعطاه مالاً، وأثاثاً، وأخبية وطبولاً، وألوية. ثم أمر أهل **تلمسان** بمبايعته، وامتثال أمره، ومتابعته. ومراده بذلك إثارة الفتنة بين **بني عبد الواد**؛ ليقع الشتات في الرعية والبلاد؛ فيجد إلى التوصل إليهم سبيلاً؛ ليذيقهم عذاباً وبيلاً. وهذه والله من مكائد الملوك المستحسنة؛ فإنها من الأفعال[3].... ثم خرج راجعاً[4] إلى **بلاد المغرب؛** ولم يحظ بمرام، ولا مطلب. فكانت إقامته **بتلمسان** خمسة أيام؛ وظعن عنها قافلا بسلام.

---

[1] في الأصل: ((أبو))؛ وهو خطأ.
[2] يقصد أبا تاشفين بن أبي حمو الأول. كان محتجزا في المغرب؛ منذ مقتل والده، وسقوط دولته.
[3] انقطع الكلام هنا. ويبدو أن كلمة سقطت بعد كلمة ((الأفعال)).
[4] في الأصل: ((راجلا))؛ وهو تحريف.

فكان دخوله **لتلمسان** يوم الأحد سادس شعبان[1]، وخرج منها يوم الجمعة الحادي عشر؛ من غير توان. ثم انتفض في المسير؛ وفي قلبه من المولى **أبى حمو** نار السعير. /38ظ/فأقام حفيد المولى **أبى تاشفين**؛ ملك جده على سرور؛ لو استعان بحده؛ إلا أنه خرج منها طريداً وعنها جافلاً شريداً. وسيأتي ما كان بينه وبين المولى **أبى حمو** من الملاقاة، وكيف يجري القدر بوجوه من الاتفاقات.

وأما خبر المولى **أبى حمو**؛ فإنه لما هدم الحصون المذكورة وانتهبها، وأرجف البلاد وخربها؛ هم أن يجمع رأيه على انتهاب مدينة **فاس القديمة**، وتمكين **العرب** من ذخائرها العظيمة؛ ليكون ذلك إرجافاً **لأبى سالم**؛ وهذا يسمع في **الأعراب والأعجام**. فبينما هو يستعمل الحيلة في شأنها؛ كيف يكون توصله إلى خذلانها. وكان **بنو عبد الواد** يقولون له بتهديم أسوارها، وقلة حصانتها، وتيسر حصارها؛ فكان مهتما بذلك؛ كيف يتأتى له؛ ليحسن فيه أحسن المسالك. إذا بفرسان يتطايرون تطاير الشعرى، يتسابقون بالبشارة الكبرى؛ لم يمسكوا أعنتهم إلاّ بشرائط أخبيتهم، ولا وقفوا إلاّ تحت ظلال ألويته. عندما رآهم؛ جلس بخباء راحته؛ وأدخلهم معه في إباحته. فلم يكن كلامهم إلاّ طلب البشارة، والتهاني على رجعة **أبى سالم**، وجمود تلك الشرارة؛ فأسعفهم بالعطاء الجزيل؛ بعدما أخذ معهم في القال والقيل.

---

[1] من عام 761هـ/1359م.

وأعلموا بتوقيف حفيد المولى **أبى تاشفين**، وبرجوع **أبى سالم وبني مرين** ؛ فأقبل المولى **أبو حمو** لحضرته **تلمسان** ؛ بعد غيبته ثلاثين يوماً من الزمان. بلغ في حركته نيل أوطار[1]، واشتهر صيته أعظم الاشتهار.

***

[1] في الأصل: ((وطار)).

ذكر
قيام حفيد المولى أبي تاشفين على يد أبي سالم سلطان بني مرين

قد تقدم خبر السلطان **أبى سالم**، وخروجه من **تلمسان** ـ بعد سروره ـ خروج النادم. ولما وقف حفيد المولى **أبى تاشفين** بمدينته؛ بحضرة أسلافه الكرام، واستقر بما منح من الأنعام؛ ميز ما اجتمع له من الفرسان، وأظهر بأثر الملك والسلطان. ثم جلس بقصر /39و/جدّه؛ لو جرى له القدر بحدّه. وعندما حلّ **بتلمسان** هرعت له قبائل الأوطان، وأتته السرايا[1]، وتنادت الرعايا. فأقام **بتلمسان** عشرين يوماً؛ يتشوف **لبني عبد الواد**؛ وسئل قوماً فقوماً؛ وهو شارع في إخراج المحال، ونفسه مستبشرة ببلوغ الآمال. فبينما هو جالس على اختياره، وأخذ في قضاء أوطاره؛ إذ أتاه آت؛ أخبره بقدوم **بني عبد الواد**؛ وأن المولى **أبا حمو** قد أقبل؛ بعدما نيل المراد؛ فما لبث **محمد** المذكور؛ أن أخرج محلته للجهات **الشرقية**، وأظهر في أهل **تلمسان** أنه خارج لتجهيز الرعية؛ فنزل بمحلته **بتيط وشقوف**، وجعل يتشوف للمولى **أبى حمو؛** تشوق المخوف؛ إلى أن رأى رايته طلت على **تلمسان**؛ فارتحل في حينه من غير توان.

[1] في الأصل: ((الصرايا))؛ بالصاد المهملة؛ وهو خطأ.

وأما خبر المولى **أبى حمو**؛ فإنه لما أقبل على **تلمسان** حضرته؛ سأل عن حفيد المولى **أبى تاشفين**، ومحلته، وتصرفه؛ فأخبر أنه كان **بتيط وشقوف**، وأنه ارتحل ـ من حينه ـ ارتحال المطرود الملهوف. فبعث الشوف ينظر أية موضع قراره، وأي مسلك عول عليه؛ إذا أراد فراره. فعرف أنه يتسلل يريد **بني راشد**؛ ومع هذا؛ لا مقر لشارد. فأقام **بتلمسان** إلى أن استراحت **بنو عبد الواد**، واختبر **أبا سالم**، ومقرّه من البلاد؛ فعندما علم أنه استقر بحضرته **الفاسية**، وتفرقت عنه الجيوش **الحوزية والمراكشية**؛ أخرج محاله؛ طالباً على حفيد المولى **أبى تاشفين**، وعلى من معه من **زناتة** المنافقين؛ فارتحل على الأثر، وما يواتي في الرحيل ولا اقتصر؛ فكان يرحل من منزله؛ فينزلها هذا غداً؛ من غير محلة. فلما طالت المراحل، وتوغل المولى **أبو حمو** في القبائل؛ جعل الناس يفرون إلى حفيد المولى **أبى تاشفين،** ويأتون لخدمته مترادفين. فكان في نظر كثير من الناس؛ أن ذلك سبب نصره. فكان ما كان من عاقبة أمره.

ولما أخذ **بنو عبد الواد** في الفرار، وعاين المولى **أبو حمو** من جيشه **/39ظ/**صورة الإنكار؛ إلتزم الصبر والجلد، ولم يعبأ بمن أنكره وشرد؛ بل صار يباشر الأحوال بنفسه، ويحاولها بلطافة، وساوسة وسياسة وحسنة. فكان يضايقه في المنازل، ويخلط عليه في المراحل؛ فكان يعجب من جلاده، ويفر ويطير من مراحله؛ ولا يستقر. فكانت بينهما وقائع؛ حالت فيها بين الاتصال موانع؛ إلى أن حلّ **بجبل**

وانشريس؛ ولم يكن في حلوله به بالرئيس. فاعتصم بالجبل المذكور معقلاً؛ ولعمرك إنه لكذلك ملجأ وموئلاً. وظن أنه من غائلة المولى **أبى حمو** مأموناً، ومن آفاته ودهائه مضموناً. ولما تحصن بالجبل نزل المولى **أبو حمو** بسفحه عليه، وصار يحاول كيف يكون التوصل إليه. ثم تسلط عليه بالقتال، والنظر في الطلوع إليه؛ بوجوه الخيل، والاحتيال، والقتال. في كل يوم يزيد، والناس تفشل في القتال وتحيد. وعندما قاتل القبيل بعضه بعضاً؛ ورأوا أحوال حفيد المولى **أبى تاشفين** قبلا لا نقضا[1]؛ أخذ الناس في الفرار عنه، والقبائل في التحيز عنه. وظهر على جيشه آية الخلل، وقبض النفوس من الكلل. ونظر حفيد المولى **أبى تاشفين** أن أحواله متلاشية، ونهضته متراخية، وعصابته غير وافية؛ أخذ في الحذر. وتلك عادة الأشهام؛ وصار يراعي أحواله من الخدام. فبينا هو يوماً بموضع راحته جالساً؛ إذ أتاه آت؛ ممن كان يجالس. فقال له دونك وظهر الجواد؛ فقد غدرت جميع القبائل والأحشاد؛ فالسلامة غنيمة، والشهامة في غير وقتها ذميمة. فنهض من حينه لظهر جواده، وترك من عنده من الأحشاد، وتلاه أخواه فارين معه. وما أغنى عنه ما حشده وجمعه. فاتصل الخبر بفراره، ولم يعلم أين سلك في نهاره. فطلع المولى **أبو حمو** للجبل، واستولى على المحال، وسأل عن أية موضع سلك؛ فلم يتعرف له بحال. ولما منحه الله النصر الذي

---

[1] هكذا.

عوده، والفتح الذي بلّغه مقصده؛ بايعه من /40و/فرّ عنه؛ فعفا عنه[1]؛ ووجدوا فيه من كريم العفو؛ ما تعودوه منه في أثناء هذه الملاقات، والشدائد التي حدثت والصفات.

كان منصور بن خلوف اليباني[2] قد أضر **بالبلاد الشرقية**، وقتل **زيان بن علي بن منصور،** وأكل القبيلة **المليكشية**، وزحف إلى **الثعالبة العرب**؛ فأكلهم؛ بعد أن أوقع بهم وقتلهم. وكان يقول **لبني عبد الواد** ـ من الذين كانوا معه ـ أنا أقاتل **أبا حمو** وما جمعه، وأنا أوصل حفيد **أبى تاشفين** إلى مراده، وعلى يدي يكون تمليكه لبلاده. وكانت **الجزائر** على ذمة **بني مرين، والمدية** صارت من جملة المطيعين؛ وزلزل البلاد زلزالاً؛ ولعمرك لقد أذاقها شراً ونكالاً. وسيأتي ذكر خسفه وكسفه، وكيف كان سبب حتفه.

وأما خبر المولى **أبو حمو**؛ فإنه لما أخذ الجبل، ونال ما أمّله واتصل؛ ارتحل مشرقاً؛ يريد **الجزائر** وأوطانها، ويصلح ما أفسده **ابن خلوف** وما شانها.

---

[1] الصحيح: ((عنهم)).

[2] يسميه بعضهم: ((ابن مخلوف))؛ وهو القائد المريني منصور بن خلوف الياباني؛ أحد شيوخ بني مرين، ومن أهل الشورى في دولتهم؛ كان أبو عنان قد ولاه على قسنطينة والمناطق الشرقية. ولما تولى السلطان أبو سالم؛ قرّر إصلاح الحال مع الحفصيين؛ فأطلق سراح أمير بجاية وأمير قسنطينة؛ ثم أمر واليها ابن خلوف بتسليم المدينة إلى أبي العباس الحفصي. فنفذ ابن خلوف ما أمر به؛ وخرج من قسنطينة؛ حيث جمع حوله شلة من المغامرين؛ فأشعلوها غارات وفتن ضد قبيلتي: مليكش والثعالبة.

وكان خروجه من **قسنطينة**[1] تحت فاقة، ولو وجد الإيجاد لحبس فيها بالطاقة؛ ولم يخرج **لأبي العباس**[2] منها؛ إلاّ من قلة الإيجاد، ولإساءته لجميع البلاد. فخرج منها في ثمانين فارساً؛ من **بني مرين،** وبعض العبيد والوصفان؛ قد أضرّ بهم الجوع، والتقشف، وكادوا ـ في طريقهم ـ أن يلحقوا بالعطب، ويحجبهم التلف. وما التحقوا **بالبرابر**؛ إلاّ وهم على إياس من الالتحاق؛ هالعين من الخوف، وإرهاق النفاق؛ فاتصلوا **بالبرابر**؛ فشبعوا ووجدوا الفتن؛ فساعدوا عليها وطمعوا؛ فالتف عليه من **البرابر** ما ينيِّف على أربعة آلاف من الرجال، ومائتين من الفرسان الأبطال؛ وجاءوا مما يلي **مليكش**؛ من **الجهات الشرقية**؛ لخوفهم من نارهم المحرقة الحمية؛ فلم تعمل لهم **مليكش** من حساب؛ بل تيسروا للطعان والضراب؛ لم يتمنعوا لهم بجبل ولا ولد، ولم يبعثوا لأنصارهم من أهل البوادي. وكانت مبادرته إلى **مليكش** رياسة منه ونظراً؛ حسبما صدر عنه؛ لأنه لم يكن خوفه إلاّ من **أولاد منصور**؛ لأنهم للملاقاة /40ظ/في الثبات كالصور[3]**.** ورأى أن الأحشاد في أول حدتهم، والفرسان في أكمل نجدتهم. فقابل الأشد؛ فكانت الطايلة

---

[1] المقصود هنا هو منصور بن خلوف اليباني. وقد اضطربت صياغة الموضوع؛ فخلط الكاتب بين خبر أبي حمو وابن خلوف؛ فلم يحسن الفصل بين خبريهما.

[2] وهو أبو العباس أحمد الحفصي. كان في قبضة المرينيين بالمغرب الأقصى؛ فأطلق السلطان أبو سالم سراحه هو وأمير بجاية أبي عبد الله؛ وطلب من منصور بن خلوف التخلي عن قسنطينة للأمير أبي لعباس؛ فانصاع لأوامر سلطانه؛ وترك البلد للأمير الحفصي؛ ثم تحول غرباً إلى نواحي متيجة والجزائر. أنظر التفاصيل في العبر، مج: 6، ص ص: 851 ـ 852.

[3] لعل المقصود هنا: ((السور)) بالسين المهملة؛ أي الحائط، وليس الصور. وربما تكون: ((كالصقور)).

له والظفر؛ من غير يد؛ فمات **زيان بن على بن منصور**؛ شيخ القبيل؛ فوجد إلى فيء أموالهم مسلك السبيل؛ فاستولت **صنهاجة** على أموالهم، وظفرت **بنو مرين** بآمالهم. ثم زحف إلى **الثعالبة** بالقتال؛ فهرب إليهم فريق منهم بالأهل والمال؛ فانهزمت **الثعالبة**؛ نبكت أحوالهم، ووقع النهب في أموالهم؛ بسوء خذلانهم. ولم يزل يزاحمهم حتى لحقوا **بلواتة**؛ ولم يلتفتوا إلى ما خلفوه التفاتة. فعندما هزم **ابن خلوف** القبيلتين، وظفر منهما بقوة العين؛ كتب إلى حفيد المولى **أبى تاشفين**؛ يعلمه بنصر **بني مرين**، ويقول له: لاحقناك بسيفي؛ وعما قليل عليك استوفي.

هذا والمولى **أبو حمو** يحاصر بالجبل حفيد المولى **أبى تاشفين**؛ ولم يهله ما فعله **ابن خلوف** مع **بني مرين**. ولما قضى المولى **أبو حمو** أربه من مطلوبه، وأدركه على غاية من مرغوبه؛ نزل **بأطاران وفاطيس**؛ من حوز **مليانة**؛ برسم الراحة والاستكانة. فيه وصله شيخ **الثعالبة**؛ طالباً للنصرة؛ يشكوا له ما لقي من **ابن خلوف** من القهر والحسرة، وأعلمه بهلاك **مليكش** وهتك قبيله؛ وإن **ابن خلوف** في الطلب على سبيله. فعندما جاءه ملهوفاً؛ أمَّنَه، ومما أصابه ـ رجفاً ـ سكّنه.

بعث إلى **علي بن أبى عدي**؛ حامية من حماة **عبد الواد**، وصناديداً من الكرام الأنجاد، وجرد له تجريدة من سبعمائة فارس من

بني عبد الواد؛ كالليوث الشوارس[1] وأشار عليه؛ كيف يتوصل إليه؟ وكيف يكون العمل عليه؟ مع أن **ابن أبى عدي؛** لا يحتاج إلى الإيصاء[2] لممارسته ملاقاة الأعداء؛ فلم يثن عنانه - **ابن أبى عدي** - بعد فراق مولاه؛ إلاّ بعد أن اتصل بالعدو ودناه. فبات ليلة من مولاه **بعفرون**. وفي صبيحة الغد؛ صبح **ابن خلوف** - ومن معه - وحيث لا يشعرون؛ فانتهض **ابن خلوف** بوصفانه للقتال، وانتهضت **/41و/**معه جماعة من قبيله الأبطال. ولما تلاقى القبيلان، واتصلت الفرسان فرّ **ابن خلوف** منهزماً على رأسه؛ فقتل لحينه، وأقال الله من شرّه، وبأسه. فاستولى القتل على من لُحِق من **بني مرين**، وأكلت محلتهم في الحين، وحُزَّ رأس **ابن خلوف** المذكور، وبعث به إلى المولى **أبى حمو**؛ السلطان المنصور. فكان له فتحين في شهر واحد؛ أُعين - على ذلك - بالقدر المساعد.

ولما انقضت حركة **ابن خلوف**، وانتهت الأرض من شره المخوف؛ عمل المولى **أبو حمو** على حصار **الجزائر**؛ وأراد أن يستظهر عليها بما حشد من العساكر. فبينما هو أجد المسير إليها؛ وعاملاً بقوته عليها؛ إذا أخبره مخبر بغدر **مغراوة**؛ وأنهم يناصبونه العداوة. فعندما ذكر له، وتحقق ما عندهم خبر؛ أظهر التغافل عنهم من دهائه؛ وصبَّحهم صبحاً، وأذاقهم شرَّ نكاله وجلاده؛ فأوقع بهم إيقاعاً

---

[1] الشريس: الأسد.

[2] أوصى إيصاءً فلاناً بكذا: أمره وأوصاه به.

شنيعاً، وقتل خلقا[1] منهم قتلاً ذريعاً. ففر أشياخهم إلى جهات **تنس** هاربين؛ وبقيت عامتهم بالمكسة سايلين؛ قد نهبت أموالهم، وقتلت خيلهم ورجالهم. ثم عاد إلى محلته سالماً ولأموالهم وحللهم غانماً. وترك حصار **الجزائر**، وأقبل إلى **تنس**؛ بما معه من العساكر.

***

[1] في الأصل: ((خلق))؛ وهو خطأ.

ذكر
حصار تنس ودخولها عنوة على أهلها وما لقوا من العنوة والغلبة وذلها

السبب الداعي لحصر **تنس؛** هو نفاق **مغراوة؛** لما خالفوا وأظهروا العداوة؛ وذلك أنهم لما غدروا المولى **أبا حمو**؛ وهو **بأطاران وفاطيس**، وجرد إليهم، وغزاهم؛ حتى تركهم مفاليس؛ آووا إلى مشايخهم إلى **تنس**[1]؛ ليعتصموا بها، أو يجدوا فرصة في نهبها. فلما حلوا بأحوازها ساكتين، ولصداقة العدو متراكنين. نظر المولى **أبو حمو** إلى بقائهم في البلاد؛ سبب للفتنة، والاقتصار عنهم يجلب المحنة؛ عمل على حصار **تنس**؛ ليجليهم عنها، ويصدهم عما راموه منها. فأقبل نحو **تنس** بما معه من الأجناد؛ عاملاً على أن يدفعها وإياهم أليم الحصر /41ظ/والنكاد. فما لبث أن نزلها، وضايقها، وزلزلها. وكان قائدها **عثمان بن أبي تجلاء**؛ أحد فرسان **بني مرين** النجباء. أقام[2] عليها ثلاثة أيام؛ ودخل عنوة بالحسام. قتل قائدها المذكور، وألحقه الله بأصحاب القبور؛ ثم عفا عن أهلها، وفرّت **مغراوة**؛ لما علموا بهلاكها وحربها. فاعتصموا **ببرشك**؛ وبئس الاعتصام. ثم فرّوا منها لما قدمت إلى **الجزائر**؛ في أسوء مقام.

---

[1] قد تكون صيغة العبارة هكذا: ((وآووا أشياخهم إلى تنس)).

[2] أبو حمو.

وللمولى **أبي حمو** ـ في فتح **تنس** ـ عجائب من السعادة، وموافقة من الأقدار على الإرادة؛ لا يقدر عليها إلاّ بتمادي الأيام؛ وإن كان فليس إلاّ بسلام، ولا ينفع فيها الاحتيال، ولا يؤثر فيها إلا القتال؛ فكان فتحها ثالث الفتوحات، وأول المواهب المتوجات. وعندما أخذها ترحل **لتلمسان**. سار بما فتح من الفتح العجيب الشأن. وفي عام اثنين وستين وسبعمائة[1]؛ في هذا العام عاد المولى **أبو حمو** إلى **تلمسان**؛ بعد أخذ **تنس**، وأكل **مغراوة**، وقتل **ابن خلوف**، وهزيمة **أبي زيان**. وكان دخوله **تلمسان**؛ يوم السبت الثاني لصفر؛ بعد قضاء الأرب في السفر. ولما استقر بحضرته ـ آمنا بالله من سفرته ـ أمر المولى **أبا يعقوب** بالخروج إلى **البلاد الشرقية**؛ برسم السكنى **بمليانة**؛ وتهدين الرعية. فكان خروجه في الثاني والعشرين من الشهر المذكور. واستقر بحضرته؛ ولده المؤيد[2] بالنصر والظهور.

ولما دخل شهر ربيع الأول المبارك؛ المخصوص بالإكرام؛ المولود[3] فيه نبينا **محمد** عليه أفضل السلام. أمر بإقامة الليلة الشريفة، المخصوصة بالأسرار اللطيفة. ضاعف فيها الإنفاق، وزاد ـ بزيادة الملك ـ من كل ما حسن وراق. فكانت ليلة رائقة الجمال، بديعة الاحتفال. أفاد المداح الشعراء، وواسى المزمزمين الفقراء، وتليت الأمداح سوراً على ألسنة

---

[1] 1360م.
[2] في الأصل: ((المايد)).
[3] في الأصل: ((المولد)).

الشادين، ونثرت درراً بضاعة الأستاذين؛ فمن ذلك ما قاله القاضي **أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسني** الشهير **بابن يعلى**؛ غفر الله له[1]:

حَدِّثْ عَنِ العَلَمِ إلاَّ علا[2] عمل
وَقِفْ بذروته /42و/العليا على قدمِ

وناد بالحمد من أرجاء جانبه
جوى نفوس ضنى من حرِّها الضّرمِ

حدِّثْ عَنِ المصطفى الهادي بلا حرج
حدّث يولد في بستانك النَّعِم

حدِّث عن الهاشمي الأبطحي [إذا][3]
تكل نفسا عن الآثار والشِّيَمِ

إيه على الغرة الغراء قد وضحت
نور الهدى عَلَماً إيهاً[4] بها فهم[5]

---

[1] هذه عبارة عن منظومة نسخت بقلم رديء؛ بحيث تخللها غموض كثيف؛ منع من قراءة كلمات كثيرة بها. وخاصة حينما يتضح بأن صاحبها مولع بالغريب في صياغته. ونظم قصيدته في بحر الوافر (مفاعلتن مفاعلتن فعولن)؛ ويجوز في (مفاعلتن = مفاعيلن، وفي فعولن = فعول). ولكن ظهر على بعض أبياتها خلل في الوزن، بسبب الزحاف والعلل.

[2] هكذا رسم. وهكذا انطلق في مطلع المنظومة.

[3] صدر البيت هذا في الأصل مختل الوزن؛ إذ تنقص التفعيلة الرابعة حروف بقدر وتد مجموع (//0)؛ فأضفنا كلمة: ((إذا))؛ لكي يستقيم الوزن.

[4] تأتي هكذا في حالات نادرة. مثل قول حاتم الطائي:

((إيهاً، فِدىً لكُمُ أمِّي وما ولدت حاموا على مجدكم، واكفوا مَنِ اتَّكَلا)).

[5] هكذا.

إيــه ومــا لرســول اللــه معجــزة
إلاَّ وقد بهرت كالنجم في الظلم
البدر شـق لمولانـا الرسـول وجـا[1]
بالبعث بَشَّـرَ والإرسال في الحرم
وانشـق في كَيـنٍ[2] نصفيـن يسألـه
نيل الشفاعة يـوم الحشـر والنـدم
والشمس بعد غروبٍ حَلَّ مطلعها
بسيـر مطلبِـهِ مـن بـارئ النســم
كذاك قد حبست أيضـاً بدعوتـه
وزيـد ساعـةَ يـوم مطلـع النعــم
كــذا الــذراعُ بسُــمٍّ فيــه أعلمــه
وأعلمَ المصطفى من كان عنه عَمِ
والجذعُ حَنَّ له تَحْنان ذي حرق
وأعلــن النــوح يبكيــه بمنسجــم[3]
والضأن إذا وطئ المرعى له سجدت
وأمرعـت عملا في نبـل مستلــم

[1] في الأصل: ((وجاء)) بالهمزة؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب حذفها للضرورة؛ لكي يستقيم الوزن.
[2] كين ـ كان ـ يكين كيناً لفلان: خضع.
[3] طرأ خلل على التفعيلة الثالثة في هذا الشطر.

كذا البعير شكى ظلم اليهود وقد
آوى إليه فألفى حكم محتكم
وناقة الآية الكبرى التي شهدت
لربها ونفت قولا لمتهم
كذا الجبال كذا الآكام قد شهدت
كذلك الضب لبى مفصحا بفم
كذا الظباء أتته وهي شاهدة
وكم حماد وكم صاد وكم حطم[1]
وكم أتته وحوش الأرض مسرعة
كذا الثمار على ساق بلا قدم
وإن أراد الجنا [2] تنحط خاضعة
وفي يديه ترى الحام من حم[3]
وفي الغمامة إذ تتلوه طائعة
تظله حكمة أربت على الحكم

[1] هكذا.
[2] لعلها: ((الجنى))؛ بالألف المقصورة في آخر الكلمة؛ وتعني قطف الثمار.
[3] هكذا رسمت. ولم يفهم الشطر. وهو غير موزون؛ ولا مفهوم.

كــذا الحمــام أظلتــه بأجنحـــة[1]

في فتح مكة مثل الأحمـل[2] الشّمـم[3]

وآيـــة الغـــار إذ أواه مختفيـــاً

والعنكبـوت عليـه ظـل في خيـم

وفي الحمام على الباب التي سكنت[4]

[في عشها ؛ ففشت في ا] لعرب والعجـم[5]

وأرقـم الغـار يشكـوا منـذ رؤيتـه[6]

وجـه النبي وصـد[7] الصـادق الفهـم

/42ظ/وكم رضيع رسول الله أنطقـه

وكـم بـريء لـه مـن أكمـه وعـم

---

[1] طرأ خلل على التفعيلة الثالثة في هذا الشطر.

[2] الحَمَل: هو السحاب الكثير الماء. جمعها الناظم بـ((الأحمل)).

[3] ذكر بعض كتاب السيرة الشريفة؛ أن حمام مكة أظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتحه لمكة؛ فدعا له بالبركة.

[4] ثمة من يرى أن سلالة حمام مكة الآن؛ تعود إلى حمامتي غار ثور.

[5] هذا الشطر غير واضح في الأصل. فأضفنا إليه ما ورد بين حاصرتين أعلاه؛ حفاظا على سياق الفكرة.

[6] الأرقم: حيّة خبيثة؛ لونها أسود وأبيض. وأوردت بعض كتب السيرة النبوية؛ أن حية من هذه الحيات؛ لدغت أبا بكر في غار ثور. ((ولما انتهيا إلى الغار روي أن أبا بكر دخل الغار وسد جحوره بإزاره حتى بقي منها اثنان فألقمهما رجليه. ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونام في حجر أبي بكر. وبينما هو نائم إذ لُدغت رجل أبي بكر من الجحر؛ فتصبّر ولم يتحرك؛ مخافة أن ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه؛ لكن دموعه غلبته؛ فسقطت على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فيستيقظ ليرى صاحبه قد لدغ قال: يا أبا بكر مالك. قال: لدغت فداك أبي وأمي؛ فتفل صلى الله عليه وسلم على رجله فبرأت في الحال)).

[7] هكذا

كـذا أتى وبحفـن[1] الكـف [مقلتـه][2]

قتـــادةٌ لرســـول اللـــه حيـــن رُمِ[3]

فـردّ [مقلتـه][4] في عينـــه عجـــلا

وســدَّ خلتـه[5] في ساعــة الألــم

[وكــان][6] يطعـن في الكفــار ببصـره

في ســعي مجتهــد يـــرقى لملتـــزم[7]

كـذا ذراع معــاذ...........................[8]

عليــه في ....[9] بفيـــض دم[10]

ورجـل إبـن معــاذ عندمــا قطعــت [11]

بالسيــف أبرأهــا راق بريــق فــم

---

[1] الحَفْنُ: أخذك الشيء براحة كفك والأصابع مضمومة.
[2] كتب في الأصل: ((مقتله)) وهو تحريف؛ فوجب التصويب.
[3] هو الصحابي قتادة بن النعمان؛ رمي في عينة؛ فسقطت على وجنته؛ فردها رسول الله صلى الله الله عليه وسلم بيده إلى مكانها؛ فقال ابن إسحاق: ((فكانت أحسن عينيه وأحدَّها)).
[4] في الأصل: ((مقتله)) وهو تحريف أيضاً. فصوّب.
[5] الخلة: ((الثقبة)). والمقصود بها هنا: الفجوة التي تسكن فيها شحمة العين؛ وهي المقلة.
[6] في الأصل: ((وكن))؛ فصوب
[7] هذا البيت كله غامض في معناه وصياغته مضطربة.
[8] تعذر معرفة ما كتب في الأصل ضمن هذا الحيز؛ بقدر سبب خفيف + وتد مجموع + تفعيلة: ((فعلن)). ((فعلن)).
[9] تعذر معرفة ما كتب في هذا الحيز الذي يقدر بتفعيلتين: ((فاعلن مستفعلن)). فيفترض أن البيت كله هكذا: ((كذا ذراع معاذ [حينما نزفت] * عليه في[جُرْحِه الدَّامي] بفيض دم
[10] لعله يقصد بمعاذ هنا: سعد بن معاذ الأنصاري؛ كبير الأوس؛ الذي أصيب في أكحل ذراعه؛ فأمر الرسول بنقله إلى مسجده ليعالج جرحِه بنفسه.
[11] هو عمرو بن معاذ. الذي قطعت رجله؛ فشفاها رسول الله بأن تفل عليها. ففي حديث جاء فيه: أن ((رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم تَفَلَ في رجل عمر بن معاذ حين قطعت رجله؛ فبرأ)).

وأشبع الجيـش من صاع وأرغده
مـاء الأنامـل يجـري جَـرْيَ ملتئـم
حـتى روى ومــلا بالمـــاء أوعيـــة
ذوي العشيرة من عدن ومن خـدم
وفي تبـوك دعـا للعيــن فانفجـرت
وبعد فـضّ شراك فاض فيض هـم
كذا السحاب دعا بالماء فانسكبت
ووبلها حف جيش العسرة العزم
وأطبـق القـدم اليمـنى عـلى يبـــس
في الأرض فانفجرت عينٌ بذي القدم[1]
كذا ارتـوى وحسين جدنـا حسـن
من زيـن مقْوَلِـه الشـافي من السقـم

[1] في الأصل: ((عين بت القدم)). والمقصود هو: ((بتلك القدم))؛ فحذف الكاف؛ لاعتقاده أنها ضرورة شعرية؛ بينما كان عليه تجنب ذلك؛ بتعويضها بما يتوافق مع المعنى والوزن. كما ورد أعلاه مثلا.

وضرع شاة [جَدودة][1] وقد يبست

أدَرَّها لبنا مسحاً على الأدم[2]

كذا جعيلٌ [3] [تراخى] تحته فرس

فزك [4] للمصطفى فيها فلم يقم

وأوقدته نشاطاً في مسابقها

فما استطاع قياد الراس باللجم[5]

وفي قتال حنين [قل] أيا عجبا[6]

إذ ظل مرتجلا[7] في الموقف الهزم

---

[1] وضعنا كلمة [جَدودة] بدلا من كلمة في ذلك الحيز؛ غير مفهومة في الشطر. ويقال للشاة قليلة الدّر للبن: ((جدودة)).

[2] ثمة روايات عديدة؛ تفيد بمسح الرسول عليه السلام على ضرع شاة أو معزة؛ فتدر اللبن ببركته. وهذه روايه منها: ((عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال:كنت أرعى غنماً لعقبة ابن أبي معيط، فمر بي رسول الله وقال لي: " يا غلام، هل من لبن؟ " فقلت: نعم، ولكني مؤتمن، قال: " فهل من شاة حائل لم ينز عليها الفحل؟ " قال: فأتيته بشاة حائل فمسح ضرعها فنزل لبن، فحلبه في إناء وشرب، وسقى أبا بكر ثم قال للضرع: " اقلص " فقلص قال: ثم أتيته بعد فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول، قال: فمسح رأسي وقال: " يرحمك الله فإنك عليم معلم (هذا الحديث أخرجه احمد وابن سعد في الطبقات).

[3] هو جعيل الأشجعي رضي الله عنه.

[4] زكَّ زَكّاً :هرول، أو مرّ يقارب خطوه ضعفاً .

[5] أوردت المصادر خبر جعيل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وجاء فيها: ((عن جعيل الأشجعي رضي الله عنه قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته، وأنا على فرس لي عجفاء ضعيفة، قال:فكنت في أُخريات الناس، فلحقني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: سر يا صاحب الفرس. فقلت: يا رسول الله، عجفاء ضعيفة. قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مخفقة معه فضربها بها وقال: اللهم بارك له. قال: فلقد رأيتني أمسك برأسها أن تقدم الناس، ولقد بعت من بطنها باثني عشر ألفًا. رواه البخاري في التاريخ، والنسائي في السنن الكبرى، والبيهقي في الدلائل.

[6] هذا الشطر مختل الوزن؛ إذ ينقص التفعيلة الثالثة سبب خفيف: (/0). وعليه فقد أضفنا كلمة ((قل))؛ للتصويب.

[7] هكذا.

[وشتت الكفر طراً دونما مددا] [1]

وعاد بالنصر للأجناد والحشم

ناهيك من بطل لله نصرته

ودعوة الحق دعواه لمغتنم

كذا عسيب[2] يحل في الوغي بطلا

أعطى فعاد حسا في يديه سم[3]

والأرض أجمعها للمصطفى رويت[4]

وكم له طويت رفقا به وكم[5]

وملك أمته لما رأوه بها

في طرفة العين من آيات ذي عظم

كذاك أعطاه رب العرش مكرمة

على مسيرة شهر نصر رعبهم

---

[1] ورد هذا الصدر في الأصل هكذا: ((وبعد الكفر فرداً دون ما عده))؛ وهو غير مفهوم، ومختل الوزن.وعليه فقد وضعنا شطراً بديلاً؛ جاء أعلاه بين حاصرتين.

[2] عسيب؛ جمعها؛ أعسبة:منبت الشَّعْر. وعظم الذنب. ريش القدم. وقضيب من النخل بدون أوراق. وشق في الجبل؛ وثمة جبل أضحى يدعى بذلك؛ وبه دفن الشاعر إمرؤ القيس. وثمة صحابي يدعى أبا عسيب؛ ومولى الرسول صلى الله عليه وسلم.

[3] هكذا. وهذا الشطر مضطرب المعنى ومختل الوزن؛ إذ ينقصه سبب خفيف: (/0)؛ في بداية التفعيلة الثالثة.

[4] استسقى رسول الله؛ فاستجاب له الله: ((انه لما شكا إليه شاك قحوط المطر ـ أي حبسه وانقطاعه وهو فوق المنبر في خطبة الجمعة ـ فرفع يديه إلى الله تعالى ودعا ـ وما في السماء قطعة من السحاب ـ فطلعت سحابة حتى توسطت السماء فاتسعت فأمطرت فقال: اللهم حوالينا ولا علينا؛ فاقلعت وانقطعت. متفق عليه.

[5] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ((ما رأيت أحدا أسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث)). أخرجه أحمد والترمذي وابن سعد وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

والنخل من يده لما بها غرست

من عامها أطعمت سلمانها السلم[1]

/43و/وافتك من أسره سلمان إذ طعمت

بجبر منقذه من عيه الظلم

تنام عينه والأقدار تحفظه

[بقـ] ولـه[2] ساهر يقضان لم ينم

وكان يبصر من خلف على بعد

كما يرى بسنا عينيه من أمم

وكان يسمع تسبيح الطعام على

عهد الرسول لدى كفيه والأدم

كذا الحصاة رآها معشر حضروا

تسبح الله في كفيه لا بفم

والوحي أعظم إعجاز به اتضحت

شمس الهدى لذوي الأفهام والهمم

[1] جاء في خبر سلمان الفارسي رضي الله عنه؛ أن رسول الله أعانة في غرس نخل؛ بغرض عتق نفسه بشراء حريته؛ مقابل القيام بغرس 300 نخلة لسيده. فقال: ((وكنا نحمل إليه [أي رسول الله] الوَدِيِّ [صغار فسيل النخل]؛ ويضعه بيده ويسوى عليها فو الذي بعثه بالحق ما ماتت منها ودية واحدة)).

[2] كتب في الأصل: ((وله)). ويبدو أن الناسخ بتر الكلمة؛ فحذف منها حرفين بقدر سبب ثقيل (//)؛ ولم يترك سوى الجزء الأخير من التفعيلة: (0//0). فأضفنا ما سقط؛ فأضحت الكلمة كما وردت أعلاه.

وكم تُعَدُّ وكم تُحْصَى مآثر من
لولاه لم تكن الأكوان في القدم
وأُخْبِر الرُّسْل طراً عنه واتفقوا
على رسالته في أشرف الأمم
وكلهم سأل الرحمن يدخله
في أمة المصطفى سبقاً لفضلهم
لما رأو لرسول الله من شرف
عند الإله وما يلقاه من كرم
وأنه الأول الهادي لرحمته
والحاشر العاقب الماحي ردي الرمم
وأنه الأول العاف لرحمته[1]

....

من نوره خلق العرش العظيم كما
من نوره نَشْأَة المحفوظ والقلم
والشمس منه ومنه الشهب مشرقة
ومنه يسطع نور الصدق في الكلم

[1] تكرر صدر البيت هذا؛ دون العجز؛ مع أنه مختل الوزن؛ وغير سليم كالصدر الذي سبقه؛ بسبب تغيير كلمة ((الهادي)).

وكل نـور فمن نـور النـبي بـدا
ومنه يشـرق نـور الحـق والحكـم

تكـوَّن المصطـفى نـوراً وأخبـأه
مولاه في خـرز عليين في علـم[1]

حتى استتم له ما شاء من أجل
وصار ينقل من صلب إلى رحم

في الطاهرين من السادات في عرب
في الأنبياء وفي الأشـراف غيرهـم

إلى الأكارم من عدنانٍ إذْ كسيت
وجوههم غرراً من نـوره الشيـم

أضحى بها وجه عبد الله مبتسماً
كزهره للزهـرة الزهـراء في شمـم

[1] لعل الشاعر يشير إلى الرواية التالية: ((رُوِيَ عن كعب الأحبار رضي الله عنه؛ قال: أول ما خلق الله جوهرة، وخلق من الجوهرة ظلمة، وخلق من الظلمة نوراً، وخلق من النور نور محمد صلى الله عليه وسلم؛ قبل أن يخلق الخلق بتسعة آلاف عام؛ فكان ذلك النور يطوف بقدرة الله تعالى؛ فإذا انتهى إلى الظلمة؛ خرّ ساجداً لله تعالى؛ ويقعد في السجدة الواحدة ألف عام، ويقول في سجوده "سبحان الذي لم يزل، سبحان الجواد الذي لا يبخل، سبحان الحليم الذي لا يعجل؛ ثم يرفع رأسه من السجود. فلما أراد الله تبارك وتعالى أن يخلق الأشياء خلقها من نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ ماء عذب؛ وجعل فيه البركة؛ ثم قسمه عشرة أجزاء: فخلق من الجزء الأول العرش، وأمره أن يستقر على الماء. وخلق من الجزء الثاني القلم؛ وأمره أن يطوف بالعرش ألف عام..... وخلق من الجزء الثالث اللوح المحفوظ، والجزء الرابع الشمس، ومن الجزء الخامس القمر، وخلق من الجزء السادس الجنة، وخلق من الجزء السابع النار، وخلق من الجزء الثامن الملائكة، وخلق من الجزء التاسع الكرسي، وخلق من الجزء العاشر النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وخلق الأنوار كلها من نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم...)).

فاستودع السرّ بطن الأم آمنة

فلاح في وجهها كالبدر في تمم

جاءت به ليلة اثنا عَشْرَ واضعه

بوسط شهر ربيع الأول البسم

رعيا له ولبشرى أم ينصرها

نشْر الرَّبيع [شذا] الأزهار في الكمم[1]

/43ظ/إيوان فارس كسرى ارتج منكسرا[2]

[إيوانُه شامخ في عزا من قدم][3]

ونار فارس من نور الهدى خمدت

ولم تدع للعدى [إ][4] سما على علم

[وجاءه قدر الأقدار مكتسحاً][5]

دين الظلال حليف الذل والهظم

والدين سل[6] حاسم للنصر في صعد

مستأصل الظفْر يقفوا إثره الهرم

---

[1] ورد ـ في الأصل ـ هذا الشطر بوزن مختل. ويظهر ذلك في التفعيلة الثانية؛ فجاء هكذا: ((نشْر الرّبيع نشرا الأزهار في الكمم))؛ وعليه فقد صوبناه كما ورد أعلاه.

[2] جاء هذا الشطر في الأصل هكذا: ((فللعجارف كسرى ارتج منكسرا))؛ فأصلحناه كما ورد أعلاه.

[3] وهذا الشطر وضعناه؛ بدل الشطر الأصلي؛ الذي نسخ بشكل تعذر فهمه؛ وجاء كما يلي: ((إيوانُ شامخٌ ملك حسالم بهم)).

[4] أضفنا ألف قطع لكي يستقيم الوزن.

[5] هذا الشطر غير مفهوم في الأصل؛ وقد نسخ هكذا: ((وجاءت في سرد تحسيسا)). ولكي نسهل على القارئ متابعة الفكرة؛ وضعنا الشطر الوارد أعلاه.

[6] هكذا.

وباتَتِ الأرض بالأزهار ضاحكة

تختــال ترفـل في أثوابهــا الرقــم[1]

والأفق يسطع أنـواراً كما اختلفت[2]

حور الجنان ذوات الخلد والنعـم

وكل ما ملك قـد جـاء مستلمـا

وجه النبي، ووجد الوحش والرخـم[3]

والطير تدعـوا بلفظ العرب أمتـه

دعِ الحبيــب لنـا وأتيـه واستلــم

تقيــه عيـن حسـود إن تـراه ومـا

تخشى عليه بنار الكفر من ضرم

ولـن يليـه أوان الوضـع من أحـد

سـوى الكرام من الأمـلاك كلهـم

فمــن حفيــظ ومــن آت بملبســه

ومـن معـد بريـق الفـمّ[4] للحكـم

ومـن منــاول حــرز اللــه يَطْلُــوَهُ[5]

بـدعي النميمة في لوح بـلا ختـم

[1] أي: المخططة والمرقومة.
[2] هكذا؛ ولعلها: ائتلقت. أي تألقت وسطعت.
[3] هكذا. ولعلها: الرغم.
[4] التفعيلة الثالثة تقتضي إضافة حرف ساكن زائد؛ فلزم تشديد ميم (الفم).
[5] هكذا. لعلها: يتلوه.

ومن مُطَهّـرِ مخفـاة الضغائـن مـن

طي الفـؤاد بمـاء الكوثـر الركـم

ومـن مُنَـــزِّل أعــلام لينشرهـــا

بالشرق [صارت بـ] منجاة وبالحرم[1]

ومـن مبشـر أقطـار البـلاد ومـن

برغـم أنـف العـدو الحاسـد السـدم[2]

وكـم رأتـــه أوان الوضـــع آمنـــة

مـن الغرائـب مـا لـم يحض ذو قلـم

كسجدة البيـــت للرحمـــن خائفـــة

وشكـوة بلســان غيـر مـا عجـم

ورج غلظـة أصلاد الصليـب ومـا

[تـلا] تساقـط فوق الأرض من صنم[3]

أكرم بمولد سـاد لـم يـدع هتفـا[4]

للشـرك بعـد بـدر المرنـق العمـم[5]

---

[1] هذا الشطر ـ في الأصل ـ تنقصه سبب خفيف في التفعيلة الأولى (/0) + وتد مفروق: (/0/)؛ في التفعيلة الثانية؛ لذا فقد أضفنا ما ورد ضمن الحاصرتين.

[2] هذا البيت مختل الوزن. وفي صدره زيادة كلمة هي: ((شاء))؛ فتم حذفها. أما عجزه؛ فاختل أيضاً؛ بسقوط كلمة منه؛ فأضفنا كلمة: ((العدو))؛ للتصويب.

[3] هذا الشطر مختل الوزن؛ وينقصه في التفعيلة الأولى وتد مجموع (//0). فأضفنا كلمة ((تلا))؛ لتصويب الوزن.

[4] هتفاً ضوتاً عالياً أو مدحاً .

[5] هكذا.

باللين بالرفق بالتمهيد عن خلق

موصوفة الخلق في الفرقان بالعظم

يودي فيبصر لا غيظ فيكظمه

ولن يقيم حدود الله في سدم

يحاول الأمر في قوم تلا حجهم

في الحق لجة بحر للطلال طم

فلم يزل بغيوب الوحي يخبرهم

صدقاً وينبئ عن عاد وعن أرم

/44و/وعن زبور وآيات به نزلت

وعن تهكم توراة بدينهمُ

وأي محكم إنجيل بما احتكمت

[هلا ترى ذكر إعجاز لقولهم][1]

فمن حسود رمى بالسحر ساعته

ومن عزول رمى بالشعر والعدم

وقائل سفها أضغاث ذي سمة

فرد ذلك وصى جاء بالعصم

---

[1] هذا الشطر مضطرب المعنى، ومختل الوزن؛ وورد في الأصل هكذا: ((فيهم يخبر إعجازا لقولهم))؛ فصوب كما جاء أعلاه.

حاشاه إن حسدا جهلا فموبقهم

وإن تمرد كفر ويلُ ويلهم

إلى أن قال رحمه الله ورضى عنه ونفعه بنيته :

[أتلو مديحي وشكري][1]إن ظفرت بما

أرجوا من الملك العدل الرّضى العلم

قطب المكارم مأوى كل ذي طلب

سمك[2] السيادة حامي الحل والحرم

إبن الكرام أبو حموا الشهير سنًى

موسى بن يوسف بَرَا بحق ؛ذو الكرم[3]

[هذا المليك الذي جاءت بدعوته][4]

مسطورة ببراهينٍ على القدم

هذا الإمام الذي شدُّوا به أزراً

شادوا بها علما ناهيك من علم

[1] كتب في هذا الحيز ـ في الأصل ـ العبارة التالية: ((من لا تهاني الا))؛ ونظراً لغموضها؛ فقد وضعنا عبارة أخرى بين حاصرتين لتصويب الفكرة.

[2] سمك سمكاً الشيء: رفعه. يقال ((سمك الله السماء))؛ أي: رفعها.

[3] هكذا.

[4] هذا الشطر مختل الوزن؛ وجاء في الأصل هكذا: ((هذا المليك الذي جاء وبدعوته)). وعليه فقد صوب كما ورد أعلاه.

هذا الإمام الذي خفت به شهب
كأنه البدر فيها انساب عن دمم[1]
الوارث المجد[2] عن آباء له سلفوا
شادوا له منه ركنا غير منهدم
فلم يزل ساميا يعلي أعاليه
بجدّ حزمٍ ورأيٍ أيٍّ محتكم
وراحتين متى غاب الغمام همت
بسكب فيض عوادي سيله العرم
قالت يعلق باب الحرب من كسل
ولا الهجيرة نخلها من البهم[3]
يلقى الصوادم في راحات عسكره
ما بين ذي فلل منها ومنحطم
كذا الدوامل في أعقاب منهزم
من العداة وفي لبات مقتحم
كأنما الموت في أرجائها كمن
[ضمن المفاصل والأعضاء في الأمم][4]

[1] الدمم والدمام: كل شيء طلي به.
[2] اختلت التفعيلة الثانية بسقوط حرف ساكن في أخرها.
[3] هكذا.
[4] هذا الشطر غير مفهوم؛ ورسم هكذا: ((لمصرق الغصب في أعظاء مندم)). وعليه فقد وضعنا الشطر الوارد أعلاه بدلا منه.

يسطوا اقتدار فيثنى الجود محتشما[1]

فحسبك الدهر من ضرٍ(ا)[2] ومن نعم

[مازال مذ شب في أيام شيبته][3]

يملا بفطنته الأحكام من حكم

ناهيك من ملك أشهى مقاصده

إبرامه الحِكَم بالتنـ(زي)ـل عن حزم[4]

....[5]

حاشى وكلا ولا تعريض متهم

/44ظ/رحب المحاسن طلق الوجه منبسط

الأخلاق فاق العلى والدهر في وهم

يا من تسربل بالعلياء متزرا

ثوب العفاف وأعفى مربع التهم

لا زلت تقمع من عاداك متزرا

بعاجل الظفر مستأصل النعم[6]

---

[1] هكذا.

[2] هذه الألف زائدة؛ وكسرت الشطر.

[3] هذا الشطر يكتنفه الغموض، ومختل الوزن؛ فجاء هكذا: ((مازال مذ شب في ربق شبيبته))؛ أو ((شيبته)). لذا فقد عوضناه بشطر؛ كما ورد أعلاه.

[4] هذا الشطر مختل الوزن؛ بزيادة سبب خفيف: (/0) في التفعيلة الثالثة؛ ويقابله حرفا: ((الزاي والياء)) في كلمة ((التنزيل)).

[5]وهذا الشطر أيضاً غامض المعنى ومختل الوزن؛ وجاء هكذا: ((لا ربيع لأصل لا إعراض يمنعه)).

[6] سقط حرف ساكن في التفعيلة الثانية.

ودمـت [في عـزٍّ] ملك ما لـه هـدم[1]

وواحد (أ)[2] كل ما تهـوى بلا عـدم

***

وللطالـب أبى العباس أحمد بن شعبان غفر الله له عنه[3] :

حاز المكانة في الشهور ربيعْ   وتأسست للدين فيه ربـوعْ

فلليلتين به وعشر قد خلت   منـه لأحمـد مولـد وطلوعْ

في ليلـة الإثنين حسبك ليلة   فحلوها فخر الرشاد صديعْ[4]

جاءت بإكرم منتقى من هاشم   وهُمُ الذيـن لبيتهـم ترفِيـعْ

كبر المزا يـا مـا الإلـه أنالـه   وله المدى في المعجزات وسيـعْ

سطعت كما ومضت بوارق أو بدا   للشمس في زاد النهار منوعْ

كإعـادة الشمس التي عن أمره   عادت وأنى بالضحى سيطيعْ

وسعى له نخل وعـاد مكانه   فكأنـه ما كـان منه فـروعْ[5]

وينَبْـعِ عذب الماء بين بنانـه   عـمَّ الجيوش من المياه نبـوعْ

---

[1] هذا الشطر مختل؛ والعلة في التفعيلة الثانية؛ لذا فقد أسقطنا كلمة: ((خالد))؛ سبب العلة؛ ووضعنا بدلاً منها ما ورد بين حاصرتين.

[2] هذه الألف زائدة. فأسقطناها حفاظا على الوزن والمعنى.

[3] هذه القصيدة نظمها الشاعر في بحر الكامل؛ بقافية مقيدة؛ بتفعيلته الأصلية؛ في كل شطر: (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)؛ ويجوز فيها: (مستفعلن). كما يجوز في الضرب: (فَعِلُنْ، وفِعِلُنْ).

[4] الصديع: الصبح. وصدع الأمر: كشفه وبينه. وصدع بالحق:تكلم به جهاراً.

[5] فرع فروعاً الأرض: جول فيها.

وبتفله[1] عاد الأجاج سلاسلا[2]   فانساغ منه مورد وشروعْ
وله ذراع الشاة كلّم معلما   بالسّمّ وهو لأكله موضوعْ
وكمد(د)[3] يمناه الكريمة سهمه[4]   فاض الزلال وطاب فيه كروعْ
وكردّه في الحين عين قتادة   فاحتل منها في المكان رجوعْ
وبلمسه شاة تمنع رسلها   عادت ومنها في الشياع ضريعْ
[وتقوتوا لبنا بها جمعا سقا][5]   فكفى الجميع [ملاءة][6] وقنوعْ
ودعاؤه أسمى المواطن فارتقى   [وهدى بهديٍ للسماء رضيعْ][7]
ومن الذي كفّ الإله عذابه   [ولواضع من منهم المرفوعْ][8]
ومن الذي حاز الفضائل جملة   ومن الذي هو في العباد شفيعْ
/45و/إلا محمد الذي فاق الورى   [و][9] بحقه للعالمين نجوعْ

---

[1] تفل تفلاً: بصق.
[2] السلسل والسلسال والسلاسل: الماء العذب.
[3] هذه الدال زائدة.
[4] هكذا.
[5] هذا الشطر مختل الوزن ومضطرب المعنى؛ فجاء هكذا: ((وبقوت مرئهمُ شبعا كثرة))؛ ولتسهيل ولتسهيل الفهم؛ وضعنا شطراً بدلا منه؛ كما ورد أعلاه.
[6] في الأصل: ((تملوا))؛ وهذا يخل بالوزن. فوجب التصويب؛ بوضع الكلمة الواردة بين حاصرتين.
[7] هذا الشطر غامض في معناه، رديء النسخ، مختل الوزن؛ ونسخ؛ هكذا: ((وهد بعنان السماء وريع)). وعليه؛ فقد عوضناه بما ورد أعلاه؛ بين حاصرتين؛ لكي يوضح سياق البيت.
[8] جاء هذا الشطر في الأصل هكذا: ((عنه ولواضع منهم المرفوع))؛ فاختل وزنه؛ حيث زادت كلمة: ((عنه)) في بدايته؛ كما وضعت في غير محلها. كما سقط سبب خفيف (/0)؛ في بداية التفعيلة الثانية. وعليه فقد وضعنا شطراً بدلا منه ـ بين حاصرتين ـ أعلاه.
[9] أضفنا الواو؛ من أجل تصويب الوزن؛ لأن التفعيلة الأولى في الأصل ينقصها حرف متحرك.

صلى الإله عليه ما بحر طما [وبدت بروق[1] في السماء] سطوعْ[2]
وأدام مولانا أبو[3] حمو الذي بقيام مولده لديه ولوعْ
لله فيه قيامه ودعاؤه وتلاوة وتبتل وخضوعْ
وإقامة لشعائر وإنابة فرضى الإله مكانها وخشوعْ
كفّ العداة بسعده وبسيفه ففرا وفرق منهم المجموعْ
أعداؤه شرب وشرب [في إفكهم][4] سمّ تفجره الحروف نقيعْ
يختار في النظر الجميل الشهادة فله علينا منة وصنيعْ
ويبيد كل معاند بحروبه فيشيب منها الطفل وهو رضيعْ
فمن الجيوش على العداة حماسة وسنانة وجيوشه وهلوعْ
[لولا أبو حمو تلمسان امحت في ظل عدوان بلاه فضيعْ][5]
لكنه حفظ الأقاصي فاعترى[6] أملا بمن المرء وهو بديعْ
بالحزم فاق على الملوك تفاضلا والجيش فيه من الأسود جموعْ
فمن اقتفى طرف الرشاد كمثله فله القصيّ يطيع وهو منيعْ

---

[1] البرق جمعه: بروق: ومضة نور تلمع في غيم السماء.
[2] جاء هذا الشطر ـ في الأصل ـ مخل الوزن هكذا: ((وبدا البرق في السماء سطوع)). وعليه فقد عوضناه بما ورد أعلاه بين حاصرتين.
[3] هكذا.
[4] الكلمة هنا غير واضحة في الأصل؛ فعوضت بما ورد بين حاصرتين أعلاه.
[5] هذا البيت بالكامل غير مفهوم؛ بسبب النسخ الرديء؛ إذ كتب هكذا:
((لولا بوا حبه تلمسان خلت سلبا * ولم يكن بالديار كيع)). وبذلك يظهر الخلل في المعنى والوزن معاً .وعليه فقد نظمنا بيتاً يعوضه؛ وورد أعلاه بين حاصرتين.
[6]إعترى إعتراء فلاناً غشيه طالباً معروفاً .

في وصفه عظم يقص مسهم[1]   ولو انتقاه إلى الزمان بديعْ
دامت له نجم العداة ساجدا   وعلى طلاهمْ للسيوف ركوعْ
ودماؤهم أفواهها نجاحة   بدوي الضلالة والرشاد مريعْ
ثم السلام عليك ما هبت صبا   وأتى ربيع أول وربيعْ

***

ـ وللفقيه أبى محمد عبد المؤمن بن موسى المديوني عفا الله عنه[2]:

جاءت سعاد بوصل بعدما ذهبا
عَصَى الشباب ولاح الشيب والتهبا
واحدودب الظهر من سقم ومن كبر
واعوج عصبي الذي قد كان منتصبا
وصرت أمشي الهونيا بعدما ضعفت
منى القوى واسترد الدهر ما وهبا
لا أستطيع نهوضا قد وهى بدني
تمكن السقم[3] من حسمي فصار هبا

---

[1] هكذا.

[2] هذه القصيدة البائية العذبة السلسة؛ نظمها الشاعر في البحر البسيط؛ بتفعيلته الأصلية؛ في كل شطر: (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن)؛ ويجوز مقابل: (مستفعلن = مفاعلن) ومقابل: (فاعِلُنْ = فَعِلُنْ). كما يجوز في العروض: (فِعْلُنْ)، وفي الضرب: (فَعِلُنْ فِعْلُنْ).

[3] كتب في الأصل: ((القسم))؛ وهو تحريف.

/45ظ/تظن أني على العهد القديم ولم
تعلمْ بأني هجرت اللهو والطربا
وجانَبَتْ نفسيَ العقل الذميم فلا
أرى نديما إلى من قد هفا وصبا
ولا أنا ثم الذي يرضى بمنقصة
ولا أصيخ لقول يحدث اللعبا
إذا تذكرت أيامي التي سلفت
تبادر الدمع من عينيّ منسكبا
[أفنيتها عاصيا لله مجترئا
لم أرتدع صلفاً بالإثم والطربا][1]
كم بت فيها على العصيان معتكفا
مضيعا من حقوق الله ما وجبا
وصدني عن سبيل الخير دون خفا
قرين سوء إذا غالبته غلبا
كيف اصطباري إذا ما النار جيء بها
والخلق في قنط والرب قد غضبا

[1] هذا البيت بكامله مختل الوزن. فحدثت زيادة في صدره؛ ممثلة بسبب خفيف (/0)؛ بين التفعليلتين: الثانية والثالثة. أما عجز البيت فقد سقط من تفعيلته الأولى وتد مجموع (//0). بالإضافة إلى زيادة سبب خفيف بين التفعيلتين: الثالثة والرابعة. فجاء البيت هكذا: ((أفنيتها في معاصي الإله مجترئا *ولم أخفشاهداً على من تعبا)). وللتصويب نظمنا بيتاً بدلا منه؛ وجاء كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

وقيل يا أيها العاصي نسيت ولم
ينس[1] الرفيقان ما خاطا وما كتبا
إقرأ كتابك وانظر ما جنيت به
اليوم أجزى الورى كلا بما كسبا
ما حيلتي ما جوابي عند ذاك وما
يكون عذري ومني العقل قد سلبا
لكنني برسول الله معتصم
من جاء بالنور والبرهان منتخبا
[بدر تطلع في السماء حلّ فلا
غَيْمٌ يُغيّبه، فصار محتجبا][2]
أسنى النبيين، أعلاهم وأرفعهم
فنوره يخجل الأنوار والشهبا
خير البرية من عرب ومن عجم
أوفاهم ذمة، أزكاهم حسبا
من أجله كَوَّنَ الأكوان خالقنا
كما أتى في صحيح النقل مكتتبا

---

[1] في الأصل: ((تنسى))؛ وهو خطأ نحوي.

[2] هذا البيت مختل الوزن، ومضطرب الصياغة؛ جاء في الأصل هكذا:
((بدر تطلع في أفق السما فلا غيم * يواريه أو تقص فيحتجبا)). وحرصاً منا على سياق المعنى؛ وضعنا بيتاً بدلاً منه؛ ورد أعلاه؛ بين حاصرتين.

فأظهر الحــق إذ فــرت معالمــه
وســاد بنيانــه من بعــد مــا ذهبــا
وقـام يدعـوا الـورى لله مجتهـدا
من كان منهم على نأي ومن قربـاً
فمن أجاب نجى من حر نار لـظى
وقـد كفـاه الإلـه الأمـر والتعبـا
ومن عصـاه فمثـواه الجحيـم غـدا[1]
يُسْقَى حميما فمـا يُرْوَى إذا شربـا
وأبعـد النـاس مـن جهـل أضلهـم
من بعد ما اعتقدوا الأصنام والنصبا
أسـرى به الله في الليـل البهيـم إلى
السبع الطباق فحاز الفخر واقتربا
صلى بموسى وعيسى والخليل بهـا
وعاين العرش والأستـار والحجبـا
/46و/أدناه، كلمه من غير واسطـة
ثـم اجتبـاه وأعطـاه الـذي طلبـا
أتى ربيــع بـه أهـــلا بواحـــده
ومرحبـاً نعـم مـا أهـدى ومـا وهبـا

[1] في الأصل: ((غـدى))؛ بالألف المقصورة.

محمد خيـر مـن تُهْـدَى لـه [دررٌ][1]

من مشى فوق ظهر الأرض أو ركبا

فارتج إيـوان كسـرى عنـد مولـده

ومـا[ء] سـاوة[2] حقـاً عنـده قصبـا

ونـار فـارس أيضـا عنـده خمـدت

كأنهـا مـا حـوت حـرا ولا لهبـا

والجن ضلت تجوب الأرض ذاهبة

إلى أقـاصي النـواحي أمعنـت هربـا

وأمه لم تجد في الوضـع من ألـم

بـه ولا كابـدت ضـراً ولا وصبـا

وخـص بالمعجـزات الباهـرات فمـا

[سـواه خـص بسرهـا ولا قربـا][3]

أروى الجيوش وقد كانوا على ظمإ

من حينهم ملـؤا الأشْنـان والقِرَبَـا[4]

[1] هذا الشطر مختل؛ إذ سقط منه ما يماثل التفعيلة الرابعة؛ وعليه فقد أضفنا كلمة: ((دررٌ))؛ للتصويب.

[2] كتب في الأصل: ((وما ساوة))؛ وهو تحريف؛ يطمس المعنى، ويخل بالوزن. والصحيح هو: ((ماء ساوة))؛ بالهمزة في آخر كلمة ((ماء)).والمقصود بذلك؛ بحيرة ساوة التي جفّ ماؤها يوم مولد الرسول صلى الله عليه وسلم.

[3] جاء هذا الشطر ـ في الأصل ـ مضطرب المعنى، مختل الوزن؛ هكذا: ((سواه أعطيها نفعا ولا غربا)). فقمنا بتصويب نظمه، ووضعه بين حاصرتين أعلاه.

[4] القربة جمعها قرب وقربات: وعاء من جلد المعز أو الضأن؛ يستعمل لحفظ الماء أو اللبن. أما الشنَّة؛ فجمعها أشنان: وهي القربة الصغيرة.

تفجـر المـاء من كـف مباركـة

سحـا ووبـلا وهطـالا ومنسكبـا

وأشبـع القـوم مـن نـدر الطعـام إذا

من بعد ما كبـدوا[1] الأقلال والسغبا

وكلمتـــه ذراع الســـمّ معلنـــة

وأعلمتـــه بمـــا فيـــه ليجتهـــدا[2]

ثم الغمامة [إن مشى مشت][3] معه

أو لازم الأرض أرخت فوقه طنبا[4]

والبـدر شُـقَّ لـه نصفيـن فافترقا

والناس قد شاهدوا من أمره عجبا

فمعجـزات رسـول الله ليـس لـه[5]

حصر لمـن رمها أو عـدَّ أو كتبا

ومن يطـق كيل مـاء البحـر مجتهـداً[6]

أو الغمـام إذا مـا انهـلَّ وانسكبـا

---

[1] في الأصل: ((أكابدوا))؛ بالألف في مطلع الكلمة؛ وهذا تحريف يؤدي إلى خلل في الوزن واضطراب في المعنى.

[2] أصيبت قافية هذا البيت بعلة الإكفاء؛ باختلاف رويها (د) عما سبقه؛ وإن كان اللفظ متقارباً .

[3] كتب في الأصل: ((إن سار تسير))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوضعنا بدلاً منها ـ بين حاصرتين ـ عبارة: ((إن مشى مشت))؛ لتقويم الوزن، والحفاظ على المعنى نفسه.

[4] يقال:((طَنَّبَ الخَيْمَةَ)): شدها بالأطناب. والأطناب مفردها:طِنَبَة؛ وهو حبل طويل؛ يشد به سرادق البيت.

[5] ربما تكون: ((لها))؛ وتغيرت في النسخ.

[6] ورد هذا الشطر في الأصل مختلا بسبب كلمة: ((الأرض))؛ التي زادت هكذا: ((ومن يطق كيل ماء (الأرض) البحر مجتهدا)). وعليه فقد حذفت هذه الكلمة أعلاه؛ من أجل التصويب.

يـا سيـد الرُّسْـل إن العبـد في قنـط

مما جنى مـن قبيـح الفعـل وارتكبـا

ومـا عـسى في أمـور كلهـا خطـل

ومـا تعدَّى ومـا أكْدَى[1] ومـا انتهبـا

أرجوا بمدحك يا سؤْلي ويا أملي

فـوزاً لجَنَّـات عـدْنٍ لا أرى نصبـا

فأنـت أفضـل مأمـول ومدخـر

وشافـع لمـسيء جـاء مكتتبـا[2]

صلى عليك إلـه العرش خالقنـا

ما لاح نجم بأفق الشرق أو غربا

وانصر بجودك يـا مـن لا شبيـه لـه

خليفـة ساسنـا بالعـدل محتسبـا

فرع نشا[3] من بني زيان قد كرمت

آبـاؤه الخلفـاء السـادة النجبـا

/46ظ/خليفة لا يسامى في أرومتـه

وهل يسامى السما[4] من بالثرا رسبا

---

[1] أكْدَى إكداء: بخل في العطاء

[2] في الأصل: ((مكيتبـا))؛ وهو تحريف يتسبب في اختلال الوزن.

[3] أي نشأ؛ وللضرورة خففت الهمزة.

[4] أسقطت همزة ((السماء)) للضرورة.

خليفــة قهـر الأمــلاك صارمـــه

كـل لـه خاضـع من بأسـه رهبـا

أسنى ملوك الدنـا قـدرا ومنزلـة

وخيرهـم نسبـا إذ[1] مـا هـو انتسبا

كهف الضعيف ومأوى المتعبيـن ومن

أودى بـه الدهـر في أحكامـه ونبـا

خليفــة كفّـــه نــار [لهـــا أَلَـــمٌ][2]

لمـن عصاه وبحـر الجـود إن وهبا

فاعجب لكف حَوَتْ ضدين فامتزجا

هل شاهـدت مقلتـاك مثلهـا عجبا

مـوسـى بن يوسـف مولانـا وسيدنـا

ليث الحـروب إذا عَـزْمُ الجبـان أبـا

من قـام بالمولـد الأسـنى وشرفـه

كيمـا ينـال بـه ذاك الـذي رغبـا

واعمـل الجهـد في مرضـات خالقـه

مبــادراً لفعــال الخيــر محتسبــا

---

[1] في الأصل: ((إن)).

[2] هذا الشطر مختل؛ بسبب التفعيلتين: الثالثة والرابعة؛ التي تمثلهما عبارة: ((ما حجة)). وعليه فقد وضعنا أعلاه ـ بين حاصرتين ـ بدلاً منها العبارة التالية: ((لها ألم)). بغرض التصويب.

سمّـى لـه ربـه ما هُـوَّ[1] آملـه

مبلغـاً مقصـداً [يسمـو بـه رتبـا][2]

فاللـــه يبقيـــه في أمـــن وعافيـــة

ما هـزت الريح في إرْسالها القُضُبا

***

فما أقام إلا **بأطاران، وفاطيس**؛ لأنه وسيط للقبائل؛ وموضع الإذعان لهم والتأنيس. فاشتد عضد **الثعالبة ولواتة**؛ وأمنوا من مكر **ابن خلوف** وآفاته. فلحق به **أبو**[3] **معدي الثعالبي وإبراهيم بن صالح اللواتي**؛ يطلبان النصرة على **ابن خلوف**؛ ويستغيثان به استغاثة الملهوف. فكان من شأن **ابن خلوف** ما كان؛ على المولى **أبى حمو** السلطان.[4]

***

---

[1] تشدد واو ((هو))؛ للضرورة؛ حفاظاً على سلامة الوزن.

[2] انتاب التفعيلتان: الثالثة والرابعة خلل، وتمثلهما عبارة: ((مقضيا أرتبا))؛ فانكسر الوزن. لذا فقد وضعنا عبارة أخرى تجلي المعنى وتصوب خلل الوزن. ووردت أعلاه بين حاصرتين.

[3] كلمة: ((أبو)) تكررت هنا. فحذفت الزائدة.

[4] خرجت هذه الفقرة عن سياق النص؛ لأن مكانها ـ المنطقي ـ يكون أثناء الحديث عن وصول أبي حمو إلى أطران وفاطيس؛ قبل زحفه إلى تنس.

ذكر مقتل
منصور بن خلوف وكيف سقي كأس الحتوف[1]

هذا **ابن خلوف**؛ كان قائداً **بقسنطينة**. كان له عند **أبي عنان** منزلة مكينة؛ ولاه[2] **أبو عنان** عليها؛ ليضبطها؛ فأضرّ بنواحيها، وقبضها، وجنى على أهلها، وعلى البلاد، وأذاقهم بالضرب، والفيء؛ أشر النكاد؛ ولم يراقب الله في أحد من أهلها، ويا ويله منها وتأويلها. دخل فيها على البنات الأبكار، وهتك أستار المؤمنات والأحرار؛ ولم يزل على ذلك؛ حتى أعادها **أبو سالم** على سلطانها[3]، وأخرجه الله لحينه **/47و/**من أوطانها. ولما أتاه **أبو العباس**؛ بأمر مولاه؛ خرج منها كرهاً بغير رضاه. وكان عازماً على أن يفوز بها؛ لكن علم الله طويته، وشر مذهبه؛ فأخرجه منها على رغم أنفه، وأهلكه بسوء فعله، وسخفه. ولَوْ قدَّم جميلاً؛ لوجده للقيام. ولكن؛ جنَى ثمرة غرسه في المقام. خرج منها خائفاً؛ يترقب يوم الجرائر؛ خشية ما يتعقب. فاتخذ الخفير من **رياح**؛ فأخرجوه إلى حيث أمن بمن معه؛ وأتركوه. فكان وصوله إلى **جبال صنهاجة**؛ من جهة **المدية**؛ فوجد التهارج، والتشاجر، والفتن؛ كالنار الحمية.

---

[1] هذا الفصل خصصه صاحب الكتاب؛ لعرض خبر ابن خلوف؛ الذي سبق الحديث عنه في فصل سابق. ويبدو أن الكتاب تعرض للخلط من قبل الناسخ أو غيره.

[2] في الأصل: ((وله))؛ وهو تحريف.

[3] أبو العباس الحفصي.

ووافق ذلك خروج المولى **أبى حمو** من **تلمسان**، وقيام حفيد **أبى تاشفين** في الأوطان؛ فحشر **البرابر وصنهاجة** عليه، وتوعدهم بالمقاسمة؛ في كل ما تناله يداه؛ مع طمع **البرابر** وإرادتهم للفتنة؛ وذلك بما كتب الله عليهم من المحنة.[1]

***

ولما انقضى المولد السعيد، واتصل من ثوابه بما يريد؛ جعل يترقب ما يصدر عن **أبى سالم،** وما ينشأ عنه من فتن وتفاهم، وما يعامل به حفيد المولى **أبى تاشفين**[2]؛ إذ جاءه منهزماً. وهل تحتنق ـ لذلك ـ **بنو مرين**؟ وهل تدركها النخوة على فساد البلاد؟ فيجدد[3] الحركة[4] لقتال **بني عبد الواد**. فلم ير لناره دخاناً[5]، ولا لنصرته سلطاناً؛ بل عكف على مأكله، ومشربه، ولذّاته؛ ولم يكترث بشأن غالبه؛ إلاّ أنه رأى ـ من حسن رأيه ـ المصالحة، والمداهنة، والموالاة للمولى **أبى حمو**، والمحاسنة ليهنأ بلذاته، وينشرح وقتاً في ذاته. فوجه **عيسى بن واح**[6] رسولاً؛ ليبلغ ـ بذلك ـ أملاً وسؤالاً؛ فكان أول قادم على المولى **أبى حمو** من **أبى سالم**، وأول متحدث ـ في الصلح ـ عنه، وعازم.

---

[1] هنا انتهى صاحب الكتاب من سياق سبق الحديث فيه؛ قبل فتح تنس. ثم نراه يعود ـ فيما يلي ـ إلى الكلام عما جرى بعد الاحتفال بالمولد النبوي. لذا فمن المفروض أن تأتي الفقرات الموالية بعد انتهاء قصيدة عبد المؤمن ابن موسى المديوني البائية مباشرة.

[2] في الأصل: ((حفيد أبي المولى تاشفين))؛ وهو تحريف بين.

[3] أبو سالم.

[4] في الأصل: ((حركة))؛ بدون ألف ولام التعريف.

[5] في الأصل: ((خانا))؛ وهو خطأ.

[6] لم نتعرف على هذا الاسم.

فبينما المولى **أبو حمو**؛ ينظر ما ينشأ من الحوادث؛ إذ أتى الرسول المذكور؛ أول البواعث؛ فأنزله المولى **أبو حمو** بدار كرامته، وولاه بما يليق من جميل إقامته. ولما كمل ثلاثة أيام استحضره، وسأله عن إتيانه؛ /47ظ/فأخبره؛ فقال إن مولاي **أبا سالم** بعثني إليك؛ وهو يسلم عليك؛ يطلب منك الموالاة، والكفّ عمّا وقع من الشتات. وأنه لم يكن من مراده الحركة على بلادك؛ وإنما كان ذلك من قبل **بني مرين**؛ حين رأوا ما رأوا؛ من أمر اشتدادك. ثم إن الله حكم لك بالانتصار؛ فكان ما حكمت لك به الأقدار. واعلم أن مولاي **أبا سالم**؛ ليس له إلا ساعة؛ يقطعها في لهو، وطرب، ومراح، وخلاعة، ولعب؛ وقد أراد أن تكون أيامه أيام سلم، ومهادنة، وموالاة، ومحاسنة؛ إلا أنه خاف ما يصدر له من قبيلة **بني مرين**؛ إذا كانت المصالحة ـ من قبله ـ في الحين. وقد وجهني إليك؛ ولا علم لأكثر الأشياخ؛ بما كان. وقد أودعني سراً خلاف العيان؛ وأن مراده؛ أن تصرف له ولدك الأمير **أبا تاشفين**؛ ليكون ذلك أرجى **لبني مرين**. فإنك أيها الملك قتلت منهم الأنجاد، ونكلت فيهم المراد. ويقول لك إن وصل ولدك؛ فما ينقلب إلاّ ظافراً بكل شيء.

فقال له المولى **أبو حمو**: أما على وجه المحاسنة، وصلاح الإسلام؛ حسبما فعل ذلك من غير ملام؛ وإن كان على جهة الاستعلاء، والمفاخرة؛ فليس إلا المكافحة، والمناكرة؛ والرد لما بدأنا به للأخرة. فقال الرسول: إنما جئتك بما في غرض مولاي؛ وهذا نعم

الرأي ؛ وليست الرغبة إلا في حقن دماء المسلمين ؛ بين **بني عبد الواد**، **وبني مرين.** فقال له المولى **أبو حمو**: قد أجبتك له بالإسعاف ؛ فأعمل على المسير إليه ؛ لعل الله يخمد جمرة الاختلاف. ولما انقضى مجلس الرسول المذكور ؛ أمر له بكسوة سنية، وأعطاه ـ من الذهب ـ ما بلغه الأمنية ؛ ثم انصرف الرسول المذكور إلى مولاه. وأخذ المولى **أبو حمو** ينظر في شأن الصلح، وما به ؛ ثم أخذ في إرسال هدية سنية ؛ مع ولده الأمير **أبى تاشفين** ؛ وصُرِفْ إلى **أبى سالم** ؛ سلطان **بني مرين**. فكان إتيانه [1] في شهر صفر ؛ من العام المذكور. وفيه انصرف على المولى **أبى حمو** المنصور.

***

[1] في الأصل: ((إتيان)).

ذكر
سفر الأمير /48و/ أبي تاشفين في شأن المصالحة
إلى سلطان بني مرين

ولما انصرف الرسول؛ الذي تقدم ذكره؛ في شأن الصلح؛ الذي رجى خيره. أخذ المولى **أبو حمو** في شأن صرف ولده، وقطعة كبده. جهز له مائة حصان؛ من العتاق؛ وما يوافقها من الذخائر والأخلاق؛ وصرف معه وزيره **عمران بن موسى**؛ نائباً عنه، وقاضي الجماعة **بتلمسان**؛ **أحمد بن الحسن**؛ شاهداً على ما يسمع منه. ولما انفصلوا عن الحضرة **الزيانية**، واتصلوا **بالأحواز الفاسية**؛ وصل التعريف بهم للسلطان **أبى سالم**؛ بأن الأمير **أبا تاشفين**؛ جاءه رسولاً من المولى **أبى حمو**؛ الملك الحازم. فأعد له خير دار للكرامة، واحتفل له احتفالاً يليق بالإمامة. ثم وجه من وجوه حضرته؛ من يليق للقائه؛ وعمل على راحته واحتفائه. ولما دخل **فاس** البيضاء[1]؛ وجد الخدام قد استعدوا للقاء، وأظهروا النخوة والمباهاة، والبذخ في كل الحالات. ثم دخل على **أبى سالم**؛ وهو بسرير[2] ملكه منتظماً في جوهر سلكه؛ فسلم عليه أحسن سلام، وتلاه من تبعه على ذلك النظام. فأظهر له من القبول سنى له البشرى، ومن الإيناس ما هو أعظم وأسدى. ثم

[1] في الأصل: ((البيضا))؛ بدون همزة.
[2] في الأصل: ((بسريره)).

أمره ـ ومن معه ـ بالنزول والراحلة ؛ ليكمل له غاية انشراحه. ثم أجرى عليهم النفقات، ووالاهم أجمل الموالاة.

وبعد ثلاثة أيام ؛ أحضر عيون حضرته، وأنجاد قبيله ونصرته ؛ ثم بعث إليه ومن معه. فيا حسن ما صدر عنه، وما صنعه. ولما دخل عليه ؛ رحب به ترحاب الملوك الكرام، وأنَّسه بالمجلس ؛ باللين من الكلام. ثم قال له : يا **أبا تاشفين** ؛ ما تريد أن يسعفك به **بنو مرين**. فقال : يا أيها الملك السعيد ؛ إن مولاي وجهني للمصالحة والتسديد، والكف عن المفاتنة، والجنوح إلى المهادنة ؛ وأن يكون القبيلان يداً واحدة على الكفار، وحماة لدين الله، وإخواناً للانتصار ؛ فإن الصلح مندوب إليه شرعاً، والخلاف منهي قطعاً، ويد الله مع الجماعة. ثم تكلم الفقيه /48ظ/القاضي المذكور ؛ ما استحسنه الجمهور ؛ ثم تكلم الوزير بما يليق من الكلام. ودار الكلام بين الوجوه الأعلام ؛ حتى رقت نفوس **بني مرين**، وتعجبوا من فصاحة الأمير **أبى تاشفين**. ثم أخذ السلطان **أبو سالم** ـ مع **بني مرين** ـ يُلين قلوبهم بالكلام اللين المعبر. ثم تمادى الكلام إلى أن[1] أخذ المجلس حقه، وأظهرت النفوس تلطفاً ورقة. ثم سكتت الأصوات، وطمحت العيون **لأبى سالم** بالاتفات ؛ ينظرون ما يصدر عنه، وما يسمعون منه. فقال السلطان **أبو سالم** : يا **بني مرين** ؛ أنظروا ما في السلطان **أبى حمو** من الرقة واللين ؛

---

[1] كلمة: ((أن)) غير موجودة في الأصل.

جنح ـ بنفسه ـ للمصالحة، والمهادنة، والموالاة، والمحاسنة؛ مع قدرتنا عليه. فنعم ما فعل، وما ندب إليه؛ ولو بقي شره، وحقده؛ لم تقدروا على نكاله وصدّه. وهذه سير الملوك الكرام، والمحاولة التي تصدر من ملوك الإسلام. ثم عطف على الأمير **أبى تاشفين**؛ وقال: يا **عبد الرحمن**؛ قد أسعفك ـ بما تريده ـ **بنو مرين**. يا **عبد الرحمن**؛ فمن علينا بكل ما تطلبه لدينا. فقال: يا أمير المسلمين؛ إبرام عقد المصالحة، والإمساك عن المكافحة؛ وأن تسرح من في سجنك من **بني عبد الواد**. وهذا غاية المراد. فقال له السلطان **أبو سالم**: لك ما تمنيت علينا؛ كرامة لوصولك إلينا. فقال له: يا أمير المؤمنين؛ شكر الله أياديك، وحمى ناديك. ثم انعقد الصلح على ما قالاه، وانبرم الأمر الذي تمناه. ثم أن **أبا سالم** أعطاه عطية سنية، واستصحبه على المصالحة بهدية، وأفرغ على الوزير والقاضي كسوتين، ووصلهما بما أرضاهما من العين. ثم بعث على هديته **وانزمار بن عريف ومحمد بن نوار**. ثم ودّعوا **أبا سالم** بأجمعهم؛ وقفلوا بالهدية إلى مرجعهم. ولما حلّوا **بأحواز البلاد التلمسانية**؛ ومعهم رسولاً للخلافة الإبراهيمية[1]؛ وصل التعريف للمولى **أبى حمو**؛ بوصول الجميع لأول البلاد؛ بعد أن وصله الخبر بنيل الأمل، وبلوغ المراد. فصنع بروزاً عظيماً لقدوم ولده؛ استبشاراً بما نال من مقصده، وتعامل بأول رسالته. وظهرت له

[1] نسبة إلى السلطان المريني أبي سالم الذي يسمى إبراهيم.

/49و/رايات النصر وغايته. فكان لدخوله بروزاً عظيماً، وصيتاً جسيماً؛ فرعت آيات ـ لذلك ـ الأولياء. وشرفت الأعداء؛ تم للرسولين دار كرامة تليق بهما؛ نزل على بلوغ أربهما؛ فأكرمهما أجل إكرام، وقابلهما بما تقابل به الإرسال أولى الإكرام. وعندما سلموا عليه؛ أقبل عليهم إقبال السّار؛ وقال: مرحباً برسولي خير الملوك الأحرار؛ ثم إنه استحضرهما[1] ثلاثة أيام، وعمل لهما مجلساً حفيلاً للكلام؛ وسألهما عن سلطانهما؛ سؤال الإيناس، وجالسهما بما يليق بوجوه الناس. فأخذا ينطقان على حسن اقتضائه في المهادنة، والكفّ عن المفاتنة؛ وعرفوه على استحسان سلطانهما لهذه الفعال. وأخذ ـ معهم ـ في القيل والقال؛ ثم انجر السؤال عن ثمرة الرسالة، وعن سر العجالة؛ فأخبروه بأجمعهم بالموالاة، وثبات الصلح على أتم الحالات؛ ثم دفعا له هدية السلطان **أبى سالم**؛ وتحدث إرساله بما رأوه من المكارم. ثم قال الرسولان: إن صاحب القلم الأعلى سيرد عليك؛ لتمام عقد المصالحة؛ وبما يسرك من الأمور الناجحة؛ وإنما جئناك بالهدية، وبالبشارة على هذه الموالاة السنية؛ فأضل عليهما أتم أفضال. وأنالهما أجزل نوال. ثم انصرفا عنه؛ قريرا العين مسرورين بالمراكب، والكسا، والعين. فكان وصول الجميع؛ في أوائل جمادى الأولى من العام المذكور؛ وانصراف الرسولين على الأثر؛ بما نالا من السرور. وفي

---

[1] ربما سقطت كلمة: ((بعد)) هنا.

أوائل جمادى الثانية وصل الفقيه **أبو القاسم بن رضوان** صاحب الإنشاء **لأبى سالم** السلطان؛ بعثه لتملكة الإشهاد؛ على المولى **أبى حمو**؛ ملك **بني عبد الواد**. ولما حلّ هذا الرسول المذكور بحضرة **تلمسان**؛ أنزله المولى **أبو حمو** بدار الكرامة؛ كما فعل بمن تقدمه من الإرسال ذوي الإمكان؛ لأن ابن رضوان هذا [درة][1] كتاب **الأندلس**[2] **والمغرب**، وصاحب الإنشاء المطرب المعجب؛ بعثه سلطانه /49ظ/**أبو سالم**؛ للمباهاة، ولإعظام هذه المصالحة، والموالاة؛ لتغرب ذكائه وفطنه، وتقربه منه ومكنته.

ولما حضر مجلس المولى **أبي**[3] **حمو**؛ بعد[4] ثلاثة أيام؛ أخذ معه في مجال الكلام، وسأله عن سلطانه سؤال الندام؛ فأجابه بخير وعافية، وما ينبغي أن يقال لأولي الخلافة السامية. ثم قال **ابن رضوان** المذكور: إن مولاي **أبا سالم**؛ قد استحسن منك هذا الصلح؛ ونعم الفعل المشكور؛ وأنه قد بعثني إليك لأكمل عقد المصالحة، وأشهد عليك بهذه الفعلة الصالحة. ثم قال له: لك ذلك. ثم أمر بأن تكتب العقود؛ بنظير ما شهد به على السلطان **أبى سالم**؛ وأن المولى **أبا حمو** قد رضي بالشروط اللوازم. فكتبت العقود بمحضر الفقهاء، والملأ من **بني عبد الواد** الكبرا، وأرباب المشورة، والوزراء. وشهد على المولى **أبي حمو**؛

[1] لم تفهم الكلمة المكتوبة هنا. وواضح أنها صفة مدح؛ صاغها صاحب الكتاب في حق ابن رضوان؛ ويمكن أن تكون مثلا: ((درة))
[2] في الأصل: ((الأندلوس)).
[3] في الأصل: ((أبو))؛ وهو خطأ.
[4] في الأصل: ((بعث))؛ وهو تحريف.

بمثل ما شهد على **أبى سالم**. وكمل الصلح على يد الفقيه **أبى القاسم**. فأخذ العقود في يده نائباً عن سلطانه، ساراً بما فتح الله للفريقين من إحسانه. ثم إن المولى **أبا حمو**[1] أمر بكسوة سنية للفقيه؛ ومن العين ما ارتضاه، ومن يليه؛ ثم ودعه، وانصرف **لغربه**. وقد سنّ الله للمولى **أبى حمو** ما أراد من مطلبه؛ فلم تزل المحاسنة، والمداهنة، والموالاة، والكفّ عن المفاتنة؛ إلى أن أراد الله سبحانه بالهرش،[2] والتشاجر، والإحْنَة[3] والتآمر. وذلك بسبب بقاء **الجزائر ووهران**. وسيأتي خبرهما إثر هذا المكان. فكانت الهدنة أربعة أشهر كاملة؛ نال كل واحد؛ من الصلح أمله؛ إلى أن وصل **عمر بن عبد الله** وزير **أبى سالم** لأمر حدث من جهة المظالم. إعلم أن السبب الذي جاء لأجله **عمر بن عبد الله** الوزير **أبي سالم**؛ لأمر حدث من جهة المظالم. اعلم أن الذي جاء لأجله **عمر بن عبد الله** الوزير؛ هو بقاء **بني مرين بوهران والجزائر**؛ لأمر أراده النافذ البصير. وذلك أن السلطان **أبا سالم**؛ لما لم يتأت له الجلوس **بتلمسان**؛ انقلب على عقبيه؛ حين فسّد المولى **أبو حمو**[4] **/50و/**عليه الأوطان. قدّم حفيد المولى **أبى تاشفين**، واشترط عليه شروطاً معروفة، ووصايف في كل عام موصوفة؛ منها أنه استثنى السواحل؛ تبقى على ذمة **بني مرين**؛ وما عدى ذلك؛ لنظير حفيد

---

[1] في الأصل: ((حموا))؛ بالألف وهو خطأ.

[2] يقال: ((الهراش))؛ أي: الخصام والقتال.

[3] الإدْنَة؛ جمعها: إدَن: أي الحقد.

[4] في الأصل: ((حموا))؛ بالألف وهو خطأ.

المولى **أبي تاشفين**. فقبل ذلك منه؛ لموجب الاحتياج؛ ولتعالج نفسه بما يراه من العلاج. ثم أن المولى **أبا**[1] **حمو**؛ استولى على محلة حفيد المولى **أبي تاشفين**، وفرّ هو بنفسه؛ قافلاً **لبني مرين**. استولى المولى **أبو حمو** على جميع السواحل؛ إلاّ **الجزائر ووهران**؛ فإن قائديهما عملا على النفاق، والتجادل. وقالوا: نحن على ما وقع عليه من الاشتراط؛ وأنت ليس لك ـ وإن صالحت ـ إلا ما كان عليه الارتباط. فاستحى المولى **أبو حمو**؛ أن يفسد المصالحة على البلدين؛ بل تركهما لإصلاح ذات البين؛ وصار يدير الأمر بينهما بالمحاولة؛ من غير هوان، ولا منازلة؛ إلى وقت غرامة أحواز البلاد؛ شرع[2] في الغرامة **بنو عبد الواد**. فكتب قواد البلدين المذكورين؛ بما اتفق في هذين الحوزين. فوصل **عمر بن عبد الله**؛ بسبب هذا الشأن. فكان وصوله **لتلمسان** في أواسط شهر رمضان؛ فأنزله المولى **أبو حمو** بدار الكرامة على التضييف؛ في دار الإقامة؛ وهو يحضر معه في كل يوم؛ للمحاولة في الوطنين؛ أن يصيرا كما كان البلدين. فمنع له المولى **أبو حمو** كل الامتناع، وآل أمر الفريقين بهذا إلى الهرْج، والنزاع. فادعى **عمر بن عبد الله** وقوع استثنائها في شرط المصالحة؛ وقال المولى **أبو حمو**[3]: شرطتم على غيري؛ فليس إلاّ الأخذ في المكافحة. وطال الكلام بما أفضى إلى

---

[1] في الأصل: ((أبو)).
[2] في الأصل: ((شرح))؛ وهو تحريف.
[3] في الأصل: ((حموا))؛ بالألف.

الخلاف. وكان بين الوزير **عبد الله بن مسلم** والوزير **عمر بن عبد الله** ما لا يرجع إلى الاتصاف، وإلى المخالفة بعد الإتلاف؛ ولم يزالا على هذا الخصام؛ إلى أن وافى عيد الإسلام؛ بعيد **عمر بن عبد الله** المذكور؛ وانصرف إلى سلطانه. وأخذ المولى **أبو حمو** في الخلاف وشأنه. فكان سفر **عمر بن عبد الله** ـ ثاني يوم عيد الفطر ـ **/50ظ/**حنقاً؛ لما لقي من القهر[1]؛ فكانت الدائرة على أخذ **وهران،** وإعطاء **الجزائر** بالأمان. وسيأتي خبر كل بلد منهما على انفراده؛ وكيف ظفر منهما المولى **أبو حمو** بمراده.

***

[1] تكررت عبارة: ((فكان سفر عمر بن عبد الله ـ ثاني يوم عيد الفطر ـ حنقاً؛ لما لقي من القهر))؛ فوجب حذف ما تكرر.

ذكر
خروج المولى أبي حمو لحصار وهران
وأخذها عنوة بالضراب والطعان

قد تقدم السبب الذي أوجب المنازعة، ودفع للعتاب والمكافحة. اعلم أن المولى **أبا حمو**؛ جمع دهاء الملوك الأوائل، وأتى في أحوال ملاقاته؛ بما لم يكن في حرب وائل. وذلك أنه نظر بعين الرعاية في بقاء هذين البلدين. فرأى أن بناءهما من عمى العين؛ وسبباً للجبن. فأخذ ينظر في تحطيم مادتيهما في الفور؛ قبل أن ينشأ عنهما آفة بعين. وأنه إذا تملكهما كان أقوى لسلطانه؛ وإذا تركهما بقي الخلل في أوطانه. فكان محمي عينه على القذى، وعالما جرحه على الأذى. فكان يطلب السبب؛ للتشاجر بسببهما، ويعتبر ويعتد في خفية إلى حربهما.

فلما صدر عن **عمر بن عبد الله** ذلك المقال، وظهر ـ بسبب الوطن ـ الاختلال. أخذ ثالث يوم الفطر؛ في رمي المضارب؛ بوادي اصطفطيف؛ وترحّل **لوهران** رابع يوم؛ من غير توقيف؛ فنزل **وهران** للثامن من شوال؛ وقاتلها قتالاً؛ أي قتال. صفف على حافاتها المواكب، وأظهر عليها أعداداً وكتائب، وضرب الفساطيط والمضارب. وقبل نزوله عليها؛ أمر بشن الغارات؛ وأظهر لقائدها من الشر إمارات؛ فارتاع أهل **وهران**؛ لإتيانه، وتعجبوا من قوة سلطانه. ولما استقر بالنزول عليها؛ بعث بالإنذار إلى أهلها؛ ليقدموا على خدمته،

وينيبوا إليها. فلم يزدهم الإنذار إلا شرهاً وحدة، ولا إعذار إلا نخوة وشدة. ولم يول عد رأيهم ويقيم حجة الله عليهم؛ إلى أن ظهر منهم حال الخلاف العام، والتمادي على الضلال العام. وعندما يئس من إذعانهم، ورأى شدة اضطرابهم وغليانهم؛ أمر /51و/بقتالهم. فبرزت القبائل، وعمل أهل المحلة أجمع عليهم. وذلك بعد أن أنذرهم خمسة أيام، وطاف عليهم النذير؛ بالتهليل والإحرام. ولما كان في اليوم السادس؛ قاتلهم قتالاً شديداً؛ فلقوا من بأسه نكالاً وتنكيداً. وكان **بوهران** من المقاتلين **الغربية** ما نيّف عن خمسمائة مقاتل؛ دون أهل البلد من الرجال الأماثل، ومن رماة الدخل **الأندلسيين**؛ ما ينيف عن مائة رام، ومن أهل البلد مثليها؛ من كل محدق حام. وكانت مشحونة بالمقاتلين وبالرماة المحدقين؛ فلقي أهل المحلة من بلائهم محنة. بذلك توغلت القلوب لهم أحنة؛ فأقام القتال عليها؛ من حين طلوع الشمس إلى نصف النهار؛ والأمر لا يزيد إلا شدّة في الإقهار. والمولى **أبو حمو** مسامت لأقوى موضع بها؛ لم يتأخر عن حربها؛ إلى أن تكاسل[1] الجيش على النهوض والاقتصار. ووقع الإعياء والملل، وظهر في المقاتلين الفشل. والمولى **أبو حمو** ـ مع ذلك ـ لا يزيد إلا اقتحاماً، ولا يرضى براياته إلا إقداماً؛ إلى أن[2] حان وقت صلاة الظهيرة؛ وطلب

[1] في الأصل: ((تكاتل))؛ وهو تحريف.
[2] لم تكن في الأصل كلمة ((أن))؛ فأضفناها.

الناس الانفصال للجيرة[1]؛ بعد أن أقيمت السلاليم لازدحام الناس عليه؛ قلل الأمن عند ذلك للفشل المشار إليه. وما انفصل هذا الاقتحام إلا والكناين خالية من السهام. فأمر ـ عند ذلك ـ المولى **أبو حمو** بالانفصال؛ ليستريح الناس من الكلال، ولقائها في غد بأشد من هذا القتال؛ وإلا أن يذيقهم أشد النكال. ولما انفصل من القتال إلى مضاربه محتنقاً؛ إذ لم يتصل بمآربه. فأمر بترحيل الأخبية البعيدة؛ ونزولها على جانب الحفير؛ وأمر بالتضييق؛ وعاينوا الهلاك عين التحقيق؛ فأدركهم الرعب؛ بعد أن خالطهم العجب؛ فندموا على إساءتهم، وخمدت نار شرارتهم؛ وجعلوا يلقون بأنفسهم من أعلا الستائر؛ يطلبون الأمان عن الأهل والعشائر. فبينما المولى **أبو حمو** بمضاربه يستريح؛ /51ظ/إذا بالضجيج، وأهل المحلة تصيح؛ فبعث فتاه لالتماس الخبر؛ فأخبره أن أهل **وهران** أسلموا بأنفسهم؛ من الأسوار استسلام الأسر. وعندما عاين **الفاسيون** خذلان الحضر؛ لجئوا إلى القصبة بالمفر؛ يطلبون التحصن بها والنجاة. وهيهات أن ينتصر المخذول هيهات. فجعل أهل المحلة يطلعون الأسوار، وينادون بالإنتهاب للديار؛ وتصعبت الباب عن الانفتاح، واشتد الضجيج والصياح؛ فكان دخولها عند آذان العصر؛ وأقام النهب فيها إلى غد؛ وقت صلاة الظهر. وذلك يوم الثلاثاء السادس عشر لشوال. عصمها الله من المخالفة؛ في جميع

[1] هكذا.

الأحوال. فلما تملكها؛ أخذ أهل القصبة يطلبون الأمان، ويبعث قائدهم؛ **علي بن أجانا**؛ يرغب منه الامنان. فبات **ابن أجانا** ليلته تلك في القصبة؛ لا يعرف مآله؛ كيف يكون في هذه الغلبة؟ ولم يزل الرسول يتردد في مسألته؛ إلى أن ألحق بالأمان ـ مع دخلته وسائر أهل القصبة ـ على حكم الأسار؛ كما سبق عليهم؛ في حكم الأقدار. فأمر بقتل أربعة من الخدام؛ تقدمت لهم الجناية، وقطع أيدي ثلاثة على النفط والرماية؛ فإنه كثير ما أضر الناس النقط والرماية؛ فإنه كثير ما أضر بالناس النفط والرماة؛ ونهوا فلم ينتهوا؛ فحلت بهم الآفات.

وعند افتتاحها؛ جاءه أهل **الغنجير** حصن المرسى الكبير[1]؛ على جهة الخدمة؛ بعد أن منعوا منه؛ بسوء التدبير؛ فسلسل الأسرى المأخوذين **بوهران**؛ وألحق أهل الحصن بهم؛ بذلك المكان؛ ولولا أن العفة **الزيانية** شملتهم، والألطاف الربانية سخرتها؛ فأنقذتهم؛ لكان خبرها أعجوبة في البلاد. ولفني أهلها ليوم التناد. فإن القوم أغلظوا في السباب، واشتطوا في الحنق والإلتهات[2]. ثم أن المولى **أبا حمو**[3] ترحل في اليوم الثاني من أخذها؛ عاملاً على **تلمسان**؛ ظافراً بما رامه؛ من مطلب **وهران**. فلم يبرد غليله؛ إلاّ بهدم سور قصبتها، وأسر حماتها

---

[1] لم نتعرف على هذا الحصن بالضبط. أما المرسى الكبير فهو معروف الآن بهذا الاسم؛ وهو من أهم الموانئ العسكرية المحصنة في شمال إفريقيا.

[2] إلتهى الرجل بالشيء: لعب به في لهو.

[3] في الأصل: ((حموا))؛ بالألف؛ كالعادة في الخطأ.

ونكبتها. /52و/وفي ذلك يقول الفقيه الأديب **أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي** أحد شهود بيت ماله[1].

بسعدك الجاريان الدَّهر والقدر   وباسمك الغالبان النصر والظفر

من بعض أنصارك السعدالمكين ومن   خدامك الماضيان البيض والسمر

بيمنك الفلك الأعلى جرى وعتا   بجودك الأجودان البحر والمطر

فأنت أعلى ملوك الأرض قاطبة   ودونك النَّيِّرَانِ الشمس والقمر

لك الملوك فعن علياك قد عجزوا   وصدّهم طائعان العجز والخور

فبسط كفك فيه برق سيفك قد   تآلف النافران الماء والقفر

لله ملك مليك [راعٍ][2] وَرَوَّعَني   في الحرب عمرو[3] وفي محرابه عمر[4]

نبارك الأرض لو في الأرض من نَدِيٍّ   لم تذبل الناعمان الورد والزَّهَرُ

وواضح البشر لو في البدر منه [سنى   يجلي بها مركبين : الأرض والسرر][5]

---

[1] هذه القصيدة الرائية؛ نظمها الشاعر في البحر البسيط؛ بتفعيلته الأصلية؛ في كل شطر: (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن)؛ ويجوز مقابل: (مستفعلن = مفاعلن)، ومقابل (فاعلن = فَعِلُنْ). كما يجوز في العروض (فِعْلُنْ)، وفي الضرب (فَعِلُنْ فِعْلُنْ). والشاعر محمد بن يوسف القيسي شاعر مجيد؛ ولكن هذه القصيدة نسخت للأسف بقلم رديء؛ الأمر الذي أفسد رونقها.

[2] كتب في الأصل: ((أوزع))؛ وهذا تحريف لكلمة أخرى قالها الشاعر؛ لأن ما ورد في الأصل يخل بالوزن. وعليه فقد وضعنا بين حاصرتين كلمة [راع]؛ ليستقيم الوزن والمعنى.

[3] أي: عمرو بن العاص.

[4] أي: عمر بن الخطاب.

[5] للأسف؛ قلص الناسخ ما يمكن جذْبُه من هذه القصيدة؛ إذ شوّه كلماتها، وأخل بوزنها؛ حتى أن القارئ يعجز عن فكّ شفرة الكلمات؛ ويفاجأ ـ بين الحين والآخر ـ بخلل؛ يسقطه في فجوة عتماء، أو يصدمه بحاجز عصي؛ يمنع متابعة تسلسل معاني القصيدة. لذا لم أجد بداً من محاولة نظم كلمات وعبارات بديلة؛ لعلها تساعد القارئ على متابعة قراءة هذه القصيدة. وعليه؛ فكل ما يعترض القارئ من عبارات أو كلمات بين حاصرتين فهي من صياغة صاحب التحقيق؛ ونرجو من الله التوفيق.

ولـو أجيرت قلـوب العاشقيـن بـه   لم يسبها الفاتنان: الغنـج والحَور
[أجبتنا][1] بالغنى والأمن فاندفعت   عناية [الشقوتـان][2] الفقـر والحـزر
فالجود يأتي على الأقوام منسكـب   والأمن ظِـلٌ على الإسلام منتشـر
[تغـدو الفضائـل كلهـا لـه فجرى][3]   من وجهه البدر أو من كفه البذر
يلـقى الجفـاة ببشـر إثـره كـرم   كذلك الغيث إثـر البـرق ينهمـر
وإن تبســم بُشِّرْنَـا بكـلِّ غـنـى   كذلـك النـور يـأتي بعـده الثمـر
هـدى يغمراسـن المـولى وسيرتـه   [تسمو جلالا وتروي ذكرها السيرا][4]
فمن معاليه في جيد الزمـان حـلي   ومن مساعيه في طرف العلى حور
للنصـر ريــح رجـاء لا تفارقــه   تـروح [القـوم في نصـرا][5] وتبتكـر
ريـح ولكنهـا روح إذا ابتـدرت   رأيـت راياتهــا للفتــح تبتــدر
[أجرت][6] قلوب الأعادي في متابعة   كأنمـا كـل قلـبٍ؛ طائــرٌ [ذعــر][7]
لــه جيــوش لهــا نــار مضرمــة   وقودهـا الناس لكن من لـه ضـرر
/52ظ/نعم وفيها لمـن والاه منفعـة   كالسحب يوجد فيها النـار والمطـر
يقودهــا ملك في بـــردةٍ ملــك   في درعــه أسـد في تاجــه قمــر

[1] كلمة ـ في الأصل ـ غير واضحة؛ فعوضناها بكلمة بديلة.
[2] في الأصل كلمة غير مفهومة؛ فوضعنا كلمة بدلاً منها بين حاصرتين.
[3] تعذر قراءة ما كتب في هذا الشطر. وعليه فقد عوضناه بما ورد بين حاصرتين.
[4] جاء هذا الشطر في الأصل هكذا: ((أبدى محيانا فسرت منهما السير)). وهذا مما حرفه الناسخ. لذا فقد وضعنا شطراً بدلا منه؛ كما ورد أعلاه.
[5] ما بين حاصرتين وضع في مكان عبارة غير مفهومة في الأصل.
[6] الكلمة ـ في الأصل ـ غير مفهومة؛ فعوضت بما ورد بين حاصرتين.
[7] ما بين حاصرتين؛ وضع في مكان كلمة غير واضحة في الأصل.

ملـك بهمتـه العليـا وعزمتـه [ترسخـت وعلـت أركانه الغـرر][1]
عفـّ الإزار مصيب الرأي متكل على الإله بما يـأتي وما يـدر
حامي الديار أبو حمو الذي فُتِحَتْ له البلاد ودان البدو والحضر
مفني العدا فإذا أفنى الأولَى مردوا على النفاق يُثَنِّي فللأولى كفر
من ذي الكتيبة [قد فاضت مناقبه يطري ويثني على أوصافه البشر][2]
معطي الألوف ومطعم الضيوف ومطـ ـعان الصفوف وبادي الحرب تستعر
والخيل كالسيل تحت الليل ترفعها فرسانها ودجى الهيجاء معتكر
والبيض والسمر في الصفين قارئة علم البديـع فمنظـوم ومنتثر
والهام تسقط والألباب طائشـة والأسـد قابلـة للأسـر لا وزر
هناك يحمي حماها بالهمام أبى حموا ويَحْمَرُّ منه الورد والصور
سل عنه وهران هل أجدى تحصنها منه وهل أغنت الأسوار والجدر
كلا لقد حلها إذ حل ساحتها من بعد ما جاءها من عنده القدر
كي يورد الصفو من لم يُحْيِ تكرمة ويوسع العفو من يحيى ويقتـدر
يا غاصبين استحق الدار صاحبها إن شاء عاقبكم أو شاء يغتفر
هـذا إذا طـرح الجنـاة زلتهـم[3] وعـاد بالعفـو شهـرا[4] ذلك العبر

[1] ورد هذا الشطر في الأصل هذا: ((يستجاب النفع أو يستدفع الضرر)). وهذا الكلام الذي نقله الناسخ ـ طبعاً ـ غير موزون، ولا مفهوم. لذا فقد عوضناه بما ورد بين حاصرتين؛ لتقريب المعنى المقصود إلى القارئ.
[2] ما ورد بين حاصرتين في هذا البيت؛ وضعناه؛ بغرض تعويض الكلمات المشوهة التي تعذر فك طلاسمها.
[3] رسم هذا الشطر في الأصل هكذا: ((هذا أمن جانا جنى بما جنى عبرا))؛ ونظرا لغموضه، والتحريف الذي أصاب كلماته؛ عوضناه بشطر آخر ورد بين حاصرتين.
[4] هكذا.

والحمد لله حمد الشاكرين على فتح تليه فتوح جمة أخر
والأرض أبدت لهذا الفتح زينتها بشرا وأشرقت الآمال والكبر
فأنظر إلى الروض تهتز الغصون به عُجْباً ويضحك في أرجائه الزهر
وللربيع على أعطافه حلل مرقومة كلَّلَتْها للندى درر
تستبشر الناس حتى قلت أنهم نشاهم المطر بان الكأس والوتر
هذا الذي كانت العليا [تؤمله][1] هذا الذي كان كل الناس ينتظر
/53و/أقدم على فرص الآمال منتهزا يحصى بها بَشَراً ما نالها بشر
بادر كما تُرْتَجى بالسعد مبتدراً ومرْ بما تشتهي فالدهر [مبتكر][2]
والنصر بينهم يهفو به سلم وأنت معتصم بالله منتظر
فانهض بجيشٍ وسعدٍ منك ساعده يا حبذا العسكران السعد والنفر
بسعدكم قدمت كل البلاد لكم لم يعص سيفك لا سهل ولا وعر
سر حيث شئت بعبد الواد [إنهم][3] عربٌ كرامٌ وكل ضيغم هصر
زين الزمان بنو زيان إنهم وأنت بدر علاهم أنجم زهر
آراؤكم وعطاياكم وأوجهكم في الأعصر الدهم من آياتها غرر
إليكم تطمح الأبصار والفكر وفيكم تسرح الأشعار والفقر
ومن يكن فخره بالشعر ممتدحا فبامتداحكم الأشعار تفتخر

---

[1] في الأصل: ((تأمله))؛ وهذا يخل بالوزن.
[2] الكلمة الواردة بين حاصرتين وضعناها بدل كلمة غير واضحة.
[3] في الأصل: ((ما بهم)).

وما عسى أن يطيل المدح ذو لسن ومن يطل فيك مدح فهو مختصر
فكل فخر إلى علياك غايته وكل جود على يمناك مقتصر
إليكما من مجيد خير قافية لو أنصفوها لما فاهوا ولا شعروا
ما كل من يتعاطى الشعر يحسنه كلا وهل تستوي الحصبا والدرر
لازال سعدكمُ ينمي وسيفكم يحمي وجودكمُ يهمي وينهمر
[فقائد][1] الأمر منصور اللواء، لكم بكل أفق ثناءٌ طيبٌ عطر

***

وفي أثناء أخذ وهران؛ اتصل الخبر **بأبي سالم؛** فعض على يديه؛ كفعل النادم؛ وعجب من أفعال المولى **أبى حمو**[2]**،** وجزالته؛ ومن بطشه **بوهران**، وإطالته. فأخذ ـ مع أرباب دولته ـ في شأنه؛ وتعجب من براعته. وقال: إن لم تبادروه **بالجزائر**؛ وإلاّ فيأخذها أخذ المسلط الماهر، ولم يبق لنا معه حرمة، وتفسد الحكمة. ثم وجه **وانزمار بن عريف** ـ على الأثر ـ ليسدد هذا الفتق؛ الذي أفضى إلى الضرر. فكان وصوله في الموفي عشرين من الشهر المذكور؛ لإخماد ما شعل من الفتنة، وإظهار **/53ظ/**السرور. ولما دخل **وانزمار** على المولى **أبى حمو** السلطان؛ استعطفه في حال الأسرى؛ من أهل **وهران**. وقال: يا مولاي بطشت ببلدك، وأهلكت، وغضبت عليها، ثم انتهكتها؛ ثم حلف له أن مولاه **أبا سالم**؛ لم يرد إلاّ ردها إليك؛ وإنه ما كان من اختياره

---

[1] في الأصل: ((قائد))؛ بدون الفاء؛ وهذا يخل بالوزن. فوجب التصويب.
[2] في الأصل: ((حموا)) بالألف؛ وهو خطأ.

حبسها إليك [1]؛ ولكنه كان يحاول قبيله على إخلائها - مع **الجزائر** - ولكن أيها الملك؛ فقد حكم النافذ الباصر. ثم قرر له أن المصالحة باقية؛ على الموالاة؛ ثابتة على جميل أفعالها. ثم حاوله على تسريح **ابن أجانا**؛ ومن معه من حصة المغاربة؛ وضمن له إعطاء **الجزائر**؛ وأن يوفي له مطالبه. فكان وصول المولى **أبى حمو**[2] **لتلمسان** في تاسع عشر شوال؛ وبقي الصلح على ما جرت به الأحوال؛ ثم انصرف **وانزمار**[3] في شأن إعطاء **الجزائر**، وسرح **ابن أجانا**، ومن أخذ من الأسرى المحاصرين[4] بها. وها أنا أذكر إعطاء **الجزائر**؛ على الأثر؛ حسبما ذكر في الخبر.

***

[1] هكذا.
[2] في الأصل: ((حموا)) بالألف؛ وهو خطأ.
[3] حرف هذا الاسم في الأصل؛ فكتب هكذا: ((أونزمان)).
[4] كتب في الأصل: ((المحاصر)).

ذكر أخذ الجزائر صلحاً
بعد قتالها وحصارها مرتين. فتحت له منحاً

قد تقدم أخذ **وهران**، وإتيان **وانزمار**[1] **بن عريف** إلى المولى **أبى حمو**[2] السلطان؛ وأن **وانزمار**[3] تضمن[4] له ـ عن **أبى سالم** ـ إعطاء **الجزائر**، وإبقاء المهادنة؛ على ما استمرت العادة عليه في الظاهر. ولما عاد **وانزمار**[5] إلى سلطانه؛ وأخبره عن أحوال المولى **أبى حمو** وشأنه؛ وأنه ضمن له **الجزائر**. استحسن **أبو سالم** ما تضمنه عنه؛ وبادر بإعطائها؛ أحسن تبادر. وقال إن انتهكت **الجزائر** بسببنا بكلمة سوء؛ تبقي في عقبنا. ويقال إن حلت بهم أزمة من **بني عبد الواد؛** صبروا على خدمته؛ فأسلمهم للأعادي[6]؛ ولا قدرة لنا على نصرتهم. وإعطاؤنا إياها **لأبى حمو**؛ بقاء لحرمتنا وحرمتهم. ثم كتب لقائد **الجزائر** بالشكر على حبسه؛ وأمره أن يسلم **الجزائر لبني عبد الواد**؛ على طيبة من نفسه؛ /54و/وأن المهادنة باقية على حالها، والمحاسنة جارية بجميل أفعالها. ثم وجه كتابه مع **ابن عامر بن فتح الله**؛ وقال له: سر للسلطان **أبى حمو**؛ واعلمه أنّا من **الجزائر** قد مكناه. ولما

[1] في الأصل: ((أونزمان))؛ وهو تحريف.
[2] يبدو أن الناسخ واضب على كتابة: ((حموا))؛ هكذا بالألف؛ وهو خطأ.
[3] في الأصل: ((أونزمان)).
[4] هذا.
[5] في الأصل: ((أونزمان)).
[6] في الأصل: ((للأعاد)).

وصل الرسول المذكور **تلمسان**؛ أخرج معه **محمد بن جابر**؛ من غير تـوان. ثـم كتب المولى **أبو حمو**[1] إلى أبيه المولى **أبى يعقوب؛** بأن يهبط **الجزائر**، ويسكنها؛ فقد بلغه الله منها المرغوب. ولما أخذ المولى **أبو حمو وهران؛** أمر قواده أن يضيقوا على **الجزائر**؛ ويمنعوا الداخل إليها من أهلها، ومن المسافر؛ فنزلت محلاته كلها...[2] بساحاتها؛ واعتزموا على ختلها، وتغالوا بها. فكان عليها من القواد **عمر بن موسى المطهري، وعطية ابن موسى**؛ بالحشد القوي؛ والمولى **أبو يعقوب بمليانة** مقيم بها؛ ينتظر أمر ولده؛ في حصر **الجزائر**، وما يكون من أمر الصلح، وما يصدر من الأوامر. فبينا هو على هذه الحال؛ إذ ورد عليه **محمد بن جابر؛** ببلوغ الآمال؛ وأعطاء **الجزائر**؛ على الخير، والمهادنة، وإبقاء الصلح والمحاسنة؛ ومعه **ابن عامر بن فتح الله**؛ نائب **أبى سالم**؛ بالأوامر لقوادها؛ أن يمكنوها للمولى **أبي يعقوب** الماجد الجازم[3]. فلم يلبث المولى **أبو يعقوب بمليانة** إلاّ ظلام ليلته؛ وفي الغد؛ خرج ـ مع الرسول ـ راحلاً إلى محلته. فعندما اتصل بمحلاته؛ وهم بالثلاثاء من حوز الساحل. بات في المحلة؛ وفي غد؛ طوى **للجزائر** المراحل. فنزل **بخميس** من حوز البلد؛ وسار الرسول، **وابن جابر** إليها؛ ولم يسر معهما من أحد؛ ففتح لهما الباب؛ فتح الموالاة؛ لا فتح الإرهاف.

---

[1] في الأصل: ((حموا)).
[2] وردت في هذا الحيز كلمة غير واضحة. ربما تكون: ((وادٍ)).
[3] هكذا.

وكان قائد قصبتها **علي بن يعلى** وقائد جيشها الوجديجي[1] قريب العهد؛ منذ تولى. فعندما عاينا ثقة مولاهما؛ رفقة المولى **أبى يعقوب** قد حلا بهما؛ أعطوا صفقة أيديهم للإذعان، وتباشروا بالمهادنة وإعطائها على وجه الإحسان؛ فبات الرسولان ليلتهما في البلد؛ **/54ظ/**وقد أراح الله أهل **الجزائر** من الحصار والنكد.

وكان دخول المولى **أبى يعقوب** إليها؛ في غد يوم النزول؛ ناشر الرايات، وضارب الطبول؛ وذلك يوم الجمعة الثالث عشر لذي القعدة. فأزال الله ـ بدخوله ـ الوحشة، والشدة. وعندما سكن دار إمارتها؛ ظهرت آيات الخير بعمارتها. ثم أمر بإخراج **بني مرين**؛ على الأمان، والرعي، والتهدين؛ فنزلوا بمصلاها؛ من الجانب الأعلى. واستولى المولى **أبو يعقوب** ـ ونعم من استولى ـ ثم ترحل **بنو مرين** إلى **تلمسان**؛ وافدين على حضرة المولى **أبى حمو**[2] السلطان.

وكان **بالجزائر** ـ في هذه الأواخر ـ ما ينيف على ثمانين فارساً من **مغراوة**؛ وهم الأشياخ الذين أوقع بهم؛ حين أظهروا العداوة؛ لجؤا إليها للاعتصام، واستمسكوا بطاعة **بني مرين** للاحترام. بلغهم الخبر؛ أن **برشك** أسلمت **لبني عبد الواد**؛ وأن **الجزائر** ترد إليهم على المحاسنة، والوداد؛ ففروا قبل وصول الجهات المضايقة؛ خوفاً من الانتقام. فما أمنوا من إرجافهم؛ إلاّ **ببجاية**؛ لأنها صارت لهم جنة، ووقاية. ولو

---

[1] نسبة إلى قبيلة وجديجن الزناتية.
[2] في الأصل: ((حموا)).

وجدوا **بالجزائر** لانتهكوا، وحاق بهم المكر، وهلكوا. وهذه كيفية **الجزائر**؛ بعد الحصار والتشاجر. وفي ذلك يقول أحد شعراء أهل **الجزائر**؛ مستعطفاً للمولى **أبى حمو**، ومعرفاً بمحبتهم في الباطن والظاهر. وهو **محمد بن صالح البلنسي**[1]:

هنيئا لك الفتح الذي شرح الصدرا   هنيئا مريئاً حلّ ما [أوجب][2] النصرا
فسر لافتتاح الأرض آية وجهة   فلا وجهة بفتحكم [تُرْتضى][3] ثغرا
وصادم بعبد الواد كل عرمرم   فإن لهم أن يحملوا الآية الكبرا
وخوف بهم في الحرب كل مخوف   وشرد بهم قوما لهم أظهروا مكرا
وزلزل بلادا قد أناخ بها العدى   ولم يرقبوا في أهلها [شهورا ولا][4]دهرا
وجيش جيوش النصر من كل فرقة   وضيق على أعدائك البر والبحرا
وهو على متن الزمان مكلكل   فقد نلت ملك الأرض فاستلزم الشكرا
لأنت أمير المؤمنين حقيقة   وخير بني زيان والملك الأسرى
/55و/وأكرم من تأتي الوفود لبابه   وأجزل من يعطي المواهب والخيرا
وأنجز من يحمي ويستملك الورى   وأشجع من هز القواضب والسمرا

---

[1] هذه القصيدة من البحر الطويل؛ بتفعيلات أربعة؛ هي: (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن)؛ يجوز في فعولن = فعول، ويجوز في مفاعيلن = مفاعلن.

[2] كلمة هنا غير واضحة؛ فعوضت بالكلمة الواردة بين حاصرتين.

[3] جاء هذا الشطر في الأصل هكذا: ((فلا وجهة بفتحكم ثغرا)). وهو مختل الوزن. والخلل في التفعيلتين: الثالثة والرابعة. لذا فقد أضفنا عبارة: ((تُبتغى))؛ ووضعناها بين حاصرتين؛ للتصويب.

[4] جاء هذا الشطر في الأصل هكذا: ((ولم يرقبوا في أهلها دهرا)). وبذلك يكون قد أختل وزنه؛ بسبب التفعيلتين: الثالثة والرابعة. لذا فقد أضفنا عبارة: ((شهورا فلا))؛ ووضعناها بين حاصرتين؛ لكي يستقيم الوزن.

وأزكى ملوك الأرض فخرا وخيمة   وأزكى فخارا إن هُمُ ذكروا الصدرا
وأضخم طود فوق صهوة سابح[1]   إذا ما كساه طالبت في الوغى أجرا
مليك إذا شاهدت غرة وجهه   تشاهد نورا ساطعا قد علا البشرا
قضية إسعاد ويمن ورحمة   هو الطائر الميمون لن تزجر الطيرا
عليه إمارات المحاسن والعلى   وآيات مجد لا أطيق لها حصرا
ينيل عديما إن غدا [بعذابه   عتيق عطاء تنجلي دونه البشرا][2]
أمولاي موسى زادك الله رفعة   وعزاً وإسعاداً وأولاكم يسرا
وكن لليتامى والأرامل ملجأ   وخذ بجميل العفو واستعمل البرا
وراعي الرعايا فالرعية حفظها   يقيم بجاه الملك ما لم نرد جورا
وها هي يا مولاي مني قصيدة   أتت بافتتاح الفأل فتح لكم خيرا
بشير بأن الفتح يوم طلولكم   على سدفات القطر حين ترى القطرا
فلا زلت يا مولاي تستعبد الورى   وتستعذب الآلاء[3] والمنح الكثرا
ولا زالت الأيام تخدم جندكم   وتجري على أعراضكم أبداً يسرا
عليكم سلام يفضح[4] المسك نشره   ويزري بأزهار الخمائل ما مرَّا

---

[1] كتبت في الأصل: ((سايح))؛ بالياء. وربما حرفها الناسخ هكذا؛ وليس الشاعر. خاصة وأن الصفة الشائعة للجواد؛ هي: ((سابح))؛ بالباء.

[2] نسخ هذا البيت بشكل رديء؛ بحيث تعذر فهم جل كلماته. وعليه فقد عوضنا الكلمات الغمضة ووضعها بين حاصرتين.

[3] الآلاء هي: النعم. وجاء في قوله تعالى: **(فبأي آلاء ربكما تكذبان)**؛ أي: فبأي نعم ربكما تكذبان.

[4] هكذا. والأفضل هي كلمة: ((يفصح)) بالصاد المهملة؛ لأن كلمة ((يفضح)) بالضاد الموحدة الفوقية؛ تطلق على كشف المساوئ.

متى هدهدت في الأيك أرق حمامة   [تشيد بذكر طالما أثلج الصدرا][1]

***

وفي هذه السنة؛ توفي الأمير **أبو سالم**؛ ونفذ فيه حكم الحاكم. وذلك في الحادي والعشرين لذي قعدة. وانقضت ـ بوفاته ـ تلك المدة. وفيه وصل **علي بن عمر بن عثمان**؛ ابن أخي **أبى الحسن المريني** ـ السلطان ـ **لتلمسان؛** وذلك لسبب يذكر؛ ولدهاء يشهر.

***

[1]هذا الشطر غير واضح في الأصل تماماً. وعليه فقد وضعنا بدلا منه شطراً آخر؛ ووضعناه بين حاصرتين؛ من أجل استكمال الفكرة المبتورة.

ذكر
وصول علي بن عمر بن عثمان لتلمسان
بإشارة المولى أبي حمو السلطان

علي هذا؛ هو **ابن عمر**[1]؛ المعروف **بأبي يزران**؛ ابن أخي **أبي الحسن المريني**؛ **/55ظ/**السلطان. السبب في إتيانه ـ على المذكور ـ المولى **أبو حمو**[2] المنصور. وذلك أن المولى **أبا حمو** لما عاين أحوال **أبي سالم** تضطرب[3]، وموافقته تبعد وتقترب. أخذ في النقض عليه، والتوقيف بما يخيل إليه. فأرسل **لحلي**[4] ـ وهو **بالأندلس** ـ مراراً، وتوعده نصراً[5]، وإظهاراً؛ وأنه يمدّه بالجيش والمال، ويقيمه مما يحتاج إليه؛ حتى يتصل بالآمال. ثم كتب له بفساد المغرب، وركون **أبي سالم** إلى الرّاحات وبانغلاقه باللذيذ المطرب. وعندما قرع سمع حلي هذا الخبر؛ تاقت نفسه؛ بأن يبلغ الوطر. فأخذ في الحركة من **الأندلس** مجتازاً إلى **هنين**. وترك **الأندلس** أثراً بعد عين. ولما حل **بهنين** المذكور؛ بعث أهل **هنين** إلى المولى **أبي حمو**؛ يعرفونه هذا الخبر المشهود؛ فأمر أن (.....)[6] بإنزاله

---

[1] هو في الحقيقة الأمير عبد الحليم بن أبي علي ابن أبي سعيد ابن أبي يوسف ابن عبد الحق. يكنى باسم: حلي.
[2] يكرر الناسخ الخطأ نفسه في كل مرة؛ إذ يكتب كلمة ((حموا)) هكذا بالألف. وهذا في معظم الحالات بهذه النسخة.
[3] حرفت فكتبت: ((تظرب)).
[4] اسم حلي هنا؛ قد يكون اختصاراً وتصغيراً لاسم عبد الحليم.
[5] كتبت في الأصل: ((نضرا))؛ بالضاد الموحدة الفوقية؛ وهو تحريف.
[6] يوجد هنا بياض. ويبدو أن الناسخ كتب كلمة ثم محاها؛ ثم نسي كتابة البديل. وحسب السياق؛ قد تكون العبارة هي: ((فأمر عامله بإنزاله...))؛ خاصة وأن كلمة أمر في الأصل كتبت محرفة هكذا ((عامر أن..)). وهذا يعني أنه شرع في كتابة كلمة ((عام..))؛ ولكنه خلط بين كلمة أخرى (أن)...

من الحين الذي جاء فيه؛ ثم أردفه بفرسان أخر، وبما يركب هو ومن معه ومن يصافيه. ثم وجه وجوه حضرته؛ يقدمون معه؛ تنويهاً له؛ ليظهر الجميل؛ من نصرته.

ولما وصل دار الخلافة **تلمسان**؛ ودخل على المولى **أبى حمو** السلطان؛ لقيه بالترحاب، وأظهر له بشاشة الأوداد[1] الصّحاب؛ ثم أمر بإنزاله ـ ومن معه ـ بديار الكرامات؛ وأمر أن تجري لهم النفقات؛ في زمن الإقامات؛ وحفل بمجالسته ـ في كل يوم ـ مجالسة الإيناس؛ ويأخذ معه في أحوال **المغرب وفاس**؛ وهو ـ مع ذلك ـ يُجَهِّز له المحال؛ وييسر له البِدَر[2] من المال؛ ثم كساه كسوة سلطانية، وأعطاه عطية **زيانية**، ثم كسا دخلته، وركبهم؛ على حسب الطباق التي كان يلي بها رتبتهم. فاتفق أن توفي **أبو سالم**، ونفذ فيه حكم الحاكم؛ واتفق ـ أيضاً ـ أن وصلت حصة **الجزائر**؛ صحبة **علي بن يعلى**؛ لّما عليها المولى **أبو حمو** استولى. فكان جملة الحصة: ثلاثمائة فارس؛ بين مترجل وراكب؛ وجماعة من **بني مرين**. فأقامه /56و/بهم؛ إذ هم من الجانب. فلما سلموا على المولى **أبا حمو**، وبايعوه؛ أمرهم بمبايعة **حلي** المذكور، وأن تطاوعوه؛ فامتثلوا الأمر، وبايعوه للحين؛ واشتد عضده بقبيلة **بني مرين**. ثم أمر له ما يقوم به من الأخبية، وما يقوم به من الطبول

---

[1] الودّ؛ جمعه: أوداد.

[2] البدر مفردها؛ بدرة؛ وهي: عشرة لآلاف درهم. و((بدر من المال)): كمية عظيمة منه.

والألوية؛ وأقام له هيكل الخلافة؛ من كل ما يحتاج إليه، وأعطاه من المال ما يعول عليه.

واتفق أن **محمد بن موسى السبيع**؛ قدم على مولانا السلطان، ومدحه بقصيدة؛ يستعطفه بها، ويعرفه بما بينه وبين **حلي** المذكور؛ ولما شاء الله من المقدور؛ فاستوزره **لحلي** بعد أن أفضل عليه، وبلغه الأمنية؛ فيما قصد إليه؛ فكساه وركبه، وقرنه بوزارة **حلي** وقربه؛ فكان **لحلي** وزيراً وبشرف الوزارة كبيراً. وكذلك؛ قدم **ابن يعلى،** ورتب له ـ من قبيله ـ من رآه أحق بالرتبة وأولى. ثم كتب إلى **عرب سجلماسة**؛ بشأن **حلي** المذكور وأمرهم أن يفدوا عليه. فهذا المهم المشهور. فأتت **الأعراب** من جميع الجهات؛ وأقام على **أبى سالم** هيكلاً عظيماً للشتات.

ولما علم أهل **المغرب**؛ أن **حلّي** حلّ **بتلمسان** وقع الخلاف في **المغرب**؛ في الأوطان. ثم أن **أبا سالم**؛ خلع وغدر، وقتل، كيف قدر. وعندما كملت أسباب الحركة على آخرها، وتجمهرت بأحسن وفدها؛ أخرج له المحلة إلى ظهر **تلمسان**؛ وأمر **بني مرين** أن يخرجوا للسكنى بها في الآن. ثم اختار ـ من عيون جيشه ـ حصة وافرة من **بني عبد الواد**؛ تسير ـ معه ـ حتى يلحق ـ من أواطنه ـ بأول البلاد. ثم ودعه، وخرج معه إلى ظاهر البلد مودعاً؛ **وحلّي** المذكور تحت رايته سامياً مشعشعاً؛ قد أناله المولى **أبو حمو** سبب الخلافة؛ لو أراد له الله ببلوغ الأمل، وسبل الإفاقة؛ لكن القدر حاد عن المراد؛ والأمر لله رب

العباد. ولم يفارقه **/56ظ/**إلاّ بعد أن أوثق من **العرب** الإيمان؛ بأنهم يلحقونهم **بالمغرب**؛ وحيث شاء منه[1] والأوطان. ثم أوصاه بوصايا؛ لو أخذه بالفتح سلطانه، وتوعده النصرة؛ إن نكرته أوطانه. ولما أن حلّ ببلد بأول بلاده، واتصل بوطن أبائه وأجداده؛ رجع عنه **بنو عبد الواد**، وخلفوه مضطرباً على ما يقدم من البلاد.

وقد أردت أن أشمل جانباً من خبر **حلي**؛ بنظم المولى **أبى حمو** الهمام العلي. دعاني لذلك قصيدة **السبيع**؛ والجواب ـ من المولى **أبى حمو** ـ عليها. ومن غير الجواب؛ قصيدة أخرى تنضاف إليها. هذا المولى **أبو حمو** مولعاً بهاتي الأمور؛ وما يروى عنه من خبر مأثور. فإنه صرف همته عن الركون للذات، ومعاطات الخمور والفتيات؛ ونكب عن المشتغلات عن سلطانه، وأخذ فيما تقلده من التشاغل بأوطانه. ثم ولع بالنظام[2]؛ يعبر به عن أحواله، ويبيح فيه جميع فعاله. إذ كان ذلك دأب أئمة المسلمين. ومن خصال رجال الدنيا؛ يتأسى بالأشعار؛ كالأوائل؛ وتلك عادة الملوك الأفاضل. ولموجب ذلك؛ قصده **السبيع** بقصيدته؛ التي أذكرها الآن؛ وأذكر عليها جواب مولانا **أبى حمو** السلطان. ولموجب ذلك؛ قدمت قصيدة **السبيع** عليه؛ إذ الجواب مما

---

[1] هكذا.

[2] أي: بنظم الشعر.

يعنى به، ويلتفت إليه. فمما قاله **السبيع** المذكور؛ وقصد به المولى **أبى حمو** المنصور؛ قوله:[1]

تَطاولَ دائي[2] فاستفزَّ منامي   وطالَ سُهادي واستطالَ[3]سقامي[4]
وحرَّمت[5]سبعاً ليس للنَّفسِ بَعْدها   مقامٌ وطيبُ العيشِ جد حَرام[6]
مَنامي وعَقْلي والفُؤادُ وخبرتي[7]   وقلبي[8]ولُبِّي والْتِذاذُ طَعامي[9]
فيا سائلي عن شرح حالي مبين   كواضح مقباس بقبة سام
طوى الدهر بين الأنام محاسني   وباح بسر واستلام سلام
وأسلمني كل الصديق فما بها   صديق يراعي عهدة الذمام
/57و/فكلهمُ في ودّه مثل ثعلب   وأروع منها بين ثلث أعلام
فكل خليل كنت خاللت لا أرى   عليه ملاما دون كل أنام
وما اللوم إلاّ نحو من ليس يصطفى   إلى نفسه في السلم كل همام

---

[1] صاحب هذه القصيدة هو الوزير المريني محمد السبيع بن موسى بن إبراهيم اليرنياني. نظمها في البحر الطويل (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن) ويجوز في (فعولن = فعول، وفي مفاعيلن = مفاعلن)). لكنه سقط في علة لازمت التفعيلة الرابعة (العروض ـ والضرب) في معظم القصيدة. هذا؛ وقد أورد صاحب بغية الرواد سبعة أبيات من قصيدة السبيع.

[2] في بغية الرواد: ((ليلي)).

[3] نفسه : ((فاستطال)).

[4] في زهر البستان: ((سقام)). وبغية الرواد أصح.

[5] في بغية الرواد: ((حـرَّمَ)).

[6] نفسه: ((مقامٌ فطيبُ العيشِ جد حَرامي)).

[7] نفسه: ((سلوتي)).

[8] نفسه: ((وصبري)).

[9] في زهر البستان: ((سقام)). وبغية الرواد أصح.

فمبلا عليهم بالأمور مجرب يشاركني في حاله بتمام

أقول له من بعد تجهيز رحله مقالة مضنى كالسنينة ظامي [1]

ألا أيها العادي على ضامر الحشى تشابه في مرمى السهام سهامي [2]

إذا حازه الخوف الجزيل كأنما ظليم تعدى عن فريق نعام

بُعَيْد العشا إذ بادر الليل واغتشى عليه مِنَ أنْواحها وسجام

وإلا كقراد الجليبة غايل يلوذ بها من خلفها وأمام

معربدة الأجفان فيها تشازر يصر على أعقابها ويحام

أقام بها المرباع منذ ثلاثة شهورا وأياما لها بتمام

إلى أن تنحت السَّموم [وحرها] [3] وأقلع عنها القيظ بعد أوام [4]

تثنى بها للورد طوراً يرودها [5] وطوراً كهيّام بشرب مدام

[أموسى وحامي القوم والأرض، من به] [6] تسود عولي حمير وجذام

ندا مرتج من فضل جودك نفحة فجبر انصداعي وقت كل زحام

ونظم سلوك المسلمين بالملك يفيض نداه مثل فيض غمام

عسى عاجلا مشتق لاسم ينالها بحلم يداوى منه كل هيام

---

[1] السَّنينَة، جمعها؛ السَّنين: ما يسقط من الحجر إذا حككته.والأرض التي أ ُكل نباتها. وظامي من هو: رقيق، قليل اللحم والدم.

[2] في الأصل: سهام))؛ بدون الياء.

[3] وضعنا هذه الكلمة بين حاصرتين؛ في مكان أخرى لم تكن واضحة.

[4] الأوام هو: العطش.

[5] يقولون زاده، يروده، روداً، ورياداً : طلبه.

[6] هذا الشطر مختل الوزن؛ إذ جاء هكذا: ((أبا حمو الحامي الذمار ومن به)). وعليه فقد لزم تعويضه بشطر سليم، ويؤدي المعنى ذاته.

كعادة قصاد الكرام وهل يرى   كريم ينيل القصد كابن كرام

فإن كان منهم فالقبول تفضل   تنشقت منه عرفه بمسام

فبشراي إني عبدكم وعتيقكم   وملك محياهم ليوم قيام

[أودعهم عند الوداع بتسليم][1]   وكرر لهم بعد السلام سلام

سلام كريم طيب ما ترنمت   طيور وأشجا القلب صوت حمام[2]

وهذا ما نظمه مولانا الخليفة السلطان إمام المسلمين، ومنقذ /57ظ/**بني زيان**؛ جواباً لما بلغه أن **حلي** المذكور تلاشى عليه الأمر بالملك أن يسر الله له المولى الأمور[3]**.** فقال أيده الله:[4]

تَذكَّرْتُ أطلالَ الرُّبوعِ الطَّواسمِ

وما قد مَضَى من عَهْدها المُتقادمِ

---

[1] هذا الشطر مختل الوزن؛ وجاء هكذا: ((وودعهم وادع وقبل بساطهم)). وعليه فقد لزم تعويضه بشطر آخر يصوب الوزن. وقد ورد أعلاه بين حاصرتين.

[2] ذكر يحيى بن خلدون ـ في هذا السياق ـ أربعة أبيات لم يثبتهم صاحب زهر البستان ضمن هذه القصيدة. وقد قال في هذا يحيى بن خلدون في بغية الرواد، ج: 2، ص: 201: ((ومنها يخاطب بريده: وجُزْ بافيافي فَدْفَداً بعد فَدْفَدٍ ـ وحاذرْ ولا لا ترعَوي لمنامِ

فإنْ جئتَ مولانا فحُطّ رحلك ببابهمُ الأعلى وبُثّ سلامي

وناد بأعلى الصوت من بعد ما ترى   مُحَيَّا إمام فوق كل إمام

لموسى تخاضعت رقاب لعزة   فكان لدين الله خير إمام

[3] هكذا.

[4] هذه القصيدة نظمها في البحر الطول (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن) ويجوز في (فعولن = فعول، وفي مفاعيلن = مفاعلن)). وهي موجودة أيضاً في: واسطة السلوك (مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية)، وبغية الرواد. وكتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب.

وقفْـتُ بهـا من بَعْـدِ بُعْـدِ أنيسهـا

بصبرٍ منافٍ أو بشـوقٍ مُــلازمِ

تهيـم بِمغْناهُـمْ وتنْـدُبُ رَبْعَهُـمْ[1]

وأيّ فـؤادٍ بعدَهـمْ غيـر هائِــمِ

تحِـنُّ إلى سَلمَى ومَنْ سَكنَ الحِمَى

ومـا حُـبُّ سلـمَى للفَـتَى بمُسالِـمِ[2]

فَلاَ تَنْدِبِ الأطلالِ واسْألْ عـنِ الـهَوَى[3]

ولا تَغْـلُ[4] في تِذْكـارِ تِلْـكَ المَعالِـمِ

فإنَّ الـهـوَى لا يَسْتَفِـزُّ ذَوي النُّـهَي

ولا يَسْتَبي إلاّ ضَعيـفَ العَزائِـمِ[5]

وكُـلُّ فَـتًى أعْـطَى الغَـرامَ قِيـادَهُ

وبـاتَ علـى ضَيْـمٍ فَلَيْسَ بِحـازِمِ

فما[6] فـازَ بالعَلْيـا سِـوَى كُـلِّ ماجِدٍ

مُشَمَّـرِ ساقِ الجِـدِّ[7] مـاضي العَزائِـمِ[8]

---

[1] في بغية الرواد: ((أهيم بمغناهم وأندب ربعهم)).

[2] هذا البيت غير موجود في بغية الرواد؛ بينما هو موجود في مخطوط واسطة السلوك الخاص بالمكتبة الوطنية الجزائرية، والإحاطة، وزهر البستان. ومعنى أندب ربعهم: أسرع وأحث نفسي إلى ربعهم.

[3] في الإحاطة: ((واسْلُ عن الهوى)). وتندب هنا ليست مثل ((أندب)) السابقة. إذ أن معناها هو: البكاء.

[4] نفسه: ((تَقُلْ)).

[5] في: واسطة السلوك (مخ)، والإحاطة: ((إلاّ الضعيف العزائم)).

[6] في بغية الرواد: ((وما)).

[7] نفسه: ((العز)).

[8] هذا البيت والبيت الذي سبقه سقطا في الإحاطة.

صَبور على البَلْوَى طَهُور مِنَ الهَوَى
قَريب مِنَ التَّقْوَى بَعيد المَآثِمِ
ومَنْ يَبْغِ ذاكَ المَعلوات ونَيْلها[1]
يُساوِي بِحُلْوِ الشَّهْدِ مُرَّ العَلاقِمِ[2]
ولائِمَة لّما ركِبْنا إلى العُلَى
بِحارَ الرَّدَى في لُجَّةِ المُتَلاطِمِ[3]
تَقولُ بإشْفاقٍ أتَنْسَى هَوَى الدُّمَى[4]
وتَنْثُرُ دُراً مِنْ دُموعٍ سَواجِمِ
إلَيْكَ فإنَّا لا يرد[5] اعْتِزامنَا
مَقالَةُ باكٍ أو مَلامَةُ لائِمِ
ألَمْ ترِ[6] أنَّ اللَّوْمَ لُؤْمٌ وإنَّنا
لَنَجْتَنِبُ اللُّؤْمَ اجْتِنابَ المَحارِمِ
فَما بِسِوَى العَلْياءِ هِمْنا جَلالَة
إذا هامَ قَوْمٌ بِالْحِسانِ النَّواعِمِ

[1] في بغية الرواد: ((ومَنْ يَبْغِ إدْراكَ المَعالي ونَيْلها)).
[2] في الإحاطة: ((يُساقُ بِخَلْق الشَّهْدِ)).
[3] في واسطة السلوك، والإحاطة: ((في لجها المتلاطم)).
[4] في واسطة السلوك. ((هوى الدنا)).
[5] في بغية الرواد: ((لا ترد)).
[6] نفسه: ((ألم تدر)).

بُروقُ السُّيوفِ المَشْرَفِيَّاتِ والقَنَا

أحَبُّ إلَيْنا مِنْ بُروقِ المَباسِمِ

((وأحْسَنُ مِنْ قَدِّ الفَتاةِ وخَدِّها

قُدودُ العَوالي أو خُدودُ الصَّوارِمِ))[1]

وأمَّا صَهيلُ السَّابحاتِ لَدَى الوَغَى

فأشْجَى لَدَيْنا مِنْ غِناءِ الحَمائِمِ

((إذا نَحْنُ جَرَّدْنا الصَّوارِمَ لمْ تَعُدْ

لأغْمادِها إلاّ بِحَزِّ الغَلاصِمِ[2]

نُواصِلُ بينَ (....)[3] **والهامِ والطُّلَى**

بِتَفْريقِ ما بَيْنَ الطُّلَى والجَماجِمِ))

فَيرْغَبُ مِنَّا السِّلْمَ كُلُّ مُحارِبٍ

ويَرْهَبُ مِنا الحَرْبَ كُلُّ مُسالِمِ[4]

نَقودُ[5] إلى الهَيْجَاءِ كَلَّ مُضَمَّرٍ

ونُقْدِمُ أقْدامَ الأسودِ الضَّراغِمِ

---

[1] لا يوجد هذا البيت في زهر البستان؛ بينما يوجد في بغية الرواد، وواسطة السلوك (مخ)، والإحاطة. ولكن في غير الترتيب المتبع في بغية الرواد. وعليه فقد أضفناه هنا.

[2] هذا البيت والبيت الذي يليه سقطا في الأصل من زهر البستان، وبغية الرواد؛ وغير موجودين إلاّ في واسطة السلوك، والإحاطة؛ فأضفناهما هنا. ولكن عجز البيت الأول كتبت ـ في الإحاطة ـ هكذا: ((لأغْمَادُهَا الأبْحُرُ الغلاصم)).

[3] هنا كلمة غير مفهومة في مخطوط واسطة السلوك. بينما كتبت في الإحاطة: ((الهند)). وقد ساير حاجيات هذا.

[4] هذا البيت غير موجود في بغية الرواد؛ بينما يوجد في مخطوط واسطة السلوك، وزهر البستان، والإحاطة.

[5] في مخطوط واسطة السلوك: ((نعد)).

وما كُلُّ مَنْ قاد الجُيوشَ إلى العِدَى

يَعــودُ إلى أوْطانِــهِ بالغَنائِــمِ

ونَنْصُـرُ مَظْلومـاً ونَمْنَـعُ ظالِمـاً

إذا شـك[1] مَظْلـومٌ بِشَوْكَـةِ ظالِـمِ

/58و/ ويَأوي إلَيْنا المُسْتَجيرُ ويَلْتَجي

ويَحْميـهِ مِنَّا كُـلُّ لَيْـثٍ ضبـارم

ألَـمْ تَـرَ إذْ جاءَ السُّبَيْـعُ[2] قاصِداً

إلى بابِنَا يَبْغي الْتِماسَ المَكارِمِ

وذَلِـك لَمَّـا أنْ جَفـاهُ صِحابُـهُ

وكُـلُّ خَليـلٍ وُدُّهُ غَيْـرُ دائِـمِ

وأزْمَـعَ إرْسـالاً إلَيْنـا رِسالَـةً

بإخلاص ودٍّ[3] واجِبٍ غَيْرِ واجِمِ

وكـانَ رَأى أنَّ المهَامَـةَ بَيْنَنـا

فَخَلَّى لِذاتِ[4] الخُفِّ ذات المَناسِمِ

وقـالَ ألاَ هَـلْ مِنْ عَليـمٍ مُجَـرِّبٍ[5]

أبُـثُّ لَـهُ مـا تَحْـتَ طَيِّ الحَيـازِمِ

---

[1] في بغية الرواد ((إذا شيك)).

[2] في الإحاطة: ((السُّبَيْعِيُّ)). وهذا أسلم للوزن.

[3] في بغية الرواد: ((بِوِدٍّ جَديدٍ)).

[4] في واسطة السلوك: ((بذات)).

[5] نفسه: ((وقال لأمري من حليم مجرب))، وفي الإحاطة: ((ألا سل من عليم مجرب)).

فَيُبلِّغُ عَـنِّي[1] الآنَ خَيْـرَ رِسالَـةٍ
تـؤدى إلى خيـر الملوك الأعاظـم[2]

على ناقَـةٍ وَجْنـاءَ كالحَرْفِ ضامِرٍ
تَخَيَّرْتُهـا بَيْـنَ القِـلاصِ الرَّواسِـمِ[3]

مـن الـلاَّءِ يظْلِمْـنَ الظَّليـمَ إذا عَـدَا
ويُشْبِهْنَـهُ في جيـدِهِ[4] والقَوائِــمِ

إذا أتْلَعَتْ[5] فَوْقَ السَّحـابِ جَرانُهَـا[6]
تَخَيَّلْتها بَعْـض السَّحابِ الرَّواكِمِ

وإنْ هَمْلَجَتْ بالسَّيْرِ في وَسْـطِ مَهْمَـهٍ
تَـراءَتْ[7] كَمِثْـلِ البَـرْقِ لاحَ لِشائِـمِ

ولَـمْ يَأمَـنِ الخـلاَّنَ بَعْـدَ اخْتِلالِهِـمْ
فأمْسَى وفي أكْبادِهِ أي جاحِـمِ[8]

---

[1] في الإحاطة: ((عنه)).

[2] كتب عجز البيت في بغية الرواد واسطة السلك، هكذا: ((تؤدى إلى خير أعلام الملوك الأعاظم)). وهذا يخل بالوزن.

[3] في الإحاطة: ((تخَيَّرَهَا بين القلاص))

[4] في واسطة السلوك: ((في جريه)).

[5] نفسه: ((أتعلت)).

[6] في الإحاطة: ((فوق السحاب جوابها)).

[7] في: واسطة السلوك (مخ): ((تضاءت)). وفي: الإحاطة: ((نزلت))؛ وهذا يخل بالوزن.

[8] هذا البيت ـ والبيتان السابقان ـ لا توجد في نسخة بغية الرواد؛ بينما هي موجودة في واسطة السلوك وزهر البستان والإحاطة.

((فَقالوا[1] فَحَمِّلْها الحَمائِم قالَ لاَ

لِبُعْدِ المَدَى أوْ خَوْف صَيْدِ الحَمائِمِ

وما القَصْدُ إلاَّ في الوُصولِ بِسُرْعَةٍ

فَقالوا فَحَمِّلْها أكُفَّ النَّواسِم))[2]

فقالـوا[3] لنعـم المرسـلات وإنمــا

لَهـا أَلْسُـنٌ مَشْهـورَة بالنَّمائِـمِ

كتـابي[4] زهـر في كمائـم طرسـه

وبِالرِّيـحِ يُفْشَى سِرُّ زَهْرِ الكَمائِمِ

فَلَـمْ يَلْفَ فيهـا لِلأمانَةِ مَوْضِعـاً

وكُلُّ امْرِئٍ لِلسِّرِّ لَيْسَ بِكاتِمِ

فَحينَئِــذٍ وافَى إلَيْنــا بِنَفْسِــهِ

فَكـانَ لَدَيْنا خَيْـرَ وافٍ وقـادِمِ

يَجوبُ لَنـا البَيْـدَاءَ **قصداً**[5] وَبِشْرُنَـا

يُضِيءُ لَهُ الظَّلْمـاءَ مِنْ كُلِّ عاتِـمِ[6]

---

[1] في واسطة السلوك: ((وقالوا)).

[2] هذا البيت والبيت الذي سبقه غير موجودين في زهر البستان؛ بينما يوجدان في بغية الرواد وواسطة السلوك؛ فأضفناهما.

[3] في بغية الرواد: ((فقال)).

[4] نفسه: ((كَتْبِيَ))؛ بينما سقط البيت كله في الإحاطة.

[5] نفسه: ((طوعاً)).

[6] يأتي هذا البيت في بغية الرواد في غير هذا الترتيب.

طِلابُ العُلَى يَسْري[1] مَعَ الوَحْشِ في الفَلاَ

ويصْحبُ مِنْها كُلّ باغٍ وباغِمِ[2]

عَلَى سَلْهَبٍ ذي صهوتين مطهم[3]

من المقربات الصافنات الصلادم[4]

((إذا شاء أيّ الوَحْشِ أدْرَكَهُ بِهِ

فَتَحْسِبُهُ في البيدِ بَعْضَ النَّعائِمِ))[5]

ويُقْدِمهُ طوعاً[6] إلَيْنا رَجاؤُهُ

حِمايَتُنا إيَّاهُ مِنْ كُلِّ ظالِمِ

ألاَ أيُّهَا الآتي لِظِلِّ جَنابِنا[7]

نَزَلْتَ بِرَحْبٍ في عِراضِ المَكارِمِ[8]

وقوبِلْتَ مِنَّا بالَّذي أنْتَ أهْلهُ

وفاضَ عَليكَ الجودُ فَيْضَ الغَمائِمِ

---

[1] في الإحاطة: ((تسري)).

[2] لم يرد هذا البيت في بغية الرواد. وورد في واسطة السلوك، وزهر البستان، والإحاطة؛ ولكن في ترتيب آخر.

[3] في: الإحاطة: ((ذي صوتين مُطْعَم)).

[4] في بغية الرواد: ((المغربات الصافنات)). وفي: الإحاطة: ((من المُغْربات الصّافنات)). وهذا البيت لم يأت في واسطة السلوك. أما في الإحاطة؛ فجاء في غير هذا الموضع.

[5] سقط هذا البيت في زهر البستان. بينما ورد بالإحاطة في هذا الوضع؛ أما في واسطة السلوك؛ فقد ورد بعد البيت الذي يبدأ بـ: ((طلاب العلى)).

[6] هكذا في واسطة السلوك، والإحاطة. أما في بغية الرواد فكتب ((حباً)).

[7] في: الإحاطة: ((حنانِنا)).

[8] نفسه: ((في عراص المكارم)).

كَـذا دَأبُنـا لِلْقاصِديــنَ[1] مَحَلّنَــا

حِمًى ونَدًى يُنْسَى بِهِ جُودُ حاتِـمِ

/58ظ/وهَذا جَوابٌ عَنْ نِظامِكَ إنَّنا

بَعَثْنــا بِـــهِ كَاللُّؤلُــؤِ المُتَناظِــمِ[2]

ونَحْنُ ذَوُو التِّيجانِ مِنْ آلِ هاشِمٍ[3]

لَعُمرِكَ ما التِّيجانُ غَيْرُ العَمائِمِ

بِهِمَّتِنا العُلْيا سَمَوْنا إلى العُلَى

وكَمْ دونَ إدْراكِ العُلَى مِنْ مَلاحِمِ

شَدَدْنا لَها[4] أزْراً وَشِدْنا بِناءَها[5]

وكم مكثت دهراً بغير دعائم[6]

نَظَمْنا شَتيتَ المجد[7] بَعْدَ افْتِراقِهِ

وكَمْ باتَ نَهْباً شَمْلُهُ دَونَ ناظِمِ[8]

---

[1] في الإحاطة: ((للقادمين)).
[2] هذا البيت غير موجود في بغية الرواد.
[3] في واسطة السلوك، والإحاطة: ((من آل حمير)).
[4] في واسطة السلوك: ((بها))؛ وفي بغية الرواد: ((له)).
[5] في بغية الرواد: ((بناءه)).
[6] نفسه: ((أوثقِ أركانٍ وأقوى دَعائِمِ)).
[7] نفسه: ((شتيت الملك)).
[8] جاء هذا البيت في بغية الرواد في غير هذا الترتيب.

وَرضْنَا جماح[1] المُلْكِ بَعْدَ جِماحِها
فَذلَّتْ وقَدْ كانَتْ صِعابَ الشَّكائِمِ[2]
مَناقِبُ زَيَّانِيَّةٌ مُوسَوِيَّةٌ
يُذَلُّ لَهَا عِزُّ المُلُوكِ القَماقِمِ
يقصرُ عَنْ إدْراكِها كُلُّ مُبْتَغٍ
وَيَعْجَزُ عَنْ إحْصائِها كُلُّ ناظِمِ[3]
فَلِلَّهِ مِنَّا الحَمْدُ والشُّكْرُ دائِماً
وَصَلَّى على المُخْتارِ مِنْ آلِ هاشِمِ
ويَخْتَصُّكُمْ مِنَّا السَّلاَم الأثِيرِ مَا
تَضاحَكَ رَوْضٌ عَنْ[4] بُكاءِ الغَمائِمِ

***

ـ ومن قوله أيضاً أمدّه الله بعزه:[5]

كتمت حبي ودمعي باح كتماني[6]
وزاد شوقي على قيس وغيلان

---

[1] في واسطة السلوك: ((رضنا عياد الملك)).
[2] هذا البيت غير موجود في بغية الرواد.
[3] هذا البيت غير موجود في بغية الرواد؛ بينما هو موجود في واسطة السلوك وزهر البستان، والإحاطة.
[4] في واسطة السلوك: ((من)).
[5] قصيدة (كتمت حبي) هذه؛ وردت في واسطة السلوك (مخطوط)، وزهر البستان فقط ونظمها في في بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن)؛ ويجوز في مستفعل = مفاعلن، وفي فاعلن = فعلن. وفي الأعاريض فَعِلُن. وفي الأضرب فَعِلُن، وفِعْلُن.
[6] في واسطة السلوك: ((كتمت حبي فأفشى الدمع كتماني)).

يا جيرة الحي إني قد قبلت بكم[1]
كم تهجروني كأني مذنب جان
ناديتهم ودموع العين هامية[2]
بأي ذنب رضيت اليوم هجران
يا فتنة القلب كم لي في هواك وكم[3]
أطلت هجري وحالي صار ضدان
الماء والبان يشكو[4] من فراقكم
وحبكم قد رمى قلبي بنيران
كم تهجروني وهجري لا يحل لكم
الموت أهون من بُعْدي وهجران
وإن عزمتم على بعدي فوا أسفا
بان لزمان بحالي أي تبيان[5]
يا أحسن الناس مالي عنك مصطبر
وكيف حبي وحبي اليوم أعياني[6]

---

[1] في واسطة السلوك: ((قد فتنت بكم)).
[2] نفسه: ((هاملة)).
[3] نفسه: ((كم لي لا أواصلكم)).
[4] في الأصل: ((يشكوا))؛ بالألف؛ وهو تحريف؛ وفي واسطة السلوك: ((والنار تشكو)).
[5] نقل هذا الشطر عن واسطة السلوك؛ بسبب الأخطاء الواردة في زهر البستان؛ حيث جاء الشطر محرفاً هكذا: ((بالزمان بحالي أي تبيان)).
[6] ورد هذا الشطر في واسطة السلوك؛ هكذا: ((وكيف صبري وصبري اليوم أعيان)).

أنا جلبت الهوى حتى بليت به

وخاض بحر الهوى قلبي وجثماني

نازعت عيني على ما كان من نظر

فقالت العين أن القلب أبلاني

مهما نظرت إلى شيء أرقبه

يميل نحوكم سري وإعلاني

وهذه حالتي يا جيرتي ولكم

تضاعف الوجد من شوقي وأشجاني

/59و/إني فتنت بذات الخال يا خولي

وعذبت بجفاها العاشق العاني[1]

يا قرة العين كم ترضى تفارقني[2]

رفقا عليَّ أما يكفيك هجراني

رقت[3] لحالي وما قد بان من شغفي[4]

وأعطفت بعد ذاك الهجر سلواني

قالت وحق هواك اليوم ما نظرت

عيناك عيني إلا ذبت من شاني

---

[1] في واسطة السلوك: ((العاشق الفان)).
[2] نفسه: ((يا قرة كم ترضى تفارقني)).
[3] الكلمة في الأصل غير واضحة؛ وكتبت هكذا: ((رقيت))؛ وهو تحريف. وفي واسطة السلوك: ((رثت)).
[4] في واسطة السلوك: ((رثت لحالي وما قد بان من شغفٍ)).

الحب من شيمتي[1] والوجد معرفتي
والصبر نافلتي يا آل زيان
إني شغفت بكم منذ زمان مضى
وأنت لم تدر ما قد كان أجفاني
رقت حشاشة قلبي من هواك[2] وقد
تضاعف السقم في روحي وأبداني
إني وحق حياة الحب ما اكتحلت
والله بعدكم بالنوم أجفاني
ولا شغفت بحسن غير حسنكم
ولا أخذت عليكم في الهوى ثاني
ولا شربت لذيذ الماء من عطش
ولا رأيت جمالا[3] منك خالاني
ولا جلست إلى[4] قوم أحدثهم
إلا حديثك مع قاص ومع داني
إن كنت مثلي فنعم الحب منقسماً
فافعل بفضلك ما أرضاك أرضاني

---

[1] في واسطة السلوك: ((شيمي)).
[2] نفسه: ((هواكم)).
[3] نفسه: ((خيالا)).
[4] نفسه: ((مع)). وهو تحريف. والذي ورد في زهر البستان أسلم.

ضممتها حين زارتني ببهجتها

وقلبها عند ما أدعوه لبّاني

بتنا وبات نعيم الدهر يأنسنا

والعيش صاف وروض الوصل ريان[1]

ولا رقيب ولا واش يطوف بنا

إلا الحسان بأصوات والحان

من كل غانية رقت[2] شمائلها

تزهو على ناعمات القضب والبان

وكل عاطرة فاحت نواسمها

من عنبري ومسكي وريحان

هُمُ سبوني وكم أسبوا لذي خطر

من الملوك وحبي اليوم برهاني

قد كان فيما مضى قلبي وإن جهلت

سر[3] الحباب وكسرى بن شروان[4]

---

[1] حرفت هذه الكلمة في زهر البستان؛ فكتبت: ((زيان)).

[2] في واسطة السلوك: ((راقت)).

[3] نفسه: ((مولى الحباب)). وهذا أصح مما ورد في زهر البستان. والمقصود بمولى حباب: يزيد بن عبد الملك؛ الذي مات حباً بحباب.

[4] هذا الشطر؛ جاء هكذا في زهر البستان. أما في واسطة السلوك فجاء هذا: ((مولى حباب وكسرى نوشروان)).

ذلت لعزتنا[1] أسد الوغى ولقد
يزهوا علينا وأيم الله غزلان
كم من كريم وكم من ماجد بطل
أفنى[2] الغرام وكم من عابد عان
يا لائمي في هوى الغزلان لا تلمن
فما خلا من هواهم قلب إنسان
وهذه قصتي[3] يا عاذلي وكفا
إن الملام قد أعياك وأعياني
/59ظ/ولا جعلت بنات الحي من شغلي
حتى شغفت بقد البيض والزان
وقد ألفت من الهيجاء عاطلة
تشب يوم الوغي والحرب نيران
وقد سقيت كؤوس الماء صافية[4]
وقد حميت بحد السيف أوطاني

[1] في واسطة السلوك: ((لعزتها)).
[2] هكذا جاء في واسطة السلوك؛ أما في الأصل بزهر البستان؛ فكتب: ((في))؛ وما جاء في واسطة السلوك أصح.
[3] في واسطة السلوك (مخطوط): ((صفتي)).
[4] نفسه: ((وكم سقيت كؤوس الموت من بطل)).

وكم قهرت عدواً ظالماً غشماً

يوم اللقاء بأظعان وأطعان[1]

وكم[2] عمرت دياراً قل عامرها

وقد جعلت ديار الإنس عمران

وقد حييت[3] رسوما قل ناصرها

يوم الهياج[4] وكل الناس عاداني

حتى ظفرت بشيء كنت أطلبه

والحمد لله في سرٍ وإعلان[5]

نعم، ولا بد لي من أخذ أرضهم

بالمرهفات وجرد تحت عقبان

حتى أروي سيوفي من دمائهم

ريّ الحجيج إذا حلت بحسيان[6]

وسقط الهام والألباب شائطة[7]

والخيل عارية من غير فرسان

---

[1] في واسطة السلوك (مخطوط): ((بأطعان وأظعان)).
[2] نفسه: ((وقد)).
[3] نفسه: ((وقد أقمت)).
[4] في الأصل بزهر البستان: ((الهيجاء))؛ وهو تحريف يؤدي إلى خلل في الوزن. وما ورد في واسطة السلوك أصح.
[5] في واسطة السلوك: ((فالحمد لله في سري وإعلان)).
[6] نفسه: ((ري الحجيج إذا حلت بغيلان)). أي إذا حلت الحجيج بالمياه الجارية فوق الأرض.
[7] نفسه: ((وتسقط الهام والألباب طائشة)).

والبيض تضرم نار الحرب إن خمدت

والشمس[1] مثل شهاب إثر شيطان

والخيل عابسة كلّت فوارسها

والأرض كاسية ثوبا كعقيان[2]

فما ترى غير أبطال مجدلة

ما بين سهل وأهضاب وكثبان

والأرض هامدة والأسد داهشة

والبيض ضاحكة تزهوا على الزان[3]

هناك يحمي[4] حماها عندما اشتعلت

والأسد ما بين سكران ونشوان

وتضرم الحرب صدْمات يكل لها

ليث[5] الحروب ويغمور بن زيان

ويأخذ الثأر ممن قضى ودنا[6]

ويرجع[7] الشرق بعد الغرب ديواني

---

[1] في واسطة السلوك: ((والسمر))؛ وهو أصوب.
[2] نفسه: ((والأرض كاسية من لون مرجان)).
[3] نفسه: ((والسيف ضاحكة تزهو على البان)).
[4] نفسه: ((تحمي)).
[5] نفسه: ((أسد)).
[6] نفسه: ((ونأخذ الثأر ممن قد نأى ودنا)). وهذا أفضل.
[7] هكذا في واسطة السلوك؛ وهو الأصح؛ لأن ما جاء في زهر البستان هو ((وسيرجع))؛ وهذا يخل بالوزن.

عاد الحديث
إلى حال بن عمر بن عثمان؛ وما آلت حاله إليه؛
بعد أن فارق مولانا أبا حمو السلطان.

وذلك أنه لما أوصلته **بنو عبد الواد** إلى بلاده؛ تاقت نفسه ببلوغ مراده؛ وأيضاً فإنه كان قبل موت **أبى سالم**؛ عاملاً على بلاد أبيه **السجلماسية**؛ فلما مات **أبو سالم**؛ (عاملاً على بلاد أبيه)[1]؛ أضرب عنها، وقصد البلاد **الفاسية**. فلم يزل يعمل الركاب إليها؛ طالباً للاستواء[2] عليها. لأنه لما قتل **أبو /60و/سالم**، وعوض **بأبى عمر**؛ ظن أن يبلغ الوطر. فإن **أبا عمر** هذا؛ قد أشرب في عقله، وظهر عليه ما دل على خبره. وأنه لما أوقفه **بنو مرين**؛ تخيلا؛ حتى ينظروا من يستحسنوه؛ من أبناء ملوكهم المعنيين. فبادر ـ من حينه ـ **فاس القديم**، ونزلها، وحل بأرجائها؛ وما أرجفها، ولا زلزلها. فاستحسن أهل **فاس البالي** فعاله؛ وقالوا هذا يبلغ في **أبى عمر** أماله؛ فأجمعوا رأيهم على أن يبايعوه، وينيبوا إليه، ولا ينازعوه. فخرجوا إليه خادمين، وعلى إمامته عاملين. فبايعوه مبايعة الإسلام، وعلى ما بويع عليه الصلاة وأفضل السلام. وعندما أعطوه صفقة أيديهم، واتخذوه إمامهم، وسيدهم؛ فتحوا له أبواب **فاس البالي**، وولوه أحسن التولي[3]. فسرّ

---

[1] هذه العبارة ـ الواردة بين قوسين ـ تكررت خطأ. ولا لزوم لها في هذا الموضع.
[2] هكذا.
[3] في الأصل: ((التوالي)).

بذلك، وسرّوا به، وجروا على مراده، ومذهبه. فلما دخل البلد، وسكن القصبة، واتخذ الأولياء والنصراء والعصبة؛ والتفت عليه الخدام، ووالته الأيام. فأخذ في شأن **البلد الجديد**، وحصاره؛ وهم أن يأخذ في **أبى عمر** بثأره. فبعث إلى الأحشاد، وإلى القبائل والحماة الأنجاد؛ فولى وعزل، وغيّر وبدّل، وقدّم القواد، وبعث لولاة البلاد؛ وشرع في الرماة، وأخذ في عمل الآلات، وأظهر النجابة، ولبّى الناس دعوته بالإجابة؛ فاهتزّ **المغرب** لسلطانه، وأُبْقِيَ **أبو عمر** ـ عند ذلك ـ بخذلانه. فجعل أهل **البلد الجديد** يعملون على الحصار، ويتأملون ما يصدر عن **حلي** المذكور؛ من النجابة والانتصار. ولما كملت له الأحشاد، وأتته من كل جهة الأعداد؛ حصر **أبو عمر بفاس الجديد**، وظهرت **لحلي** المذكور إمارات التأييد؛ إلاّ أن سوء رأيه؛ دعاه إلى ما فيه هلاكه، ويسره لما فيه انتهاكه. ولما استولى على **فاس القديم**؛ مدّ يده إلى مال أهلها؛ وليس من الطبع الكريم. فعندما عاين أهل **فاس** ما لحقهم من ظلمه، وما قابلهم به في أول يوبة؛ ساءت ظنونهم بخلافته، وطلبوا الوصول إلى أمته[1]. وتلك العادة في العالم؛ أن تشمئز نفوسهم من العادي[2] الظالم. فبعثوا /60ظ/ **لفاس الجديد لأبى عمر**؛ لنصرتهم؛ ورجعوا عن بيعتهم. فعندما علم **أبو عمر**؛ أن إبداءه بالظلامة؛ علم أنه المنصور عليه؛ بغير سهامه. فخرج من حينه لملاقاته، وقصد بساقته

---

[1] يقولون: أمت الشيء يأمته أمتا وأمته قدره وحزره.
[2] أي: المعتدي.

نحو ساقاته ؛ فهزمه، واستولى عليه ؛ وفرّ **حلي** المذكور ؛ خوفاً أن يحمل إليه. فهذا ما كان من خبره، ولا حاجة إلى غاية أثره.

وفي عام ثلاثة وستين وسبعمائة[1] ؛ من هذا العام ؛ وصل **عمر بن مسعود**[2] ؛ كبيرا من **بني مرين** ؛ ممن يعتبر في التصرف بين السلاطين ؛ يطلب من المولى **أبى حمو** المصالحة ؛ عن مولاه، والمهادنة، والموالاة، والمحاسنة ؛ كما تقدمت مع **أبى سالم** ؛ على شروط لوازم.

اعلم أنه ؛ قد تقدم حديث **حلي** ـ المذكور ـ **ابن عمر بن عثمان**، وموت **أبى سالم** السلطان، وتولي أخيه **عمر بن أبى الحسن** ؛ وأنه لم يأت في خلافته بشيء حسن، وأنه لا قدرة له على إخماد الفتن. وعندما عاينته **بنو مرين** ؛ على هذا الأسلوب ؛ خلعوه، وقدموا ابن أخيه **أبى عبد الرحمان** ؛ ليتوصلوا لنيل المطلوب. فقدموا **محمداً**[3] ؛ المدعو **بأبى زيان ابن الأمير أبى عبد الرحمان،** وبايعوه مبايعة ملوك الإسلام، وعلى ما بويع عليه **النبي** صلى الله عليه وسلم. ولما جلس على سرير ملك جدّه، وحكمت الأقدار له بجده ؛ أخذ ينظر في مصالحه وأموره، ويدولب ما يراه من تدبيره. فأول شيء رآه من المصالح، والإتقان ؛ مصالحة المولى **أبى حمو** السلطان. فصرف الرسول المذكور ؛ طالباً لذلك. ولعمري لقد سلك أحسن المسالك.

---

[1] 1361م

[2] هو عمر بن مسعود التيربيعي.

[3] هو أبو زيان محمد بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن. حكم من 763هـ/1361م ـ إلى 767هـ/1365م.

وأما خبر المولى **أبو حمو؛** فإنه لما صرف **حلي** المذكور؛ إلى **المغرب**؛ وكان ما كان من قلة اتصاله بالمطلب؛ وأنه استقر **بسجلماسة**؛ تركه يدولب بها أمر سلطانه. فإنه أوصله إلى أوطانه؛ أخذ ينظر في شأن **أبى عمر** وسلطانه؛ وما يكون من شأنه. فبينما هو مرتقب لخبره؛ إذ أتاه الخبر بخلعه؛ وغيره، وإجماع قبيله على نزعه؛ وأنه عوض بابن أخيه **أبى زيان ابن الأمير أبى عبد الرحمان.** فأخذ أيضاً ينظر ما يصدر عنه، وما يحدث منه؛ وتاقت نفسه؛ **/61و/**بأن **المغرب** تلاشت خلافته، واستمرت بقتل الملوك آفته. إذا[1] أتى مولد **النبي** عليه السلام؛ الذي هو عقده الإسلام. فأخذ في شأن المولد السعيد، واستعد له كما يستعد للعيد. احتفل في النفقات، وأعد الأموال للصدقات؛ ولم يبق شيء يستحسن إلا جمعه، ولا طيِّب من طعام إلا صنعه. أقام ليلة عظيمة؛ جمع فيه الحاضر، والبادي، والمقيم، والغادي. وقبيله على المولى، وجمهور أهل **تلمسان:** الأدباء[2]، والأعلى[3]**.** فكانت ليلة غراء، باهية، وبشرى **النبي** صلى الله عليه وسلم سامية؛ أتت الشعراء بالأمداح؛ فأجاد، ومنح غاية الأمناح؛ فوهب الجزير[4] الوافرة، وأبدى المآين[5] الفاخر.

---

[1] هكذا. والصحيح: ((إذ)).
[2] في الأصل: ((الأدبا))؛ بدون الهمزة.
[3] هكذا.
[4] الجزاير هنا: هي الشياه المذبوحة.
[5] هكذا جمع كلمة المونة التي تجمع على مؤن.

فمما قاله الفقيه الأديب البارع **أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي ؛** أحدث شهود البيت ؛ نفعه الله بها ، وعفا عنه[1] :

ذكِرَ الحِمَى فَتَضَاعَفَتْ أشْجَانُـهُ
شَوْقـاً وَضَـاقَ بِسِــرِّهِ كِتْمَانُـــهُ

دَنِــفٌ تَذَكَّـرَ مِنْ عُهُــودِ وِدَادِهِ
مَا لَـمْ يَكُـنْ مِنْ شَأنِـهِ نِسْيانُـهُ

يَهْفُـو[2] لِبَـرْقِ الأبْرَقَيْــنِ تَعَلُّــلاً
وَالقَلْــبُ مِنْـهُ دَائِــمٌ خَفَقَانُـــهُ

وَيُسَائِلُ الرُّكْبَانَ عَنْ ذَاكَ الحِمَى
فَتُثِيــرُ كَامِــنَ وَجْـدِهِ رُكْبَانُـــهُ

وَيَـرُومُ سُلْـوَانَ الهَـوَى فَيُجِيبُـهُ
أنَّ الُمحِـــبَّ مُحَـــرَّمٌ سُلْوانُــــهُ

وَيَشُوقُـهُ مَرُّ النَّسِيـمِ إذَا سَـرَى
مِنْ نَحْـوِ طَيْبَــة طَيِّبــاً أرْدانُــهُ[3]

[1] نظم الشاعر هذه القصيدة في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)؛ ويجوزفي متفاعل = مستفعلن.
[2] في الأصل: ((يهفوا))؛ بالألف؛ وهو تحريف. وفي بغية الرواد أصح.
[3] طيبة: هي المدينة المنورة.والرَّدَن؛ جمعه أرْدان: الغزل والخز.والـرُّدْن: جمع أردان:أصْلُ الكُم.

أتُرَى أَرَى وَادِي العَقِيقِ وَرَامَـةً[1]

وَيَلُـوحُ لِي رَنْدُ الحِجَـازِ وَبَانُـهُ[2]

وَأُعَاينُ الحَرَمَ الشَّرِيفَ وَتَنْجَلِي

عَنْ قَلْبِ صَبٍّ مُدْنِفٍ أشْجَانُهُ

وَأطُوفُ بِالْبَيْتِ العَتِيقِ وَيَعْتَلِي

بِي لاسْتِلاَمِ الرُّكْنِ شاد..........[3]

وَفَدَتْ عَلَيْهِ رِكَابُ أرْبَابِ التُّـقَى

وَالُمذْنِـبُ الخَطَّـاءُ كَـفَّ عِنَانُـهُ

مَنْ لِي بِزَوْرَةِ رَوْضَةِ الهَادِي الذِي

رَحَمَ الوُجُـودَ بِبَعْثِـهِ رَحْمَانُـهُ

الُمصْطَـفَى خَيْـرُ البَرِيَّـةِ كُلِّهَـا

وَأجَلُّهَـا قَـدَراً تَعَاظَـمَ شَأْنُـهُ

هُوَ خَاتَـمُ الرُّسْلِ الَمكِيـنِ مَكَانُهُ

وَهُـوَ الُمقَـدَّمُ وَالأخِيـرُ زَمَانُـهُ

/61ظ/وَهُوَالذِي مَدَّ[4] النُّبُوَّءَةَ وَالهُدَى

شَــرفٌ حَــوَاهُ فُـؤَادُهُ وَلِسَانُـهُ

---

[1] العقيـق: وادي مجاور للمدينة المنورة. ورامة: موضع بوادي العقيـق.

[2] الرند: شجر من الغاريات، له رائحة طيبة يصلح للتزيين ويستعمل في الطبخ. والبان: شجر من فصيلة البانيات، معتدل الطول، له ورق لين؛ غالباً ما يشبه به الشعراء قد المرأة.

[3] هذا حيز يتسع لكلمة؛ ليست واضحة في الأصلين: بغية الرواد، وزهر البستان.

[4] هكذا في بغية الرواد. بينما كتب في زهر البستان: ((سر)).

عُنْـوَانُ طِـرْسِ الأنْبِيَـاءِ خِتَامُـهُ

وَالطِّـرْسُ يُكْمِلُ حُسْنَـهُ عُنْوَانُـهُ

لَـوْلاَهُ مَا وُجِدَ الوُجُـودُ: سَمَـاؤُهُ

أوْ أرْضَـهُ أوْ انْسُـهُ أوْ جَانِّـهِ

فَجَمِيعُ مَا في الكَـوْنِ كَـانَ لأجْلِـهِ[1]

شَـرَفُ الوُجُـودِ بِـأنَّ فِيـهِ كِيَانُـهُ

فَالدَّهْـرُ أفْـقٌ أحْمَـدٌ إصْبَاحُـهُ

وَالخَلْـقُ جَفْـنٌ أحْمَـدٌ إنْسَانُـهُ

بِعُلُوِّهِ [من] فَوْقَ السَّمَاوَاتِ العُلَى[2]

وَبِقَـابَ قَوْسَيْـنِ اسْتَبَـانَ مَكَانَـهُ

مَـاذَا عَـسَى يُثْـنِي عَلِيـهِ مَـادَحٌ

وَبِمَدْحِــهِ أيضـاً[3] أتَـى فُرْقَانُــهُ

عَجِزَ النِّظَـامُ[4] عَنِ الوَفَـاءِ بِمَدْحِهِ

إذْ لاَ يَصِــحُّ لِنَاظِــمٍ إمْكَانُــهُ

فَأعِدْ عَلَى الُمشْتَاقِ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ

يَـــزْدَدْ بِــهِ إيمَانُـــهُ وَأمَانُـــهُ

---

[1] هكذا في بغية الرواد. بينما كتب في زهر البستان ((من أجله)). وما ورد في بغية الرواد أفضل.

[2] هذا الشطر مختل الوزن.وجاء هكذا في بغية الرواد أيضاً. والخلل في التفعيلة الثانية؛ إذ ينقصها سبب خفيف (/0). وعليه فقد أضفنا كلمة ((من)) بين حاصرتين للتصويب.

[3] في بغية الرواد: ((صاً)).

[4] أي: نظم الشعر.

يَا حَادِيَ الرُّكْبَانِ نَحْـوَ محمـد[1]

تَلْوِي إلَى عَلَمِ اللِّوَى أظْعَانَـهُ

إنْ جِئْتَ أرْضَ مِنًى وَبَلَغْتَ المُـنَى

وَحَلَلْـتَ رَبْعـاً شُرِّفَـتْ سُكَانُـهُ

أبْلِغْ عَنِ المَوْلَى أبِي حَمُّو الرَّضِي

ألمُعْتَـلِي فِي كُـلِّ فَضْـلٍ شَأنُـهُ

أزْكَى سَـلاَمٍ لِلنَّـبِيِّ مُحَمَّـدٍ

كَالـرَّوْضِ صَافَـحَ رُوحَهُ رَيْحَانُـهُ

فَهُـوَ الذِي حُـبُّ النَّبِيِّ وَآلِـهِ

مَـا زَالَ مُنْطَوِيـاً عَلِيـهِ جَنَانُـهُ

كَـمْ قَـامَ مُعْتَنِيـاً بِمَوْلِدِهِ[2] وَكَـمْ

سَهِـرَتْ بِهِ شَوْقـاً لَـهُ أجْفَانُـهُ

يَرْجُـو شَفَاعَتَـهُ وَسَـوْفَ يَنَالُهَـا

وَيَنَالُـهُ مِـنْ رَبِّـهِ رِضْوَانُـهُ

زَانَ الخِلاَفَـةَ بِالمَكَـارِمِ وَالنَّـدَى

مَلِـكٌ، نَمَـاهُ إلَى العُـلَى زَيَّانـهُ

[1] في بغية الرواد: ((نحو مَحَلِّهِ)).

[2] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((بمراده)).

وَحَمَى حِمَاهَا بِالصَّوَارِمِ وَالقِنَى
يَوْمَ الكِفَاحِ إذَا التَقَتْ فُرْسَانُـهُ
((**مُوسَى بْنِ يُوسُفَ لاَ نَظِيرَ لِمَجْدِهِ**
مَجْـدٌ يُزَيِّـنُ حُسْنَـهُ إحْسَانُـهُ))[1]
مِنْ آلِ زَيَّانَ الأُلَى شهدوا زَانُوا[2] العُلَى
والْمُلْـكُ[3] إرْثُهُـمُ وَهُـمْ تِيجَانُـهُ
مَلِكٌ يَسُوسُ بِرَأيِهِ كُلَّ الـوَرَى
فَكَأَنَّـهُ رُوحٌ وَهُـمْ جُثْمَانُـهُ
مَلِكٌ أعَـادَ المُلْـكَ بَعْـدَ دُثُـورِهِ
لَـوْلاَهُ لَـمْ تَثْبُـتْ[4] لَهُـمْ أرْكَانُـهُ
مَلِكٌ وَحِيدٌ فِي المَعَـالِي مَا لَـهُ
إلاَّ المَكَـارِمُ وَالتُّـقَى خِلاَّنُـهُ
مَهْمَا يَجُدْ فَالغَيْثُ دُونَ عَطَائِـهِ
مَا إنْ يُعَـارِضُ جُـودَهُ هَتَّانُـهُ[5]

---

[1] سقط هذا البيت في زهر البستان.
[2] في بغية الرواد: ((زَانُوا)).
[3] نفسه: ((فالملك)).
[4] نفسه: ((يثبت)).
[5] هَتَنَ هَتْناً وهُتوناً وتهاتنت السماء: تتابع مطرها وانصب وتَهَاتَنَ الدمع: قطر. وغيث هتان: متدفق.

/62و/ فَالجُودُ[1] يَنْفَعُ فِي الوُجُودِ [2] دَوَامُهُ
وَالغَيْـثُ لَيْـسَ بِنَافِـعٍ إِدْمَانُــهُ
مَلِكٌ تَخَـافُ الأسْـدُ سَطْوَتَـهُ إذَا
حَمِيَ الوَطِيسُ وَضَمَّـهُ[3] مَيْدانُـهُ
وَخُفـا[4] النَّهَـارُ بِلَيْـلِ نَقْـعٍ أغْبَـرٍ[5]
وَبَـدَتْ كَمِثْـلِ نُجُومِـهِ خُرْصَانُـهُ[6]
تَلْقَى الخَلِيفَـةَ عِنْـدَ ذَلِـكَ[7] بَاسِمـاً
يَفْنِي[8] الطُّغَـاةَ ضِرَابُـهُ وَطِعَانُـهُ
وَحُسَامُــهُ يَنْهَــلُّ بِالـدَّمِ كُلَّمَــا
أضْـحَى يُضَاحِـكُ دُرَّهُ عِقْيَانُــهُ[9]
فَكَأَنَّــهُ رَوضٌ تَفَتَّـــحَ زَهْـــرُهُ
وَدَم العِـدَى فِي خَـدِّه[10] نُعْمَانُـه[11]

---

[1] في بغية الرواد: ((والجـود)).
[2] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((في الجود))؛ وهو تحريف يخل بالوزن.
[3] في بغية الرواد: ((وَضَمَّهُمْ)).
[4] نفسه: ((وخُفي)).
[5] النقع جمعه نقاع ونقوع: الغبار.
[6] الخِرْصُ والخُرْصُ جمعه خُرْصان: حلقة الذهب أو الفضة.
[7] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((ذاك))؛ وهذا يخل بالوزن.
[8] حرفت هذه الكلمة في بغية الرواد؛ فكتبت: ((يفي)).
[9] الدُّرُّ واحدها دُرَّة: اللؤلؤة العظيمة. العِقْيَانُ: الذهب الخالص.
[10] في بغية الرواد: ((في صفحه)).
[11] إشارة إلى زهور شقائق النعمان التي تنتشر في الحقول في فصل الربيع.

سَيْفٌ شُعَاعُ الشَّمْسِ دُونَ فِرَنْدِهِ[1]

مَهْمَا تَبَدَّى[2] سَاطِعاً لَمَعَانُهُ

أمِنَتْ تِلِمْسَانٌ مَخَاوِفَهَا بِهِ

فَلَقَدْ حَمَاهَا سَيْفُهُ وَسِنَانُهُ

مَلِكٌ سَعِيدٌ لاَ يُعَانِدُ مُلْكَهُ

إلاَّ شَقِيٌ قَدْ دَنَا خُسْرَانُهُ

مَلِكٌ تُقِرُّ لَهُ المُلُوكُ بِأَنَّهُ

مَوْلاَهُمُ الأَسْنَى وَهُمْ عُبْدَانُهُ

مُتَوَكِّلاً[3] أَبَداً عَلَى مَوْلاَهُ فِي

عَلْيَاهُ، وَافَقَ سِرَّهُ إعْلاَنُهُ

حَكَمَتْ لَهُ الكُتْبُ القَدِيمَةُ أَنَّهُ

سَيُشِيدُ مُلْكاً شَامِخاً[4] بُنْيَانُهُ

مِنْ نَحْوِ أرْضِ الزَّابِ يُقْبِلُ[5] طَالِباً

ثَأراً، وَمِنْ أنْصَارِهِ عُرْبَانُهُ

---

[1] الفِرِنْد: جوهر السيف ووشيه.

[2] في بغية الرواد: ((تألَّقَ)).

[3] نفسه: ((متوكلٌ)).

[4] هكذا في بغية الرواد؛ بينما حرفت الكلمة في زهر البستان؛ فكتب: ((مخا))؛ وفي الهامش كتبت كلمة غير مفهومة. مفهومة.

[5] في بغية الرواد: ((يَقْدِم)).

فَيُمَهِّدُ الدُّنْيَـا وَيَمْتَهِـنِ العِـدَى
وَجَمِيـعُ ذَلِـكَ قَـدْ بَـدَا بُرْهَانُـهُ

أَدْنَى[1] البِـلاَدَ إِلَيْـهِ عَـزْمُ صَادِقٌ
فَالنَّجْـحُ مَوْقُـوفٌ عَلَيْـهِ ضَمَانُـهُ

لاَ زَالَ فِي العِـزِّ الرفيـع ممكنـاً[2]
وَالنَّجْـمُ عَنْـهُ كَلِيلَـةٌ أَجْفَانُـهُ[3]

وَإِلَيْكَ يَا خَيْـرَ المُلُوكِ قَصِيـدَةٌ
كَالسِّلْـكِ فَصَّـلَ دُرَّهُ مُرْجَانُـهُ[4]

مِنِ نَاظِـمٍ سَحَرَ البَيَـانَ بَدَايعـاً
لَكِـنْ يُقَصِّـرُ عن[5] حَـلاَكَ بَيَانُـهُ

لاَ يَسْتَـوِي حُرُّ الكَـلاَمِ وَعَبْـدِهِ
يَوْمـاً وَلاَ حَصْبَـاؤُهُ مُرْجَانُـهُ

((وَالعَبْدُ مِنْ مَوْلاَهُ يَلْتَمِسُ الرِّضَى
إِنَّ الخَلِيفَـةَ شَامِـلٌ إِحْسَانُـهُ))[6]

[1] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((يزن)).
[2] في بغية الرواد: ((لاَ زَالَ فِي العِزِّ المَكِينِ مُرَفَّعاً)).
[3] هكذا.
[4] الدُّر سبق شرحه. والمَرْجان والواحدة مَرْجانة: اللؤلؤة الصغيرة.
[5] في بغية الرواد: ((في)).
[6] سقط هذا البيت في زهر البستان.

لاَ زَالَ مَوْلاَنَا أَبُو حَمُّو حِمًى
لِلْمُلْكِ دَامَ مُؤَيَّداً سُلْطَانُهُ

***

لشهر ربيع في الشهور فضيلة[1]
ومكرمة خبر الزمان بها حالي[2]
وما ذاك[3] إلا أن فيه بدا لنا
نبي كريم طيب القيل والقال[4]
نجينا به من كل خطب يروعنا
وأنقذنا من كل خوف وأوجال[5]

---

[1] جاءت هذه القصيدة ـ في هذا الموضع من زهر البستان ـ بعد قصيدة محمد بن يوسف القيسي مباشرة؛ دون أن يرد اسم ناظمها؛ ولا حتى البيت الأول ذكر. ولكنها ستأتي فيما بعد مكررة؛ منسوبة للتلاسي؛ وذلك في ورقات هذا المخطوط الآتية: 87و، 87ظ، 88و. دون أن يسقط البيت الأول منها ـ كما حدث الآن ـ وقد اتضح أيضاً أن صاحب بغية الرواد أورد هذه القصيدة؛ ذاكراً أنها لأبي عبد الله التلاسي؛ وهي في البحر الطويل (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن)، وقافية واحدة (اللام). غير أن بعض أبيات قصيدة زهر البستان هذه؛ لم ترد في بغية الرواد؛ بينما سقطت أبيات أخرى من زهر البستان ووردت في بغية الرواد. وكذا الحال بالنسبة للقصيدة نفسها في الصفحات المقبلة.كما أن ترتيب الأبيات اختلف كثيراً بينما ما أثبت في بغية الرواد وبين الترتيب المعمول به في زهرالبستان. وتعرضت كذلك بعض الأشطر والعبارات والكلمات إلى التبديل أو الحذف. وبهذا اتضح ـ كما سيرد لاحقا في زهر البستان، وفي بغية الرواد أيضاً ـ أن هذه القصيدة لطبيب السلطان أبي حمو أبي عبد الله بن أبي جمعة التلاسي. وتعرضت القصيدة للقص والبتر. وربما للإثراء والتنقيح. وربما يعود السبب في ذلك الخلط والزيادة والنقصان؛ إلى كونها نشرت في زهر البستان كاملة في مبدئها؛ قبل أن يدخل عليها الشاعر بعض الإصلاحات والتنقيحات.

[2] سقط هذا البيت في قصيدة التلاسي الواردة في بغية الرواد.

[3] في الأصل: ((ذلك))؛ وهو تحريف يخل بالوزن.

[4] تغير موقع عجز البيت هذا؛ في القصيدة المشابهة الواردةفي بغية الرواد؛ فأضحى صدراً في بيت آخر ترتيبه (15)؛ هكذا: ((نبي كريم شرف الله قدره وفضله في القبل والبعد والحال)).

[5] جاء هذا البيت في القصيدة المشابهة ببغية الرواد؛ في ترتيب (19) هكذا:
((نجونا به من كل خطب يروعنا وأنقذنا من كل خوف وأوجال)).

/62ظ/فمن ظن أن يحصي فضائل أحمد

فذلك شيء لا يمر على بالي[1]

نبي به سدنا على كل أمة

فلا أمة إلا لنا تحت إذلال[2]

لمولده نور على الأرض قد بدا

غدا دونه بدر الدجى بعد إكمال[3]

سرى لإله العرش والليل قد بدا

من المسجد الأقصى إلى المنزل العالي[4]

بأمداحه يا نفس لوذي فإنها

شفائي من وجدك الذنوب وإبلالي[5]

عليه صلاة تملأ الأرض والسما

يحط بها وزري يخفف أثقالي[6]

---

[1] ورد هذا البيت نفسه في قصيدة التلاسي ببغية الرواد في ترتيب (25)؛ هكذا: ((فمن رام أن يحصي فضائل أحمد فذلك شيء لا يمر على بالي)).

[2] جاء هذا البيت في القصيدة الواردة ببغية الرواد؛ في ترتيب (16) هكذا:
((نبي به سدنا على كل أمة فلا أمة إلا لنا تحت إذلال)).

[3] البيت نفسه ورد في قصيدة التلاسي ببغية الرواد؛ في ترتيب (18) هكذا:
((لمولده نور على الأرض قد بدا غدا دونه بدر الدجى بعد إكمال)).

[4] ورد هذا البيت في قصيدة التلاسي ببغية الرواد في ترتيب (17) هكذا:
((سما لإله العرش والليل أليل من المسجد الأقصى إلى المرتقى العالي)).

[5] ورد هذا البيت في قصيدة التلاسي ببغية الرواد بترتيب (24) هكذا:
((بأمداحه يا نفس لوذي فإنها شفائي من وعك الذنوب وإبلالي)).

[6] جاء هذا البيت في قصيدة التلاسي ببغية الرواد بترتيب (26) هكذا:
((عليه صلاة تملأ الأرض والسما يحط بها وزري تخفف أثقالي)).

وبعد الرضى[1] عنه وعترته معا

وأصحابه أهل الفضائل والآل[2]

إلا فاسمعواالنصح الذي هو واجب

فنصح إيماني وأفضل أعمالي[3]

أنيبوا أجيبوا للخليفة إنه

لخير إمام في ذرى شرف عال[4]

إمام سرى زاده الله رفعة[5]

وفضله في القبل والبعد والحال[6]

تلمساننا أضحت به وبيمنه

تتيه على كل البلاد بإدلال[7]

---

[1] هذه العبارة ـ في الأصل ـ غير واضحة؛ فنقلت عن بغية الرواد.

[2] ورد هذا البيت في قصيدة التلاسي ببغية الرواد بترتيب (27) هكذا:
((وبعد الرضى عنه وعن آل بيته   وأصحابه أهل الفضائل والآل)).

[3] سقط هذا البيت في قصيدة التلاسي الواردة ببغية الرواد.

[4] جاء هذا البيت في قصيدة التلاسي ببغية الرواد بترتيب (28) هكذا:
((أقوم وأدعو للخليفة إنه   لخير إمام في ذرى شرف عال)).

[5] لم يرد صدر البيت هذا في بغية الرواد بالتمام. بينما ذكر غيره هنا؛ وهو:
((نبي كريم شرف الله قدره)). في بيت ترتيبه (15).

[6] أدمج هذا العجز في قصيدة التلاسي ببغية الرواد مع صدر بيت ترتيبه (15) هكذا: ((نبي كريم شرف الله قدره   وفضله في القبل والبعد والحال)). بينما ورد هذا العجز المذكور؛ في قصيدة زهر البستان؛ بمثابة عجز للبيت الثاني من هذه القصيدة؛ وجاء في صدرها: ((وما ذاك إلا أن فيه بدا لنا)).

[7] ذكر هذا البيت في ببغية الرواد؛ بترتيب (35)؛ ولكن بعد تغيير وتنقيح؛ هكذا: ((تلمساننا أضحت به وبيمنه   تتيه على فاس الجديدة والبالي)).

فـذاك أميـر المؤمنيـن لنـا بـه

سمو على من كان في الزمن الخالي[1]

أتانـا بجيش مـن ريـاح وعامـر

وما كـان فيها من ملـوك وأقيـال[2]

حمـاة سـراة أهـل بـأس ونجدة

أسـود عريـن حاميات لأشبـال

أطاحـوا بنا من كل أوب ووجهـة

كمثـل سـوار أو حلقـة خلخـال

هنـاك رأينـا المـوت فـوق نحورنـا

سيوفـا وأرماحـا كأنياب أغـوال

وطاشت عقول الناس من هول ما رأوا

ولـم يـك بيننـا لا خاليـا[3] ولا سـال

وبتنا برغـم اليـأس منـا على الرجـا[4]

وقلت أيـا نفسي دنـا منـك ترحـال[5]

---

[1] هذا البيت، زائد الأبيات الخمسة الموالية، كلها، لم ترد في بغية الرواد.

[2] الأقيال، مفردها: القيل، وهو الملك أو الرئيس عند قدماء اليمن من حمير.

[3] في الأصل: ((لا خلياً))، وهذا يخل بالوزن، فوجب التصويب.

[4] لم يرد في بغية الرواد، وقد استبدل، كما شرح في التعليق الموالي.

[5] ورد هذا العجز ضمن بيت آخر في بغية الرواد، بترتيب (7) وجاء هكذا: ((فحرَّمت سلواني وحزني أبحته وقلت لنفسي قد دنا منك ترحالي)).

ولم يغـن عنـا جمعنـا وجنودنـا

وما كـان فينـا من رمـاة وأبطـال[1]

فلمـا رأينـا الأمـر شـد نطاقـه

ولا حيلــة بَيْنَــا تبيــن لمحتــال

غــدا نحــوه سادتنــا ووزيرنــا

وبعـض أناس في خضـوع وإذلال

وقالوا اغتفـر يا أكـرم الناس ذنبنا

فكـم من نسـاء باكيـات وأطفـال

فمالَ إلى العفـو الذي هـو أهلـه

ومَنَّ علينـا بالنفــوس وبالمــال

/63و/فنحن به في طيب عيش وغبطة

وتجديـد أفـراح وفسحـة آمــال[2]

قبائـل عبـد الـواد سعدكُـمُ بــه

ودولتكم عادت إلى أشرف الحـال[3]

ولست أراهـا تنقـضي عنكُـمُ ولا

تزالـون فيهـا في نعيـم وأفضـال[4]

---

[1] هذا البيت؛ زائد الأبيات الأربعة المالية؛ سقطت كلها في بغية الرواد.

[2] ورد هذا البيت بهذا الشكل في قصيدة التلاسي ببغية الرواد؛ ولكن في ترتيب (36)؛ وهو مغاير لما هو عليه في زهر البستان.

[3] جاء هذا البيت هكذا في قصيدة التلاسي ببغية الرواد؛ بترتيب (37).

[4] ورد هذا البيت ـ هكذا ـ في قصيدة التلاسي ببغية الرواد؛ بترتيب (38).

ومـوسى أمـيـر المؤمنيـــن مؤيــد[1]

بنصــر وتمكيــن ويمــن وإقبــال[2]

فهـا أنـا مــذ بايعتـه وخدمتـه

أجر على أهـل البسيطة أذيـالي[3]

وأطلـب نفـسي بالوقـوف ببابـه

ليرفع من شأني ويصلح من حالي[4]

---

[1] في الأصل: ((مأيد))؛ وهو خطأ.

[2] ورد هذا البيت ـ هكذا أيضاً ـ في بغية الرواد؛ بترتيب (39).

[3] هذا البيت ورد هكذا في بغية الرواد؛ بترتيب (40).

[4] هذا البيت والبيت الذي يليه سقطا في بغية الرواد.

وأجعــل امــدح إليــه وسائــلي
فذلـك أولى لي وذلـك أسما لي[1]

***

ـ وللطالـب أبى القاسـم بـن ميمـون السنوسي موشحة حسنة[2]:

---

[1] ثمة أبيات أخرى من قصيدة التلاسي هذه؛ وردت في بغية الرواد؛ ولكنها لم ترد في زهر البستان؛ نرقمها حسب موضعها في القصيدة ببغية الرواد. مع ترك الأبيات المتوافقة مع ما جاء في زهر البستان؛ وقد سبق ذكرها.

(1) أأصبوا ورأسي بالمشيب غدا حالي	وحال لذاك الشيب لما بدا حالي
(2) وكيف لمثلي بالتصابي وبالهوى	وهل للتصابي أن يمر على بالي
(3) وعني شبابي قد تولى وقد مضى	فقلبيَ منه لا هنيئ ولا سالي
(4) علا مفرقي جيش المشيب فها أنا	جديد شبابي مذ ألمَّ به بالي
(5) نفائس أنفاس الشباب قد انقضت	وما لِيَ من بعد الشبيبة من مال
(6) ونادى لسان الحال شمر إلى متى	ترى غير ناس للتصابي ولا قالي
(8) فجدي بحزم في نجاتك وانظري	بعزم لما فيه الصلاح لأحوالي
(9) ألا فارحلي قصدا لطيبة وانزلي	بها قبل أن أقضي وترفع أعمالي
(10) تقدم أقوام لتقبيل تربها	وأصبحتِ تسعَيْ في عناء وتضلال
(11) أمن بعد أنس كان لي بجوارها	فأبلست يا ويحي لِسَيِّءِ أفعالي
(12) ترفق خليلي إن إنسا فقدته	جدير بأن أبكي عليه ويبكي لي
(13) أُشَيِّعُ ركباً بعدَ ركبٍ لطيبة	ويقعدني غَيِّي وكثرة آمالي
(14) بقرب رسول الله طاب ترابها	وأضحى لها جيد بأنواره حالي
(20) هو المصطفى ساد الأنام وقدره	على كل مخلوق نَطَقْت به عالي
(21) حليمٌ رحيمٌ مُؤْثِرٌ متفضلٌ	رؤوفٌ عطوفٌ مانحٌ دون تِسْئَال
(22) ربيع بشير ا للأنام أنا به	فكل ربيع فيه راحة إعلال
(23) وهل من شفيع غيره يرتجى إذا	عرى الناس سكر من عذاب وأهوال
(29) على الله في أحواله متوكل	وما إن له إلا التوكل من حال
(30) يشيد أمر الملك طول نهاره	وإن جنَّه الليل البهيم يرى تال
(31) فكل امرئ يأتيه يطلب نائلا	يعود غنيا مثريا بعد إقلال
(32) وصارمه أسد الكفاح تخافه	فها هو قتال به كل قتال
(33) أنارت معاليه وأشرق فضله	كبدر تبدى للورى بعد إهلال
(34) وأوجد عبد الواد بعد دثورها	وأظهر رسما دارسا بعد إمحال
(41) فإن نالني منه قليل عناية	فما هذه الدنيا وحقك إلا لي

[2] وكما هو معلوم ـ في معظم الأحيان ـ ليس للموشح وزن محدد، ولا قافية ثابتة، ولا حتى روي واحد. وإنما يترك ذلك الأمر إلى ذوق الشاعر وحسن صياغته. بالإضافة إلى ما دخل عليه ـ مع الوقت ـ من كلمات دارجة؛ وتراجع شرط الفصحى فيه؛ بل تغاضوا فيه كذلك على القيود اللازمة في قواعد اللغة من إعراب وغيره. وإن كان صاحب هذه المنظومة قد أدخلها في عداد التواشيح؛ فإن هذا الفن يتفاوت النظم فيه بين الجيد والمتوسط والرديء. ومع ذلك فقد اختار ابن ميمون السنوسي الخوض في هذا الفن؛ فنظم قصيدته على شكل رباعي؛ وتنقل في أوزانه بين: (فاعلن

فقت يا شهر جميع الأشهر فاشمخِ الآن إذنْ وافتخر
أنت في الأشهر مثل القمر طالعٌ بين نجوم السَّحر
جئت يا شهر ربيع بالمنى فلنا البشرى إلينا والهنا
وخلنا ليلة الإنس بما نصل الأفراح طول العمر

***

في ربيع لاح نور الحِكَم وانجلا عنا غلاس الظلم
ولد المختار خير الأمم أحمد فيه سراج النشر
أحمد مولده معظم نطق اللوح به والقلم
يعلم الله بذا والأمم وكذا جاء صحيح الخبر

***

أحمد في الأنبياء أفضل ذكره به الحديث يحمل
كل من يجهل هذا يسأل جاء في الآي أتى والسور
إنْ مع الباطل خوفا وجدا منه لمَّا أظهر الحق الهدى
فاهتدى للرشد من قد اعتدى واعترى بعد العمى ذا بصر

***

سيد الرسل جميعا أحمد فضله بينهُمُ لا يُجحد

مفتعلن مستفعلن * فاعلن مفتعلن مفتعل)، و(فاعلن مفتعلن مفاعلتن * فعلن مفتعلن مفتعلن)، (فاعلن مستفعلن مفاعل* فاعلن مستفعلن مفاعل). (مفاعيلن فعولن فعلن * فعلن مستفعلن مفتعل). (فعلن مفاعلن مفتعلن * فعلن مفاعلن مفاعل)، (مفاعلن مستفعلن مفاعلن * فاعلن مستفعلن مفتعلن). وهكذا دواليك؛ كما عرف في نظم التواشيح.فلامس بحر البسيط أحياناً، ودغدغ بحر السريع أحياناً أخرى.حرصاً منه على البقاء مجال التواشيح.

كلهم بفضله قد شهدوا قبل أن يوتي به من مضر
سُيِّد الدين به وسددا أوضح الرشد لنا ومهدا
أورث العمي بعدله الرؤا وبنور شرعه المشتهرا

***

/63ظ/يا له من مولد مولده هذه ليلته ترصده
سعد من مات بها بشهره جفنه عن ذوق طعم الصهر[1]
ليلة الإثنين خير لمة قادها الدهر لخير ملة
شرفت من أصل نور غرة من ضيائها ضياء القمر

***

ليلة الاثنين لذ المشرب[2] ليلة الإثنين صح المذهب
ليلة الإثنين لاح الكوكب في السماء بالهدى للبشر
يا له من كوكب قد طلعا فاستنار نوره وارتفعا
عرف الحق به فاتبعا فهو لا يخفى على ذي نظر

***

كم خَبرَ الخلق من معجزة تجتلى أنوارها مشرقة
يا لها من حكمة محكمة ظهرت عند انشقاق القمر
في ذراع الشاة شيء عجب ووقوف الشمس منه أعجب

---

[1] رسم هذا الشطر هكذا. وبسبب غموضه؛ نقترح ما بين حاصرتين بدلا منه: [سعده في مولد مشتهر].
[2] للحفاظ على انسجام هذا الشطر مع الشطر الموالي؛ حذفت كلمة غامضة في الأصل؛ أفسدت المعنى؛ إذ ورد الشطر هكذا: ((شرفت ليلة الإثنين لذ المشرب)).

وحديث الضبي لا يكذب لمحمد ونطق الحجر

***

أوقف القاعد أيدي الأجر ما[1] صيَّر الأعمى يرى بعد العمي

أشبع الألف بصاع بعدما أصبحوا مِنَ الطَّوَي في كدر

ظمأ الجيش روي من حينه بزلال فاض من يمينه

في حنو الجذع أو حنينه حكمة وفي سجود الشجر

***

ليلة الإسراء بات يصعد نوره فوق السماء أحمد

ناظرا ذاك الجمال يشهد حاضرا لذي المقام الأكبر

معجزات المصطفى لا تختصر [في حديث سار أو خبر][2]

فضل تلك قد حوته السير يجد الطالب ذا في السير

***

أحمد له الثناء الأرفع أحمد في المذنبين يشفع

يوم قول المرء ماذا أصنع وجهنم رجت بالشرر

يوم حر مذهل يلتهب يوم لا ينفع فيه الكذب

أيها الغافل هذا اللعب لمتى قم فانتبه وازدجر

***

[1] هكذا.

[2] هذا الشطر غير واضح؛ وجاء هكذا: ((لا ولا طيف بعد الشجر)). وعليه فقد نظمنا بدلاً منه شطراً آخر، ووضعناه بين حاصرتين. لتسهيل الفهم.

/64و/غرك الآن الرجا والأمل وألوا العزم نأوا وارتحلوا
فإلى كم يعتريك الكسل إصحب التوبة باقي العمر
عاتب النفس على عيش مضى في ضلال وتولى وانقضى
والتزم [باليسر][1]يا باب الرضى واقطع الليل بطول السهر

***

فإن باللذة قوم سهروا ليلهم واعتبروا وازدجروا
ودعوا ربهم وافتكروا عذرهم يوم دخول القبر
ها هو الموعد أين المهرب ما جواب من عليه الطلب
عجبا [فـ]يعيد العجب[2] كيف يخفي[3] الشمس عن ذي بصر

***

إنما يوقظ من ينتفظ ليس في قولي إليكم عرض
بك يا مولاي ما لي عوض يا أمان الخائف المنكسر
هذه الحالة قد نعلمها قبحها من حسنها أعظمها
من لها سواك من يرحمها يا مقيل عثرة المعتذر

***

هب[4] أنا العبد فأنت الموئل ألإله الأزليُّ الأول
لم أزل منك قديما أسأل ألرضى من صغري للكبر

---

[1] عبارة ـ هنا ـ غير واضحة؛ فعوضناها بما ورد بين حاصرتين.
[2] أضفنا الفاء للتوضيح والحفاظ على وزن البيت.
[3] هكذا. والأفضل: ((تخفى)).
[4] هكذا.

سيدي مولاي ذخري أملي　　　عدتي كهفي، الجفا من قبلي

لا تؤاخذني بأسوأ عملي　　　لم أكن لولاك بالمعتبر

***

فاصلح اللَّهُمَّ ما قد فسدا　　　وأخمد الفتنة مهما اتحدت

وجدت نفوسنا ما وجدت　　　لطفك الله بنا في القدر

وانصر الأسنى الإمام الضيغمي　　　من سمت به المعالي فسما

من يحاكي الصبح إن تبسما　　　من نواله كَوَبْلِ المطر

***

مضرم الهيجاء موسى البطل　　　[منذ][1] مرَّ بها تشتعل

من به تزهوا الطوال الأسل　　　زهو تلك البيض بين السمر

ألهمام ذا الحروب الأشجعا　　　ألكريم اللوذعيّ المصقعا[2]

/64ظ/ألإمام الأعظم المرفعا　　　عدة البدو ملاذ الحضر

***

ملكه سعوده قد ظهرت　　　في البلاد كلها وانتشرت

نصر الدولة لما دثرت　　　بدوام سعده المشتهر

يا له من ملك صولته　　　لا تطاق ولا هيبته

---

[1] في الأصل: ((من ذا))؛ وهي عبارة غامضة ولا تنسجم مع وزن القصيدة؛ لذا فقد عوضناها بما ورد بين حاصرتين. للتوضيح والحفاظ على الوزن.

[2] اللوذعي: الذكي الذهن الفصيح اللسان. المصقع: عالي الصوت البليغ.

ضيغم لذي الوغي وثبته   وثبت الليث المهاب الذكر

***

يقطع الأرض كمثل الأسد   بلـــداً في بلـــد في بلـــد

فذبـــاب سيفـــه[1] أرهقـــه   ولـــواء جيشـــه المظفـــر

[جال في الأرض فحاز الغلبا][2]   طالبـــا للثـــأر لا مطالبـــا

مشارقـا قد طـاف أو مغاربـا   هكذا في الأفق فعل القمر

***

سخـر الله لـه كل الـورى   مـــدّه بنصـــره فانتصـــرا

قـــدر اللـــه بهـــذا قـــدرا   كل شيء سابق في القدر

***

وللطالب الأديب **أبى عبد الله محمد البطيوي** عفا الله عنه[3]:

لك يا ربيع قدوم أشرف مولد   تزهـوا مطالعـه بسعـد الأسعـد

لك يا ربيع على الشهور مزيَّة   عُرِفَـتْ بميـلاد الرَّسـول محمـد

يا شهر جئت لنا بأكرم مرسل   للعالمين هـدى وأفضـل مرشـد

من خُصَّ قِدْماً بالشفاعة واللوى   واخْتَصَّ بالحوض الشريف المورد

بظهـوره الأصنـام والأوثـان قـد   سجدت إلى الصمد العلي الأوحد

---

[1] ذباب السيف: طرفه الذي يضرب به.

[2] هذا الشطر غير مفهوم بالمرة؛ وتعذر استخراج كلماته بالتمام. لذا فقد عوضناه بآخر، ووضع بين حاصرتين.

[3] نظم الشاعر هذه القصيدة في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن). ويجوز في متفاعلن = مستفعلن.

والنهر جف ولم يسل والنار قد خمدت وكانت قبله لم تخمد
وقصور قيصر هدمت شرفاتها من بعد تأسيس وحسن تشيد
وارتج إيوان لكسرى عندما ظهرت براهينٌ ليوم المولد
فبيمنه فزنا بأفضل ملة تهدي لنهج الحق كل موحد
وهدى إلى سُبْل الهداية بعدما كنا بجهل في ضلال الأربد[1]
فالشرك أضحى وهو في ضيق به والدين في صعد ببعثة أحمد
/65و/كم آية ظهرت له ودلائل جاءت بصدق هداية للمهتدى
منها انشقاق البدر والجذع الذي أبدى لفرقته حنين توجد
وسلام أشجار إليه قد أقبلت وكلام أحجار بغير تردد
والذئب أفصح ناطقا بسلامه أدى الشهادة حين قال له اشهد
وشكى البعير له بضرٍ ومشقة[2] من معتد فأزال ضرَّ المعتدي
وغزالة نادت محمَّدَ إنَّ لي خشفاً أرضعه وخفت تصيدي
فأجازها من صائد قد صادها وأنالها الأمن[3] السني المقصد
وله ذراع الشاة أخبر بالذي [دس له من أبشع السمّ الردي][4]

---

[1] يقولون: عام أربد: أي مقحط. والربداء: المنكرة.
[2] الكلمة في الأصل رسمت هكذا: ((مثفة)). وواضح أنها محرفة؛ فعوضناها بالكلمة الواردة بين حاصرتين. ويشير الشاعر هنا إلى جمل لأحد الأنصار؛ شكا إلى رسول الله ظلم صاحبه؛ الذي يجيعه ويواصل العمل عليه دون انقطاع. وأورد هذه الرواية مسلم في صحيحه.
[3] في الأصل: ((بالأمن))؛ فحذفنا حرف ((الباء))؛ لتصويب الوزن.
[4] جاء الشطر في الأصل هكذا: ((قد أودعنه عداه من سم رد)). وواضح أنه نسخ بشكل رديء؛ لذا فقد عوضناه بآخر وضع بين حاصرتين.

وبكفِّـه للـه سبحـتِ الحـصى   بتواضـع كالعابـد المتجهـد[1]
والضـرع[2] درَّ لـه ومن بركاتـه   جاءت أناملـه بأغـرب مـورد
وأزال عـن عيـني عليّ تفلـه   رمداً فلم يشكـوا بجفن أرمـد
وكذاك[3] عيـن قتـادة قـد ردها   بعد الذهـاب كأنهـا لـم تفقـد
وحذيفـة أعطـاه عـود أراكـة   في كفـه سيفـاً لحـرب الملحـد
ولكم لـه من معجزات أعجزت   بدلائـل مـن قبلـه لـم تعهـد
نعم الرسول له الهدايـة في الدنـا   للمهتدي وله الشفاعة في غد
للـه مولـده السعيـد وحسنـه   أكـرم بـه من موسـم متـردد[4]
فلِيَهْـنَ مَوْلانـا بليلـة مولـد   طلعت بطالعها نجـوم الأسعـد
أسنى الملوك أجلها المـولى أبـو   حمو المؤيد ذو العلى والسؤدد
غيث[جرى عبر السنين][5] ليث الردى   للمعتدي بحر الندى نور الغد
يكفي العدى في الحرب هيبة بأسه   [ويراعـه في السلـم زاد المرشد][6]
وإذا بـدا بيـن الملـوك بحالـه   مولاهُـمُ وهُـمُ لـه كالأعْبُـد
منصـور رايـات ويـوم خـلاده   يحـمي بقائـم سيفـه المتجـود

---

[1] في الأصل: ((المجتهد))؛ وهذا تحريف يخل بالوزن.
[2] في الأصل: ((والدرع))؛ وهو تحريف.
[3] في الأصل: ((وكذلك))؛ وهو تحريف يخل بالوزن.
[4] لم يوفق الشاعر بكلمة (متردد))؛ وأفضل منها كلمة ((متجدد)).
[5] هذه العبارة الواردة بين حاصرتين؛ وضعناها عوض عبارة أخرى؛ تعذر فك كلماتها، وفهم معناها. وقد رسمت هكذا: ((الجرى للمجتزي)).
[6] رسم هذا الشطر في الأصل هذا: ((عرض ططي وسل فهند)). وهذا الكلام غير مفهوم. وعليه؛ فقد عوضناه بشطر آخر وضع بين حاصرتين؛ لتمكين القارئ من متابعة القصيدة.

من رام أن يبـغ[1] عناد مليكنـا تبت يداه ومـا لـه من مسعـد
/65ظ/هذا هو الزابي الذي نطقت به الحدثان يقهر كـل بـاغ معتـد
مفني العدى قسراً مبيد قصورهم قهـراً فمنصـور اللـواء [المايـد][2]
مولاي يا خير الملوك ومن سما فـوق السمـاك بمجـده والفرقد
أما تلمسـانُ فقـد تاهـت على فـاس بطالـع سعـدك المتجـدد
لا زلت من مَلِكٍ وعبد الـواد في عــزٍّ بدولتكم ورفعــةَ ســؤدد
وولي عهدك عابد الرحمـان من تأييـد أمـرك في نعيـم سرمـد
وتقر عينك فيه من ولد كما تعطى المراد بفضل يوم المولد
ثـم الصلاة على النبي المصطفى خيـر الأنـام الهاشـمي محمـد
وعلى المقام المولوي المرتـضى أزكى تحيـات تـروح وتغتـدي

***

ولما انقضى أسبوع المولد السعيد ؛ أخبر في شأن التسديد والتمهيد. إذ أتى رسول المذكور[3] ؛ قد وصل لأول بلاده. فأتاه الخبر به ؛ من قبل قواده. فأمر أن يخرج للقائه ؛ ليظهر عليه آية اعتنائه. ولما وصل حضرة **تلمسان** الكريمة، ووفد على خلافتها الصميمة ؛ سلم على المولى **أبى حمو** ؛ حين دخوله ؛ أمر بإنزاله، وأراه من البشاشة غاية مأموله. فأقام بدار كرامته ثلاثة أيام ؛ ثم استحضره، واحتفل له مجلساً ؛ من وجوه

[1] في الأصل: ((يبغي))؛ بالياء؛ وهو خطأ نحوي؛ ويخل بالوزن.
[2] كتبت الكلمة هنا هكذا: ((مائد))؛ وهو مخل بالوزن؛ فأضفنا الألف ولام؛ للتصويب.
[3] أي: رسول السلطان المريني أبى زيان ابن الأمير أبى عبد الرحمان.

قبيله الكرام؛ وسأله عن **المغرب**، وأحواله؛ وخَلْعِ **أبى عمر**، عاقبة مآله؛ وسأله عن أحوال **أبي**[1] **زيان ابن الأمير عبد الرحمان**؛ فعرفه بجميع الأحوال، وما اتفق من التغيير، والإبدال؛ وعن أحوال **حلي** وفراره؛ وما اتفق من أخباره. فأخبره بجميع المستجدات[2]. وانجر الحديث من الماضي إلى الآت. ثم سأله عن إتيانه. وبشأن حديث سلطانه. فقال: أصلح الله مولانا أمير المسلمين؛ جئت لما فيه الخيرة لجميع المسلمين، **ولبني عبد الواد، ولبني مرين.** بعثني مولاي للمهادنة، والموالاة، والمحاسنة، /66و/وكف اليد العادية؛ من أية جهة؛ حدثت وتحسم المدة منها متى تمت؛ وأن تكون يد الإسلام واحدة؛ على من سواهم، وقاهرة للمشركين. وما[3] والأهم؛ فإن مولاي **أبا زيان** هذا؛ ظهر له ما لا يظهر لأسلافه؛ من إتباع العدل، وأوصافه؛ وأن تبقى المصالحة؛ على نحو ما أبرمها عمه **أبو سالم**؛ فإنه لا يجنح إلاّ إلى الجانب السالم. فقال له المولى **أبو حمو**: نعم ما ذهب إليه **أبو زيان**، ونعم السجية الأمان من السلطان؛ هذا رأي يجب أن يساعد عليه شرعاً، وينقاد إليه المسلم طوعاً؛ لا سيما ألفة كلمة الإسلام؛ التي هي عمدة الاعتصام. يا **عمر بن مسعود**؛ ارجع إلى مولاك بالمساعفة؛ فإنه لا تحل لنا ـ ولا لسوانا ـ المخالفة؛ وهذا من إصلاح ذات البين؛ فأين ينقلب المسلم عن

---

[1] في الأصل: ((بني))؛ وهو تحريف.
[2] في الأصل: ((المتزدات))؛ وهو تحريف.
[3] هكذا.

هذا إلى أين؟ ثم قال للمذكور[1]: ومن يعقد عن مولاك صلحه، ويتولى نيابته ونصحه. قال: يا مولاي؛ إنما أتيتك سعيداً، وبالكيفية خبيراً؛ فليأتك نائب سلطاني، ومقيم الدليل ببرهاني. ثم طلبه في الوداع؛ ليرجع إلى سلطانه بما أسعف به؛ من تجديد الصلح وشأنه. فعند ذلك؛ أمر له المولى **أبو حمو** بكسوة سنية، ووصله بجائزة من المال مرضية؛ فرجع الرسول المذكور قافلاً؛ لمولاه ظافراً بجائزته، وبرغبة ما تمناه

قال الراوي: ولما وصل إلى سلطانه؛ وصف له ما كان من المولى **أبى حمو**، وإحسانه، وانقياده إلى المصالحة، واستحسانه. وأخذ الرسول يطنب على مدحه المولى **أبى حمو** عند سلطانه، ويخبره بما لقي من بساطة أخلاقه، وجميل إحسانه؛ وجعل يؤكد عليه؛ توكيد الموالاة، ويعرفه الحالات. فسرّ بذلك **أبو زيان**؛ وقال إن ملوك **بني عبد الواد** الأعيان؛ من أولي شرف، وإحسان. وثاقت نفسه؛ أن بالمهادنة يبلغ الوطر في سلطانه، وبالمحاسنة تتأتى له الخلافة في أوطانه. ثم قال له رسوله المذكور: /66ظ/أنه طلب منك من يعقد عنك الصلح؛ ليتجدد السرور. قال نعم؛ هذا عين المحالفة؛ وترجمت الوثيقة؛ فاختار قاضي بلده الجديد؛ الفقيه **أبا القاسم البرجي**[2]؛ من وجوه الطلبة الجلة؛ مجيد، رسين في الكتابة؛ وماهر في الطلبة؛ عالم بالإقدام على الخلافاء؛ ممن تقدمت له الخدمة مع الأعيان، والشرفاء. ثم قال **لعمر**

[1] أي: للرسول عمر بن مسعود.

[2] هو القاضي أبو القاسم محمد بن يحيى البرجي.

ابن مسعود المذكور: وأنت معه؛ لتمام الصلح المذكور. وعندما تعين هذان الرسولان؛ أمر **ونزمار**[1] **بن عريف، ومحمد بن النوار**[2] أن يسيرا **لتلمسان**؛ فودعاه وارتحلا من يومهما؛ وتوقف الفقيه[3]، **وعمر بن مسعود؛** حتى اتصلا بتحقيق خبرهما. وذلك أن **ونزمار** المذكور؛ جاء برسم إحكام الشروط، وضبط ما يكون عليه الربط، واتفاق المربوط؛ حتى لا يبقى إلاّ كتب العقود، والإعلام على شهادة الشهود. ولما وصل **ونزمار**[4] المذكور؛ حضرة **تلمسان**؛ ودخلا ـ من فورهما ـ على مولانا **أبي حمو** السلطان؛ أكرم نزلهما؛ كما جرت العادة أن يتركهما. فكان وصولهما في سادس عشر ربيع الأول؛ فأقام (ماية وارتحل بحلة المتهجد)[5]. وعندما دخلا عليه؛ تحدثا معه؛ في شأن المصالحة؛ على ما تنعقد، وتنبرم؛ وعلى أي الشروط تقع، وتحتكم. فقال المولى **أبو حمو**: على سراح **بني عبد الواد**؛ إذ لم يكن له في سوى ذلك من واد. فقال **ونزمار**[6] المذكور: قد حملت عن مولاي شرطك. ثم قال له المولى **أبي حمو**: ما شرط مولاك؛ إنه ليضع ربطك. قال: يقول لك مولاي؛ لا يتعدى **حلي** البلاد **السجلماسية**، ولا يتحدث في سواها من البلاد؛ ما دامت الخلافة المحمدية؛ فإن تعداها، وطلب الفساد في غيرها من

---

[1] كتب في الأصل: ((أونزمار))؛ والصحيح: ((ونزمار)).
[2] هكذا ذكر في بغية الـواد؛ وقد اقتصر صاحب زهر البستان على إسم ((محمد)) فقط.
[3] أبو القاسم البرجي.
[4] في الأصل: ((أونزمار)).
[5] هذه العبارة غي واضحة؛ ورسمت هكذا.
[6] في الأصل: ((أونزمار)).

البلاد؛ فيد القبيلتين عليه طائلة؛ من: **بني مرين، وبني عبد الواد.** وأنه متى فرّ من أحد من الخدام ـ من الجانبين ـ رد إلى جانبه؛ من غير شين. قال: نعم؛ فانظروا ما بقي لكم؛ نمضوه[1]، وما تحتاجون إليه نقضوه[2]. قال /67و/**ونزومار**[3]: يا مولاي؛ قد ظفرت ـ بحول الله ـ بالمراد، وسراح قبيلك **بني عبد الواد**. فطلبه في الوداع فودعه؛ بعد أن أناله ـ ومن جاء معه ـ المنفعة أتحفهما بكسوتين سنيتين، وبما أرضاهما به من العين. فارتحلا ـ بعد ثمانية أيام ـ إلى سلطانهما؛ وبقي الأمر موقوف على شأنهما. فلما وصلا إلى سلطانهما **أبى زيان؛** أخبراه بما كان عليه العهد؛ مع المولى **أبى حمو** السلطان؛ وأنهما تضامنا حفظ الشروط المذكورة؛ ولم يبق إلا الإشهاد في هذه الصورة. فعند ذلك؛ أمر السلطان **أبو زيان**؛ الفقيه **البرجي**، **وعمر بن مسعود** ـ المذكوران ـ بالمسير؛ ليكتب عقود المصالحة؛ من غير توان، ولا تقصير. فودعا مولاهما، وخرجا؛ طالبين مدينة **تلمسان**؛ عاملين على حضرة المولى **أبى حمو** السلطان. فكان وصولهما في أواخر جمادى الأخيرة. وعندما حلاّ بأول البلاد؛ وصل التعريف بهما على المعتاد؛ فبعث للقائهما من يليق؛ من وجوه حضرته، وكبار مجلسه وعترته. وعندما دخلا على المولى **أبى حمو**؛ أمر بإنزالهما بدار الإكرام، وأجرى لهما النفقات،

---

[1] هكذا.
[2] هكذا.
[3] في الألصل: ((أونزمار)).

وما يختص بهما؛ من الطعام. وبعد ثلاثة أيام؛ استحضرهما؛ بعد أن احتفل مجلساً (......)؛[1] فهش إليهما اهتشاش[2] الإيناس. وتحدث معهما بما يسمع به الملأ من الناس. فسألهما عن أحوال سلطانهما، وعن عافية أوطانهما. ثم أخذ في شأن المصالحة، والموالاة، والمناصحة. فقالا له: إن مولانا **أبا زيان**؛ شكر إسعافك، واستحسن إنصافك، وسره موالاتك، وأطنب على جميل حالاتك. فقال لهما المولى **أبو حمو**: إن **أبا زيان**؛ خير من يوالى، ويعرف، ويرعى، وينصف. فأخذا في الإطناب بعضاً على بعض؛ وأتيا من الأمداح بالنفل والفرض. ولما سكنوا إلى السكوت، وثابوا إلى عقد الصلح، والثبوت؛ قال لهما المولى **أبو حمو**: أشرعا فيما أتيتما بسببه، وبينا /67ظ/لكل واحد منا؛ عين مطلبه. قالا نعم يا أمير المؤمنين. فشرعا في الكتب من غير توثيق؛ فعندما كمل؛ كتب العقد المعقود؛ قرئ على رأس الملأ؛ من أهل الحضرة، والقاضي، والشهود؛ فشهدوا على المولى **أبى حمو**؛ بما ضمن من الشروط. فنزلت الشهادات، ووقع الإعلام على تلك الخطوط. وعندما كمل الإشهاد على المولى **أبى حمو** السلطان؛ قال له الرسولان: يا أمير المؤمنين؛ من ينوب عنك؛ في هذا الشأن. قال: نعم؛ **الفقيه العالم المفتي الشريف، ووادفل بن عبد الله بن مسلم**؛

---

[1] يوجد هنا فراغ. لعل ما كان فيه هي كلمة ((حافلاً)).
[2] هش هشاشة للشيء: سر به وفرح.

ولد الوزير المنيف. ثم دعا **للشريف** المذكور هذا وظيفك[1] فتولاه. ثم قال لابن وزيره: وأنت تسير معه؛ حتى يتم الأمر لأقصاه.

هذا **الشريف** المذكور؛ هو السيد المفتي، العالم العلامة، نخبة زمانه، وأستاذ المغرب بجملته؛ في العلم، والعمل، وما يتعلق بهما من الفضل وشأنه. اسمه **محمد بن أحمد الحسني؛** تلمساني الدار، كريم الخيم والنجار. وعندما تعين **الشريف،** وولد الوزير؛ وأخذ المجلس حقه؛ من إبرام الصلح الشهير. أمر للرسولين بكسوتين فاخرتين سنيتين، وبدرتين من العين. ثم ودعاه؛ وهما جذلانان؛ بما ناله من تكملة الفرض، والإحسان. فارتحلا لسلطانهما؛ قابلين. وخرج **السيد الشريف** وولد الوزير؛ على أثرهما راحلين. فكانت وجهتهما؛ من جمادى الأولى من العام المذكور؛ تمام الصلح والسرور. ولما حلاّ **بفاس الجديد؛** ودخلا على **أبي زيان؛** الملك المجيد؛ لقيهما بالترحاب، وفتح لإكرامهما كل باب. أنزلهما بدار الكرامة خير إنزال، وتوعدهما ببلوغ الآمال. وبعد ثلاثة؛ استحضرهما لحضرته؛ بعد أن احتفل مشوره بوجوه نصرته. وسألهما عن أحوال المولى **أبي حمو؛** سؤال الإيناس، والاحتفال؛ فأجابوه على حبك ووداك؛ على نحو ما كان من المقال. ثم إن قاضيه المبعوث؛ استحضر العقود المشهودة، وقرأها على الملأ الحاضرين؛ حتى سمعوا /68و/عقودها المعقودة. ثم قال **للسيد**

---

[1] هكذا.

الشريف: هذه عقود سلطانك؛ وردت على الكمال والتمام؛ فلم يبق إلاّ الإشهاد؛ على مثل هذا النظام. فأقام[1] إليه **السيد الشريف** وقال: يا أمير المؤمنين؛ لا أحد أنصف ـ من نفسه ـ من أئمة المسلمين. ثم أخذ في الإطناب؛ وفيما تلاه في إصلاح ذات البين؛ من الثواب؛ وتطاول الحديث بكلام يلين النفوس، ويذهب بالبؤس. ثم سكنت همهة الأصوات، وطمحت الأبصار بالالتفات. فعند ذلك (....)[2] **بنو زيان**؛ إلى شهوده وقضاته. وقال أكتبوا عني بقبول هذا الشرط؛ كلياته، وجزئياته. ثم أمر ـ عند شروع الكتبية[3] في العقود ـ بسراح **بني عبد الواد**، وفكهم من القيود. ولعمرك لقد كان على رغم **بني مرين**؛ في التحقيق إلاّ أن ....[4] الله سبحانه؛ مدة الفسحة، والتصديق؛ إلا أن القهر والاضطرار؛ يدعوان المرء أن يرتكب الأخطار. فكان أول بواعث الخير؛ تسريح **بني عبد الواد**، وأول السعادة؛ خلوصهم من دار البوار، وقهر الأعادي. ثم أمرهم بالمسير إلى بلادهم؛ بجملة أهلهم وأولادهم؛ فوصل البشير بسراحهم، وجبرهم؛ بعد انتزاعحهم[5]. فكان وصولهم في العشر الأواخر؛ من الشهر المذكور؛ واذهب الله عنهم؛ ما كانوا فيه من القهر، والنفور. فكان جملتهم ثلاثمائة نفس؛ دون الأولاد؛

---

[1] هكذا.
[2] هنا عبارة ممحية؛ ربما تكون: ((انشرِطَ)).
[3] هكذا. ويقصد بها: كتاب العقود.
[4] يوجد في الأصل هنا فراغ؛ لا يعرف إن كانت به كلمة أم لا.
[5] انتزح عن دياره: ابتعد عنها.

كلهم من وجوه **بني عبد الواد**؛ فسبحان محيي الرسوم الفانية؛ المانح بعد البؤس العافية.

فهذا السلطان المنصور؛ المولى **أبو حمو** المشهور؛ أشهر الله به قبيله، وبلغ في أعادئه مأموله. قام بأن نصر قومه، وأخذ ـ بالجد والحزم ـ فظهر، وقهر؛ واعتبر خلف سعادتهم، وأقيم لأعادتهم؛ بما تصف الألسن؛ ما له عليهم من الفضل؛ بسلطانه وما وقيهم الله[1] به؛ من ذلّ العدو وسنانه. فيا لها من بقية؛ ما أسعدها، ومن قبيلة؛ ما أنجدها؛ إن يطلقوا فهم عفو لشأنه؛ وإن (.....)[2] فهم نشأة **/68ظ/**إحسانه. ولما كمل الإشهاد؛ على **أبى زيان**؛ بعد تسريح **بني عبد الواد** الأعيان؛ أمر لهما بكسوتين، ووصلهما بما أرضاهما؛ من العين؛ ثم ودعهما، وانصرفا قافلين؛ وبما نالاه؛ من الحبا؛ شاكرين. ولما وصل **بنو عبد الواد؛** إلى سلطانهم؛ واتصلوا بأوطانهم؛ وصل الرسولان؛ على إثرهم؛ بما سنى الله للجميع؛ من تيسير أمرهم. فأتت الشعراء بالأمداح، ووقع في النفوس الانشراح، وأتت أشياخ البلاد للتهاني؛ وكتب العدو الشاني[3]. فكان من شعراء **الأندلس بتلمسان**؛ الأديب النجيب اليقظان؛ **أبو محمد عبد العزيز بن علي بن يشت**؛ **أغرناطي** الدار، ظريف الأشعار. أنشده ـ في المعنى ـ قصيدة

---

[1] وقاهم الله.

[2] كلمة هنا غير مفهومة.

[3] هكذا.

حسنة؛ حزته للإكرام (.....)[1] أية غير لها إثابة الملوك الكرام. أعطاه الأمر كوباً[2]، وبلغه من الحبا مرغوباً. ثم أردف القصيدة؛ بمثلها في المعنى؛ فبلغه من العطية؛ ما تمنى. ثم سافر إلى **الأندلس**[3]؛ بعد الفقر غنياً، وبعد القلة ملياً. ثم بعث له من **الأندلس** قصيدة أخرى؛ فوجه له جائزة أسنى وأسرى. ثم لم يزل يبعث له القصائد؛ فيستظهر بها، ويرتاح إلى إنشادها بين يديه، وينصفها؛ فانتعشت حال **ابن يشت** ببلاده، وبصت[4] له السعادة؛ منه بنيل مراده. وسأذكر ـ الآن ـ من قصائده أربعاً؛ لترى من شأنها منزعاً. وهذه أول قصيدة أنشدها بين يديه؛ فكانت سبب الجري، المجري عليه[5]:

عرجْ على الدارِ من سلمَى نُحَيِّيها

واسْتوقِفِ العِيسَ في أطلال ناديها

ونادِ يا دارها بالجزع من كثب

حييت من دمنة راقت[6] مغانيها

---

[1] توجد هنا كلمة محيت؛ حسب الفراغ الموجود.

[2] هكذا.

[3] يكتب الناسخ ـ في أغلب الأوقات ـ كلمة الأندلس بالواو بعد اللآم؛ هكذا: ((الأندلوس)).

[4] بَصَّ: بَرَقَ وتلألأ.

[5] نظم الشاعر قصيدته هذه في بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن). يجوز في مستفعلن = مفاعلن، ويجوز في فاعلن فَعِلُنْ). في الأعاريض فَعِلُنْ ، وفي الأضرب فَعِلُنْ أو فِعْلُنْ .

[6] في بغية الرواد: ((رافت)).

يا دارها والهوى يدني تألفها[1]

ويافع العمر يدنيني ويدنيها

إذ قد تباعد هجراً من يقاربها

ولا تداني بوصل من يدانيها[2]

كم بتُّ من شغف مضنى[3] ومن أسف

أبدي الصبابة أحياناً وأخفيها

أسامر البدر من شوقي لرؤيتها

فالبدر في الأفق تحكيه ويحكيها

/69و /[وسائل][4] الريح من تلقاء تلعتها[5]

إذا حدى من ربى الأبطاح[6] حاديها

فكم طرقت حمى سلمى بذي سلم

ولذة الحب تصيبني وتصبيها[7]

---

[1] في بغية الرواد: ((تألفنا)).
[2] ورد هذا البيت في بغية الرواد؛ وسقط في زهر البستان؛ إذ ترك في موضعه فراغ.
[3] في زهر البستان: (مضن))؛ وهو تحريف.
[4] في زهر البستان وبغية الرواد: ((واسأل)). وهذا يخل بالوزن؛ لذا فقد جعلناها: ((وسائل))؛ للتصويب.
[5] تَلَعَ تَلْعاً وتُلُوعاً النَّهار: طلع وارتفع
[6] البطحاء؛ جمعها: بطاح، وبطائح، وبطحاوات، والأبطح؛ وليس كما ورد أعلاه في زهر البستان. أما في بغية فكتب: ((البطحاء))؛ وهو صحيح.
[7] في بغية الرواد: ((تصبيني وتصبيها)). وهذا يخل بالوزن في التفعيلة الثالثة؛ إذ يسقط حرف سامن. سامن.

وخُضْتُ هول السُّرَى في مهمه قد
يقودني نحو سلمى فرط حيفها[1]
إذا الشباب رداء والصبا أنف
وحاكم الوصل لا يصغى لواشيها
وجنة الأنس قد حفّت بزخرفها
وأكؤس الوصل قد دارت بما فيها
فأجتني الدر من أثناء منطقها
وأرشف الريق إذ أُسْقاهُ من فيها[2]
ورب داجية درعاء دامسة
ولعت[3] من شغفي أثنا دياجيها
وما سيجري بها [4][صروحا رفعت][5]
كصرح بلقيس تمثيلاً وتشبيها

---

[1] في بغية الرواد: ((فرط حبها)).
[2] سقط هذا البيت في بغية الرواد.
[3] في بغية الرواد: ((ولجت)).
[4] نفسه: ((وما سميري فيها)).
[5] هذا الشطر مضطرب المعنى، ومختل الوزن؛ سواء في زهر البستان، أو بغية الرواد؛ إذ جاء فيهما هكذا: ((وما سيجري بها غير منصلت))؛ مع بعض التباين كما ورد في التعليق 3. وعلى هذا فقد غيرنا عبارة وضعت بين حاصرتين ليستقيم الوزن والمعنى معاً.

وأجـرد سابـح من نسـل أعـوج لا

يشكو[1]الوغى[2]حين تشكوه [القنا فيها][3]

يعـارض البـرق إذ يعـدو براكبـه

ويسبـق الريـح إذ تعـدو[4] عواديهـا[5]

وإذْ تقـول رعـاك الله كيـف بنـا

إذا [انتبهـت لجـرحي[6] داميـاً فيهـا][7]

وبادرتـك حمـاة الـحي مـن كثـب

وجمّعـت لـك دانيهـا وقاصيهـا

فأسرتي الأزد أسد في الوغى صبُر

عنـد الهيـاج إذا مـا اهتـاج داعيهـا

فقلـت حسبـك لسنـا مـن تورّعـه[8]

كمـاة قربـك[9] أو من قـد يضاهيهـا

---

[1] في الأصل بزهر البستان: ((تشكوا))؛ وما ورد في بغية الرواد أصح.
[2] في بغية الرواد: ((الوجى)). وما ورد في زهر البستان أسلم.
[3] هذا الشطر مختل الوزن؛ وقد صوبناه بوضع عبارة بين حاصرتين؛ بدلاً من كلمة: ((مذاكيها)) أو ((مزاكيها)). الواردة في بغية الرواد وزهر البستان.
[4] في الأصل بزهر البستان: ((تغدو))؛ وهو تحريف.
[5] العواد؛ مفردها العادية وهي: الخيل المغيرة.
[6] في بغية الرواد: ((إذا تنبهت الجرعا)). وهذا غير سليم.
[7] ورد هذا الشطر في زهر البستان هكذا: ((إذا انتبهت لجرحي فبمن فيها))؛ فاختل الوزن. وفي بغية الرواد هكذا: ((إذا تنبهت الجرعا بمن فيها)). وقد اختل الوزن فيهما. وعليه فقد وضعنا بين حاصرتين شطراً يعوض ما ترك.
[8] في بغية الرواد: ((تروعه)).
[9] نفسه: ((قومك)).

ولست أحجم إن ثار العجاج ولا
يزال بأسي لنار الحرب يذكيها
فذو الهوى لا تروع[1] الحرب حوزته
وإن داهتْه من الهيجا دواهيها
فاسمر الخط لا[2] تخطي مواقعه
وأسمر اللحظ منها حين لاقيها
فيا ليال مضت عنا ببهجتها
هل عطفة منك في المحيا نرجيها
لا عيش يعدل عندي عيش ذي سلم
ولا مودة سلمى الدهر أسلوها
فكم طويت السُّرَى طَيّ السجل وكم
منيت نفسي منى راقت أمانيها
وقد نظمت ضروب الشعر ممتدحاً
نظم الفرائد تجلو الخط قاريها[3]
وكم عملت على أعمالِ يعملني
وعزمة لِيَ أبديها وأخفيها

---

[1] كتب في الأصل بزهر البستان: ((يروع))؛ وما جاء في بغية الرواد أصح.
[2] في بغية الرواد: ((قد)).
[3] هذا الشطر ورد هكذا في بغية الرواد؛ بينما سقطت كلمة ((الخط)) في زهر البستان؛ الأمر الذي يخل بالوزن؛ ويربك المعنى.

/69ظ/إلى مقام إمام واحد[1] علم

كالشمس عزاً وترفيعاً وتشبيها

إلى جواد إذا ما مدَّ أنملة

حكى الغمام إذا جادت عزاليها[2]

فلا فضيلة إلاّ وهو مالكها

ولا رعية ألا وهو راعيها

ولا مآثر إلا وهو لابسها

ولا مفاخر إلا هو يحويها

ولا مجادة إلا وهو موجدها

ولا مكارم إلا وهو ثانيها[3]

فمن كموسى أبي حمو بن يوسف أم

من قد يجاريه في العلياء يبغيها

ومن كموسى إذا تتلى مناقبه

قد حاز مجداً على الأنام[4] تاليها

لم يرض بالدون من دنياه مذ سطعت

آيات سؤدده تتلى معاليها

[1] في بغية الرواد: ((واحد)).

[2] عَزَّ عِزّاً وعَزازة الماء: سال.العزّ: المطر الشديد.

[3] في بغية الرواد: ((بانيها))؛ وهذا أفضل.

[4] نفسه: ((على الأيام)).

كم خلة إن رآها ظل يسترها

ومنة في الورى ما زال يسديها

ونعمة في الدنا قد راح ينشرها

وزلة عن عيون الخلق يطويها[1]

سمت به عن حضيض الذل همته

لما غدا لرسوم الملك يحيها

لم تلهه لذة من دون مطلبه

ولا تنعم بالدنيا وما فيها

حتى تسنم في الأملاك منزلة

وحل من رتب الدنيا[2] أعاليها

وشاد[3] ملك بني زيان ثانية

وردها دولة [خصت أهاليها][4]

أتى بها دولة قل النظير لها

كأنما لم تدلها كفّ شانيها

---

[1] ورد هذا الشطر في بغية الرواد؛ بينما سقط في زهر البستان؛ حيث ورد في موضعه عجز البيت الذي سبقه؛ وهو: ((ومنة في الورى ما زال يسديها)). فأثبتنا ما جاء في بغية الرواد.

[2] في بغية الرواد: ((العليا)).

[3] كتب في الأصل بزهر البستان: ((أشاد)).

[4] جاء هذا الشطر في زهر البستان مضطرب المعنى مختل الوزن؛ هكذا: ((وردها دولة عن الأهليها))؛ وفي بغية الرواد: ((وردها دولة غرا لأهليها)). والشطران غير سليمين؛ لذا فقد وضعنا عبارة بين حاصرتين للتصويب.

فكم شكت وَصَباً[1] مما ألَمَّ بها
حتى شفاها من التبريج شافيها
جرى فأدرك ما قد شاء من وطر
جَرْيَ الجياد جرت في شأو مجراها[2]
فإن تكن حلبة الأقوام[3] قد سبقت
فها هو اليوم سباقاً[4] مُجَلِّيها
فمن[5] يلد مثل موسى أو كوالده
يرى العواقب للحسنى مساعيها
هُمُ الأُلَى جددوا آثار دولتهم
واستنقذوها ولكن من أعاديها
يَا بْنَ الملوك الأُلَى جَلَّتْ مآثرهم
لك الإمارة تعليها وتسميها
ظَهَرْتَ بالزَّابِ والزابي[به][6]صدعت
بأمره الكتب تصريحاً وتنبيها

---

[1] الوصب جمعه أوصاب: المرض والوجع الدائم، ونحول الجسم.
[2] في بغية الرواد: ((يجريها)).
[3] نفسه: ((الأقدام)).
[4] نفسه: ((سباق))؛ بدون تنوين؛ وهذا يخل بالوزن.
[5] نفسه: ((فلم))؛ وما ورد في زهر البستان أفضل.
[6] في الأصل بزهر البستان، وببغية الرواد: ((قد))؛ وهذا يخل بالوزن؛ لذا فقد وضعنا كلمة: ((به))؛ ((به))؛ بين حاصرتين لتصويب الوزن.

فَصُلْ على الدهر يَا بْنَ الأكرمين فقد

حويت مملكة جلّت معانيها

/70و/مولاي حبكمُ قد حل في خلدي

فأنت للنفس من أسنى أمانيها

إن غاب وجهك عن عيني مشاهدة

فالذكر للنفس يحييها ويبقيها

أو عاقني الدهر عن تقبل كفكم

ولم أزل لاقتناء المجد أبغيها

فقد [1] بعثت كتابي كي يقبلها

يهديه من نفحات الشوق هاديها

فهاكها بنت فكري قد بعث بها

وليس إلاَّ إلى علياك أهديها

أصحبتها محض ودي عند وجهتها

فالحب يجنبها والشوق يزجيها

(فقلت للنفس كفي عن معاتبتي

فقد حويت الدنا[2] طراً بما فيها[3]

---

[1] سقطت كلمة: ((فقد))؛ في زهر البستان؛ إذ ترك في مكانها فراغ.

[2] في الأصل ببغية الرواد: ((الدنيا))؛ وهذا يخل بالوزن. فوجب التصويب.

[3] هذا البيت والبيت الذي يليه؛ وردا في بغية الرواد؛ ولم يردا في زهر البستان.

أليس مولاي ذو الإحسان وجهني

حتى بلغت مُنًى مازلت تبغيها)

أعملت ركب قلوصي في لقائكمُ[1]

فالنفس قد بلغت أسنى تَرَجِّيها[2]

ونلت غاية ما أمَّلْت من وطر

فظلت أسحب ذيلي في الورى تيها[3]

فمن[4] يصل بأبي حمو حبائله

جادت دناه وكفت من تجنيها

فَلْيَغْضُ مولاي عن تقصير مادحه

فالنفس رهن صبابات تقاسيها[5]

والقلب مشتعل والفكر مشتغل

لأجل أندلس ضاقت مناحيها

جئناك والفتنة العمياءُ تخبط في

أرجائها وعدو الله راجيها

---

[1] لم يرد صدر البيت هذا في بغية الرواد؛ وورد بديلا له؛ وقد تمت الإشارة إليه في التعليق الموالي.

[2] جاء هذا العجز في بغية الرواد ضمن بيت آخر؛ وفي ترتيب مخالف؛ هكذا:
((وظلت أنشر شعري في بساطكم * فالنفس قد بلغت أسنى تمنيها))؛ مع تغيير في الكلمة الأخيرة التي كانت في زهر البستان: ((تَرَجِّيها)).

[3] كلمة: ((الورى))؛ كتبت في بغية الرواد: ((الذُّرا)).

[4] في بغية الرواد: ((ومن)).

[5] الكلمة الأخيرة: ((تقاسيها))؛ لم ترد هكذا في زهر البستان؛ بل كانت كلمة غير مفهومة ولا موزونة.

وظلت أنشر شعري في بساطكمُ[1]

فالنفس قد بلغت أسنَى تمنّيها[2]

ضاقت مسالكها مما ألَمَّ بها

فالدين من حزن قد ظل يبكيها

ما بين بحر خضم واعتداء عدا

وفتنة أعضلت سحقاً لبانيها

وقد تطاول أعناق العداة لها

يبغونها بالأذى[3] تباً لباغيها

تبكي لها أعين الإسلام حين ترى

ما حل بالدين فيها من أعاديها

هل ناصر يرتجى عند[4] الإله لها

أم عاضد لرسوم الدين يحييها[5]

هل مشفق راحم يرثي لغربتها

أم هل مجير من الأعداء يحميها

---

[1] لم يرد صدر هذا البيت في زهر البستان؛ وورد عجزه في بيت آخر؛ وجاء هكذا: ((وظلت أنشر شعري في بساطكم * فالنفس قد بلغت أسنى تمنيها)).

[2] عجز هذا البيت ورد في زهر البستان مع صدر آخر؛ تمت الإشارة إليه في تعليق سابق.

[3] في بغية الرواد: ((لأذى)).

[4] نفسه: ((بعد))؛ وهو تحريف.

[5] نفسه: ((يحيها))؛ وهو تحريف.

هل منقذ من أكف الكفر حوزتها
أم كاشف ضرها المودي[1] بأهليها
أم هل معين على من سامها ضرراً
فقد جنى الحرب فيها كف جانيها
واهاً لغربتها بين البقاع فمن
لجبر صدعتها إن راح يجريها
تلك الرزية إن سدت مسالكها
وصادف الغرض المقصود راميها
إن كنت قصرت في مدحي فعذريَ قد
شرحته لك تفصيلاً وتمويها
/70ظ/أقبل عليها وقابلها بفضلكُمُ
فقد حوت بك تشريفاً وتنويها
لا زلت في أفق العلياء مرتقياً
تمضي الأوامر في الدنيا وتجريها
***

[1] في بغية الرواد: ((المؤذي)).

ـ وقال أيضا في المعنى وبعثها من الأندلس[1]:

شوق ثريٌ بين الضلوع أواره   وحوى بشعر في الفؤاد سراره
عجبا لقلبي كيف باين صبره   وبربعه [آمالـه و] قـراره[2]
فارتاح لما راح في أحبائه   من بعد ما ألوى وشط مزاره
فَلِمَ البُكاء وقد دنت آماله   لما دنت أوطاره وديـاره
[فأصالها من] [3]لاعج زفرتي ومدامعي   سجما لمن أوطانة أوطاره
من يعتذر بوفى العهود وحفظها   لا بد تقبل في الوفى أعذاره
من لي بعودة معْهد خلفته   مع أن بعدي عنه لا أختاره
حسبي تلمسان وحسن عهودها   بالقلب في أبنائها استغفاره
بلد جنيت به المنى غض الجنى   وتفتحت لي بالندى أزهاره
فلقد رحلت عن الديار وخاطري   في ربعها تحدوا به أفكاره
هل لي إلى تلك المعاهد رجعة   طوبى لمن دار الأحبة داره
كم راحة قَضَّيْتُهَا وقَضَيْتها   في ظل [غيم أمطرت][4] أمطاره
أو يوم أنس في ذاره قطعتها   دارت علينا للسرور عقاره
لهفي على زين تضرم بالحمى   قد ساعدتني بالمنى أقداره

---

[1] في الأصل: ((الأندلوس))؛ وهو تحريف. وقال الشاعر هذه القصيدة في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)؛ ويجوز في متفاعلن = مستفعلن.ويجوز في الأعاريض متفاعلن أو فَعِلُن. أما الأضرب فيجوز فيهامتفاعلن، فَعِلاتن، مفعولن، فِعْلن، فَعِلن.

[2] تعذر استخراج بعض الكلمات في هذا الشطر. وعليه فقد عوض ما هو غامض؛ ووضع بين حاصرتين.

[3] كتب في هذا الحيز؛ كلمة غير مفهومة؛ لذا فقد عوضت بعبارة وضعت بين حاصرتين.

[4] العبارة ـ في الأصل هنا ـ غير واضحة؛ فعوضت بما ورد بين حاصرتين؛ لاستكمال معنى البيت.

والسعد يلحظنا بلحظٍ مساعد قد نال من دنياه ما يختاره
أيه بعيشك يا حمامة خبري كيف الحمى وأراكه وغراره[1]
[فتمايلت أشجاره وتراقصت][2] أطياره وتفتحت أزهاره
أم أبطح الصفصاف سال بمائه فجرت تجر على الحمى أنهاره
روض كأن النهر فيه صارم قد شيم للأفراح منه غراره
أم جيرة العباد قد حفظوا لنا عهد الهوى أم ضيعت أسراره
/71و/أم ضيعوا ذمم الجوار وما رعوا عهد تقادم سره وجهاره
فكم وإن بانوا وشط مزارهم [فعرفت فيها][3] أمنه وفخاره
كم ليل وصل بالمنى قضيته في دوح روض أينعت أشجاره
ومآرب بلغتها في معهد طلعت علينا بالمنى أقماره
فمتى ذكرت معاهدي بفنائها وزمان إنس قد صفت أكداره
فالجفن يهمي للنوى من بعدهم والشوق في طي الضلوع أواره
فأنا [إذن] لا أنثني عن ذكرهم[4] حسب المشوق على العدّ وتذكاره[5]
يا هل لذاك العهد بعد مضائه من عودة أم هل يعود جواره

---

[1] هكذا.
[2] هذا البيت مضطرب المعنى ومختل الوزن؛ إذ جاء هكذا: ((أرنحت أشجاره وترظت)). فصوب كما ورد أعلاه بين حاصرتين.
[3] العبارة هنا غير مفهومة؛ فعوضت بعبارة أخرى بين حاصرتين؛ لتسهيل قراءة شطر البيت.
[4] هذا الشطر مختل الوزن في تفعيلته الأولى؛ ويبدو أن كلمة ـ بقدر وتد مجموع (//0) ـ تنقص التفعيلة؛ لذا فقد أضفنا كلمة [إذن]؛ للتصويب.
[5] ثمة خلل بسيط في آخر الشطر.

أم هـل لأيـام مبلغها مضـت   من عطفه أم هل يرى مضماره
لـم أنـس يومـاً موقـفي بفنائـه   في موكب ما إن يشـق غبـاره
فكأنـه فلـك الغزالـة دائـراً   ومليكها قطـب عليـه مـداره
وكأنـه وجيوشـه مـن حولـه   بـدر ولكـن لا يخـاف شـراره
جيـش يـدور كأنـه بركابـه   كالزنـد دار عـلى حماة سـواره
فكـان أدهمـه وغبـرة وجهـه   ليـل تعـرى عـن دجـاه نهـاره
وكـان أشقـره يلعـب بـارق   أو سال فوق الجسم منـه نضـاره
وكـان أحمـره تفـشي حلـوه   شفق الدجى فاستحسنت آثاره
من كل طِرف تحت ذمْرٍ أشوس[1]   حسـن لدينـا كـرُّهُ وفَـرُّهُ
في ظل أمن تحت راية أروح   طابت محامـده وطـاب نهـاره
ومن افتككت من الأسارى معتلا   قـد استبـان بوجهـه إصـراره
من كل مقصوص الجناح مهيصه   خذلتـه في استرفاقـه أنصـاره
أعتقتهم ورفعت من أقدارهم   وفككت منهم من سجل[2] أساره
أمضيت رحلهم سنـام ظهـره   وكسوت منهم من وهت أطماره
[فهم على سبل الهدى أجريتهم   فغدوا مِنَ المواليَ همْ أحراره][3]

[1] الطرف هنا: الكريم من الخيل؛ من جهة الأم والأب. والذَّمِر والذِّمْر والذِّمِّير؛ جمعه أذمار: الشجاع. والأشوس: الرافع لرأسه في أنفة وتكبر.
[2] في الأصل: ((سجلك))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصويب.
[3] هذا البيت مضطرب بكامله، وتتقص صدره كلمة محيت بعض حروفها؛ وجاء البيت هكذا: ((فهم على حـ هم الهدى عـر * على حكم المولى أحراره)). وعليه فقد وضعنا بيتا آخر ـ بين حاصرتين ـ بدلاً منه. تسهيلا لتسلسل القصيدة.

/71ظ/ملك إذا عاد الظلوم يحله غفر الذنوب إذا بدا استغفاره
من آل زيان الذين إذا سموا فوق العلى لاحت به أقداره
من مثل موسى في الملوك إذا انتمى ركب الأصول فصح منه فخاره
فازت فراح الملك منه بمالك سطعت بآفاق العلى أنواره
رحب الجناب إذا العفاة قَصَدَتْه[1] فاضت لديهم بالنوال نجاره
ومتى كبا ذو عثرة فجوابه يكبوا الجواد وقد تقال عثاره
شهم إذا ثار العجاج وأعملت أسد الوغي وتنمرت أذماره[2]
أردى المجج وهو غير مدجج بالعزم جد والمضاء شعاره
مولاي يا قطب الملوك ومن عدت قبلي مناقبه ويحمِيَ جاره
إن كان عبدك قد نوى في ربعه ودنت بجمع الشمل منه دياره
وأراح في غرناطة قتب[3] النوى لما رمته إلى حماه عشاره
مازال حبك في حشاه كامنا فالقلب نحوك حيث كان مطاره
لم يثنه عن حبكم بُعْدُ المدى كلا ولم تهج بكم أفكاره
لم لا وقد آنسته ورفعته حتى اعتلا أعلى العلا قراره
وأنلته ما سَرَّه من دهره حسب الخديم إذا أتى إقراره
أرسلت سحب نداك يهمي سكبه فجنيت روضا بالمنى أثماره

---

[1] هكذا.
[2] أذمار؛ مفردها: الذّمير: أي الشجاع.
[3] القتب؛ جمعها أقتاب: الرحل.

وأفضت بحرَ الجود يجري زاخراً   وأنلتني فوق الذي أختاره
فالعبد لا يثني أعنة مدحه   عنكم وإن بعدت به أمصاره
فلقد ذهبت من أمداحك مذهبا   تتلى على مرّ الدنا أسطاره
يبدي علاك بيانه ويبينه   إذ ما ترى يتلوه [بل] أسفاره[1]
خذها إليك من البديع بديعة   فمن البديع لديه أو بهاره[2]
كم شاعر ترك القريض بلاده   حتى عناك فأفحمت نظاره
/72و/ وتزينت ببابكم أقواله   واستحسنت بمديحكم أشعاره[3]
[فَلأ زمَنْ][4] حَمْدَ الزّمان وشكره   إذ بان من صبح اللقاء أسفاره
ويرى خديمك في بساطك آمنا   من دهره قد [أينعت أزهاره][5]
وليغفرن ذنوب إن [ذي] أصبحت[6]   تجري إلى ذلك المقام قطاره
ويرى بمشورك المعظم منشدا   فأراق منه نظامه ونثاره
لا زال دهرك والسعود نجية   ما عاقبت أصاله أثماره

[1] التفعيلة الأخيرة غير سليمة؛ إذ ينقصها سبب خفيف (/0)؛ وعليه فقد أضفنا كلمة: ((بل))؛ بين حاصرتين لتصويب الوزن.
[2] البهار: الجمال.
[3] في الأصل: ((أشغاره))؛ بالغين المعجمة الموحدة الفوقية.
[4] نسخت في الأصل هكذا: ((فلا لزمن)) وهذا يخل بالوزن والمعنى معاً.؛ لذا فقد صوب الخلل بكلمة أخرى وضعت بين حاصرتين.
[5] التفعيلة الأخيرة في هذا الشطر غير سليمة؛ إذ زاد بها سبب خفيفف؛ يقابله: ((أو)) بأوطاره. لذا وجب حذفها لكي تسلم التفعيلة؛ وعليه؛ فقد غيرت في شطر العبارة الأخيرة؛ ووضعت أخرى بين حاصرتين.
[6] التفعيلة الأخيرة غير سليمة؛ وينقصها فرفان بقدر سبب خفيف (/0). وعليه فد أضفنا كلمة: [ذي] بين حاصرتين للتصويب.

ـ وله أيضاً في المعنى؛ وبعث له جائزتها[1] إلى الأندلس؛ ولم يزل يتعاهده ببعث القصائد[2]:

يرى تألق في سماء فؤادي   فجرت سحائب دمعيَ المنقاد
فيمن ترقرق للهوى علا لي   فلقد ترفق للنوى كجساد[3]
خلت الهوى حلو الجنى فإذا به   كره المراد مضاعف الأنكاد
خفت النوى والهجر هجر تذلل   وكرهته والوصل وصل طراد
حتى تحكم فيهم حكم النوى   فبقيت أندب عهد وصل سعاد
يا هل لدهر سالف من عطفه   ولوصل سعدى اليوم من ميعاد
هلا سريت ولو خبالا طارقا   فأبُتُّ شوقا بتّ في الأعضاد
[هلا شرعت بمدِّ حبل الوصل في   زمن بدا يدعو إلى الإبعاد][4]
حتى أناجي من وميضك موهنا   ما قد ثوى في أضلعي وفؤاد
أم هل إلى دار المحبة رجعة   فأحل بين خيامها والواد
[وأرى محيا وجهه متهللاً   يجلي سماحة حكمه المعتاد][5]

---

[1] في الأصل: ((جازتها))؛ وهو تحريف.

[2] نظمت هذه القصيدة في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)؛ ويجوز في متفاعلن = مستفعلن.ويجوز في الأعاريض متفاعلن أو فَعِلُن. أما الأضرب فيجوز فيها: متفاعلن، فَعِلاتن، مفعولن، فِعْلن، فَعِلن.

[3] هكذا.

[4] هذا البيت ـ كما يبدو ـ نسخ بشكل خاطئ. أو سقطت بعض كلماته؛ فجاء هكذا:
((مل ولو صب صبوها * أو تحت فرقا غاد)). وعليه فقد عوضناه ببيت آخر؛ وضع بين حاصرتين.

[5] هذا البيت مضطرب المعنى ومختل الوزن؛ وكلماته غير مفهومة؛ إذ نسخ هكذا:
((وأرى أسوة وجه من الأوه يعلي * سجايها يصوب عهاد)).وعليه فقد وضعنا بيتاً بديلاً له؛ وجعلناه بين حاصرتين؛ لتسهيل قراءة ما يليه.

ملك إذا ذكر الهيـاج وجدتـه   مـأوى الطريـد ورافـد الرفـاد
يعطي الحبا قبل السؤال عفاته   فخلالـه أربـت على التعـداد
مأوى الرياح إلى السماح فندها   وبـدا بـه كالكوكـب الوقـاد
جـذلان يمـلأ بهجـة ومكارمـا   أيـدي العفـاة وأعيـن القصـاد
/72ظ/طلق الجبين كأنها شمس الضحى   تحكيـه في صـور وفي أبـراد
متهلـل يـرجى إذا ظـن الجبـا   فتجـود سحـب بيانـه بعهـاد
فمـتى نظـرت لكفـه وعفاتـه   أبصـرت سـر البحـر والـوراد
وطي السماك من التواضع رفعه   فسمـا على النظراء والأضداد
مـلأ القلـوب محبة شهـدت لـه   مـن شاسـع الأغـوار والأعـاد
ورد البـلاد مليكها أبدى سنـا   من آيهـا طـوداً مـن الأطـواد
جمع القبائل بعدما طاحت بهـم   أبدى التعرف بعد طول طراد
غربت شموسهـمُ بأفق مغـارب   واستبدلـوا الأخـدان بالأصفـاد
ردَّ البـلاد لأهلهـا فكأنهـا   طلعـت ذكـاء سيرهـا المعتـاد
فخـرت تلمسـانُ بـه ولطالمـا   لبسـت لفقدهـمُ ثيـاب حـداد
كانـوا بـدوراً في مطالـع أفقهـا   بعـدت عليهـم فالعبـاد عـواد
حتى أباح لها الزمـان لقائهـم   [وأدام وصـل قـد أتى بجهـاد][1]

---

[1] جاء هذا الشطر هكذا: ((وأراح حمله صعبة المساد))؛ فكان مضطرب المعنى ومختل الوزن. لذا فقد عوض بشطر آخر؛ وضع بين حاصرتين.

ثـارت بمـوسى سـورة ملكيـة[1] تسمـوا إلى الآبـاء والأجـداد
فأعادهـا غـراء يسطـع نورهـا [وافتـك][2] ربعهـا مـن الأعـاد
فكأنمـا زيـان قـد أوصـاه في أبنائـــه وكـــرام عبـد الـــواد
حقاً على الأبناء بسط حدودهم ليطـأ عليهـم رائحـا (أو غـاد)[3]
عـزوا بملكك قد جمعـت شتاتهـم وسمـوا وقد وافـوا على الإخمـاد
قـل للذي أبـدى العـداوة منهـم [خابـت جهـودك كلها بحـداد][4]
....[5]
أوَ بَعدمـا ألبستهـم مـن عـزة ثـوب التظاهـر طـامي الإمـداد
[وتمهـدت أوطانهـم وأمالهـم لكـنَّ فيهـم مـن يعض الأيـاد][6]
هـلا بصرت زمـان كنت مذممـا تمسي وتصبح في لظى الأصفـاد
هـذا الذي فتـح [البـلاد] وحاطهـا[7] [برعايـــة وحمايـــة الأمجـــاد][8]

---

[1] في الأصل: ((مليكه))؛ وهو تحريف.
[2] الكلمة في الأصل هنا غير واضحة؛ وقد وضعنا بدلاً منها بين حاصرتين.
[3] لم يوفق الشاعر هنا. فقد توحي هذه العبارة بما لا يقصده.
[4] نسخ هذا الشطر ـ في الأصل ـ هكذا: ((ظفرت بذاك تخبية الآساد)). وهذا غير مفهوم ولا موزون.لذا فقد نظمنا شطراً آخر ـ لتسهيل متابعة البيت ـ وضع بين حاصرتين.
[5] ترك في هذا الحيز فراغ؛ يبدو أن بيتاً سقط في موضعه.
[6] نسخ هذا البيت في الأصل بشكر رديء؛ بحيث اضطرب معناه، واختل وزنه؛ هكذا: ((وترتب من أحائه مأمن * فكفرت ما قد كان من إلحاد)). لذا فقد نظمنا بيتاً آخر؛ وضعناه بين حاصرتين؛ لكي نسهل متابعة القراءة.
[7] اختل وزن هذا الشطر ـ في الأصل ـ بسبب خلل في التفعيلتين: الثالثة والرابعة؛ فوجب إضافة كلمة: [البلاد]؛ لكي يستقيم الوزن ويكمل المعنى.
[8] نسخ هذا الشطر ـ في الأصل ـ بشكل رديء؛ تعذر فهمه، أو نسخه. لذا فقد عوضناه بنظم شطر آخر؛ ثم وضعناه بين حاصرتين.

/73و/من رام إطفاء النور طلعة أرداه سوء مراده بفساد[1]
من كان طالبه الإله وسيفكم فوريده زرع دنا لحصاد
لكن عفوت وسرت سيرتك التي كادت تكون سنا لهدي الهاد
وعدلت [إذ] للحلم أعددته[2] لجهالة الجهال والأوحاد
لا تلتفت ما جَمَّعوا من كيدهم أو أظهروا من مظهر الأحقاد
فلأنت منصور اللواء مؤيد مبد المهند في الطلا والهاد[3]
فالدهر والأقدار طوع مرادكم وبنوا الدنا من حاضر أو باد
فاحكم على الأقدار في حركاتها فلقد ظفرت بنيل كل المراد
وجرى القضاء [بها كما][4] أملته وحداه طوعا نحو أمرك حاد
وعنا الزمان لأمر ملكك خاضعا وجرى بسعد دائم الأسعاد
مولاي يا خير الملوك ومن جرت أيامه عيدا من الأعياد
ما للخلافة في البسيطة غيركم فانفذ لها بعواتك الأنجاد
فلسوف تملكها على رغم العدى وتجود جودة كل قطر باد
حتى تحج ومكة في حوزكم وترى بطيبة نور أعظم هاد
ما إن لها إلا أبو حموا الذي مولى الملوك وصفوة الأنجاد

---

[1] ثمة خلل بسيط في التفعيلة الأخيرة.
[2] ثمة خلل في وزن هذا الشطر؛ سببه التفعيلة الأولى؛ التي ينقصها سبب خفيف (/0)؛ لذا قد أضفنا كلمة: [إذ] للتصويب.
للتصويب.
[3] هكذا.
[4] ترك في هذا الحيز فراغ ـ في الأصل ـ بمقدار تفعيلة؛ ينقصها حرف متحرك؛ مثل: (./././.) أو (././/.). وعليه فقد وضعنا كلمة مناسبة بين حاصرتين لاستكمال معنى الشطر، والحفاظ على الوزن.

موسى بن يوسف الإمام المرتضى أمــل العبــاد ونخبــة المرتـــاد

والمالك الزابي [هو الذي] أخبرت[1] أن ســوف يملكهـا إلى الأمــاد

أهل المباحث في الكيان ومن صفت أفكارهـم كالقطــب والأوتــاد

فانهض لها فلأنت صاحب أمرها حـتى تزلــزل صفهــا بقيــاد

وبضــمِّ شــرقيِّ البـلاد لغربهـا وتقـود من لـم ينـف بالمنقـاد

مولاي لست بقانع حتى يرى ملك الورى من طارق وتلاد

في ملك ملكك سَرْمَد لا ينقضي أبــدا وفي الآبـــاء والأجــداد

فلقد حرقت القلب مني والحشا وسريت مسرى الروح في الأجساد

/73ظ/فلذكركم أحلى لدي من المنى والدمن من ورد الزلال لصاد

ولأنْتُمُ أسنَى إذ أجن الدجى ولأنت فخري عند حفل الباد

لم لا وقد أعليت ذكري في الورى وأنلتـني في الدهـر فـوق مـراد

وأفضت بحر الجود يزخر موجه بسوابـغ النعـمى وبيـض أيـاد

أوليتـني منـك الجميـل تفضلا وجريـت نحـو كمالـك المعتـاد

آنستـني وأنلتـني مـا [أشتـهي][2] لمـا هـداني نحـو بابـك هــاد

ثــم أتيــت في بــلادي وافيـــا وسنى لحَظُّـك عمدتي وعماد

في صحبتي الأمر العزيز فصح لي عــزاً وجاهــاً سابــغ الأبـــراد

[1] هذا الشطر مختل الوزن؛ إذ جاء هكذا: ((والمالك الزابي من قد أخبرت)). والخلل في التفعيلتين الثالثة والرابعة؛ وعليه فقد وضعنا عبارة أخرى بين حاصرتين للتصويب.

[2] في الأصل: ((تسينه))؛ وهذا تحريف؛ يخل بالوزن؛ ويفسد المعنى. لذا فقد وضعنا كلمة أخرى بين حاصرتين؛ لكي تسهل مواصلة القراءة.

وكتبت لي مولاي منك عناية   أضحى الزمان لها من الحساد
خطبت عندك فاعتلا بخطابكم   وغدا علاك الكوكب الوقاد
وحبوتني بنظار رفدك منعماً   أعظم به من أعظم الأرفاد
وشفعت [الآن لي][1] شفاعة   فأتت في الدهر سبل رشاد
ماذا عسى أثني عليك وأنت لي   من ريب دهري عترتي وعتاد
لم تنس عبدك عند بعد مزاده   فجعلت رفدك [راية الأمجاد][2]
من ذا يقوم بشكر ما أوليتم   فهباتكم أربت على التعداد
قد طبق الآفاق عرف ثنائكم   وبدا سناه بأوج كل فواد
إن كان عبدك قد وني[3] في شكره   وبدت لديه من القصور بواد
فالصفح منك كما عهدت سجية   فاصفح فصفحك روضتي ومراد
لا زلت ترفل في ملابس غبطة   ما حَنَّ قُمْريٌّ ببانةِ واد

***

---

[1] في الأصل؛ ترك في هذا الحيز فراغ بقدر تفعيلة + حرف متحرك. وعليه فقد وضعنا كلمة بين حاصرتين تملأ الفراغ، وتكمل معنى الشطر.
[2] جاء هذا الشطر ـ في الأصل ـ هكذا: ((فجعلت رفدك من العواد))؛ وهذا يخل بالوزن. لذا فقد أضفنا كلمتين؛ وضعتا بين حاصرتين؛ للتصويب.
[3] وني: فتر وضعف.

ـ وله أيضاً في المعنى بعث بها من الأندلس حاطها الله تعالى[1]:

عج بتلك الرُّبَى[2] وتلك المغاني واسأل الربع[3] أين تلك الغوانِي
ألِنَجْدٍ تَرحَّلوا أم لسلع[4] أم[5] أناخوا رحالهم بعمانِ[6]
فلعل الديار تُنْبِئُ عنهم أين حلّوا بظبى تلك المغاني
فلقد قُفِّرَت[7] خيام لسلمى ونأى عني[8] بعدما كان داني
ونأى بدر حسنها عن جفوني لهف نفسي لريب[9] هذا الزمان[10]
كنت أرجو الزمان يجمع شملي وأهاب النوى وهجر الحسان
وأخاف الفراق منها كما قد[11] خافتا منه نخلتا حلوان[12]
فإذا الدهر قد سَقَانِيَّ كاساً من تنائي أحبتي إذ[13] سقاني
كيف لي بالسلو عن حب رود صيرتني في ربقة الحب عاني

---

[1] نظم الشاعر هذه القصيدة في بحر الخفيف (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن). ويجوز في فاعلاتن = فعلاتن، وفي مستفعلن = مفاعلن. وفي الأعاريض = فاعلن، وفي الأضرب = مفعولن، وفاعلن.
[2] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب ـ في الأصل ـ بزهر البستان: ((الدنى))؛ بالألف المقصورة.
[3] في بغية الرواد: ((الركب)).
[4] اضطرب الناسخ في زهر البستان؛ فكتب لسلع هكذا: ((لسلفع)).
[5] في بغية الرواد: ((أو)).
[6] ثمة خلل بسيط في التفعيلة الثالثة؛ بسقوط حرف ساكن.
[7] في بغية الرواد: ((أقفرت)).
[8] نفسه: ((الحي)).
[9] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب ـ في الأصل ـ بزهر البستان: ((ريب)). وهذا يخل بوزن العجز.
[10] اختل الوزن في التفعيلة الثالثة.
[11] هكذا في بغية الرواد بينما ورد هذا الشطر ـ في الأصل ـ بزهر البستان هكذا: ((وأخاف فراقها مثل ما مر))؛ وهذا يخل بالوزن.
[12] في بغية الرواد: ((خافتها منه نخلتا حلوان)). وهذا يخل بالوزن.
[13] نفسه: ((قد)).

وبرتـــني بأسهـــم مـــن لحـــاظ   تركتـني صريـع مـا قـد بـراني

لو عرفـت[1] اللحـاظ تملك فتكـاً   لثنينـــا[2] أعنـــة اللحظـــان

ويحَ من بالجفون يشكو هياماً   قد عـراه من النـوى ما عـراني

فسهام اللحـاظ يـا عمرو أمضى   من سهـام القسي يـوم الرهـان

فصريـع الغـواني أودى صريعــاً   ونجـا في الهيـاج زيـد الطعـان

لا تـزدني مـع الغـرام عتابــاً   خلّني فالعتـاب ما قـد شجـاني

لـك في الناس راحة فاطرحني   يا عـذولي فلسـت تعرف شـاني

بعد بعـد الحبيب أرجوا سـروراً   ونـواه قـد جـنّ منه جنـاني[3]

أضحك العاذليـن[4] بعـدك عـني   ولقــد ســر للوشـــاة هـــواني

بلـــغ الحاســـدون مـــا أملـــوه   ورثى الشامتـــون ممـــا دهـــاني

لهـف نفسي علـى زمـان تـولى   طيـب ذكـراه في فـمي ولسـاني

كنت أسطو على النوى باقترابي   وأبـــاهي[5] بساميـــات الأمـــاني

فتـــودّ الشعـرى العبـور دنـوي   ويـــودّ السـهى رفيـــع مكـــاني

ومصلي الوصـال يقصر عـني   ومجلّيـــه عــــن لحـــافيَ وان

---

[1] في بغية الرواد: ((عرفنا)).

[2] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((لثنيت))؛ وهذا يخل بالوزن. ولهذا السبب كتب في صدر البيت كلمة: ((عرفنا))؛ لكي تتوافق مع ما ورد في عجز البيت.

[3] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب ـ في الأصل ـ بزهر البستان: ((حسان)). وهذا يخل بالوزن في التفعيلة الأخيرة؛ إذ يسقط منها حرف ساكن.

[4] في الأصل بزهر البستان: ((العاذلون))؛ وهو خطأ نحوي.

[5] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((وأصول)). وهذا يخل بالوزن؛ بسقوط حرف حرف ساكن في التفعيلة الأولى.

ورياض الوصال غض جناها[1] ونسيم الرضى بها متدان[2]
فإذا الدهر قد عدا بنواه وسطا بي ولج في عصياني
/74ظ/هدّ ركن الوصال منه بصد بعدما كان للتوصل بان[3]
ليس عتب على تقلب دهر قد عرفنا انقلاب هذا الزمان
فاترك اللهو قد مضى فيه دهر فهوادي المشيب عين الهوان[4]
واصرف النفس نحو مدح إمام أوحد في الذكاء والإحسان
ماجد يملأ البسيطة نورا[5] [وجودا به تنال] الأماني[6]
عمّ إحسانه البرايا فأحيا يمن يمناه كل قاص ودان
يتلقى العفاة منه بجدوى دونها البحر وانسجام[7] العنان
يصل المَنْح والعطاء ببشْرٍ يهتدي من سنائه القمران[8]
فأياديه في الورى ليس تحصى أوَ تحصى الأنفاس بالحسبان
بيت ملك قد أسَّسَتْه كرام وبنته على رضى الرحمان
من يضاهى لآل زيان يوماً وهُوَ[9] الصدر والملوك ثوان

[1] هكذا في بغية الرواد؛ وهو أسلم؛ بينما كتب في زهر البستان: ((جناه)).
[2] في بغية الرواد: ((متوان)). وما جاء في زهر البستان أفضل.
[3] سقط هذا البيت في زهر البستان؛ بينما ورد في بغية الرواد.
[4] في بغية الرواد: ((فالهوى بالمشيب عين الهوان)).
[5] نفسه: ((عدلاً)).
[6] بتر عجز البيت هذا في زهر البستان؛ إذ ترك فيه فراغ بقدر كلمتين؛ كما هو واضح أعلاه. وكل ما ورد هو: ((وجوادا..........الأماني)).
[7] في بغية الرواد: ((وانسكاب)).
[8] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((الثقلان)).
[9] في بغية الرواد: ((وهُمُ)).

يا سناء الملوك حبك فرض[1]   واجب في الورى على الأعيان

يا إمام القريض والحرب والمحـ   ـراب والجود والحجى والرهان[2]

قد دعاني إلى امتداحك حبّي   غير أني مقصّر في البيان

فامرؤ القيس لو أتاك بمدح   كان عن درك بعض علياك وان[3]

فارض بالوزن والروي ودَعْني   لا تؤاخذ بضعف هذي المعاني

فَلَوَآنْ قد ظهرت في عصر وحي[4]   لوصفت[5] في محكم القرآن

إن تأخرت في الزمان فرشد   قد تجلى لأهل هذا الزمان[6]

من يطل مدحه[7] مجده البرية طراً   كيف تحصى أوصافه باللسان

غير أن البشير وافى بغرب[8]   منك فارتاح خاطري وجناني

وأتى بالوصال رايد بشرى   فخررنا شكراً على الأذقان

واصطحبنا من السرور عقاراً   تعقر الهمّ لا عقار الدنان

فهنيئاً لِيَ اللقاءُ هنيئاً   قد بلغنا به المنى والأماني

---

[1] هكذا في بغية الرواد؛ بينما جاء هذا الشطر في ـ الأصل ـ بزهر البستان هكذا:
((يا سمى الكليم حبك فرض)).

[2] اختل هذا البيت في بغية الرواد، وسقطت منه ((والمحراب))؛ فجاء هكذا:
((يا إمام القريض والحرب والجو * دِ والحجى والرهان)).

[3] هكذا ورد الشطر في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان هكذا:
((كان عن بعض درك علياك وان)). وهذا يخل بالوزن، ويفسد المعنى.

[4] هكذا في بغية الرواد؛ بينما سقطت في زهر البستان عبارة: ((في عصر وحي)).

[5] في بغية الرواد: ((لوصفتهم)). وهذا يخل بالوزن.

[6] هكذا في بغية الرواد؛ وهو أسلم للوزن؛ بينما كتب في زهر البستان: ((قد أريد بأهل هذا الزمان)).

[7] في بغية الرواد: ((مجده)).

[8] نفسه: ((بقرب)).

/75و/فمحياك مذ تراءى لعيني	لم نخف[1] من مصارف الحدثان
واهنإ السلم[2] يا إمام البرايا	وسراج الورى وقطب الأوان
فملوك الزمان جاءتك طوعاً	تبتغي السلم جُنَّحاً للأمان[3]
**رغبوا منك في الأمان فأنعمـ	ـت عليهم في السر والإعلان[4]**
وتصدقت منعماً بأمان	فلك السبق واعتلاء المكان
ولك الأمر فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ	وتحكم في الملك والسلطان
فلك الفضل مذ أجبت نداهم	وتبعتم وصية الرحمان[5]
فَتَحَكَّمْ على الملوك فكلٌّ	قد أتاكم بالعفو والإذعان
يا ملاذ الورى وكهف البرايا	وعماد الدنا وفخر الزمان
أبتغي من نَداك طِرْفاً كريماً	ليس يعزى إلى الخيول الهجان
فخديم المقام قد ضاق ذرعاً	بامتطاء البغال[6] ذات الحران
فأرحني مِنَ امْتطاء بغال[7]	واجبر العبد مولياً[8] بحصان

---

[1] في بغية الرواد: ((لم أخف)).
[2] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((واهنا فالسلم)). وهذا يخل بالوزن.
[3] هكذا ورد هذا الشطر في بغية الرواد؛ وهو أسلم. أما الذي ورد في زهر البستان فهكذا: ((تبتغي في السر والإعلان)).
[4] سقط هذا البيت في زهر البستان؛ بينما ورد في بغية الرواد.
[5] ورد هذا البيت في بغية الرواد كما جاء أعلاه؛ بينما جاء في زهر البستان مبتوراً؛ إذ سقطت منه كلمات وأحرف؛ فاختل وزنه، وغمض معناه فجاء هكذا: ((ولك الفضل مذ أهبت برأيهم * وتبعت ..... وصـ... بان)).
[6] في بغية الرواد: ((النعال))؛ وهو تحريف.
[7] حرفت في بغية الرواد: فكتبت ((نعال))
[8] في زهرالبستان: ((مويلي)).

كيف أبقى أمشي على الأرض هوناً أشتكي بـرْح شـدة الدميـان
أو أرى في الدنا ومرتع عـزي[1] مجدب أو أخاف[2] داء الهـوان
والأمير الإمام موسى المعلى[3] غير نـاء ولا عطـاه بـوان
من يرد حوض جوده كيف يخشى في دنـاه اعوجـاج هذا الزمـان
حـاش للـه أن أرى ومحـلي منك فاض ومعهدي[4] غير دان
فـودادي يقـضي بأنـك ركـني ومـلاذي وعاضـدي وأمـاني
فابـق يا أوحـد الزمـان[5] رفيعـاً في العـلى مـا يضاعـف[6]

***

[1] في بغية الرواد: ((أو أرى في الورى ومربع عزي)).
[2] نفسه: ((أو أخاه)).
[3] نفسه: ((وإمام الملوك موسى المعلى)).
[4] نفسه: ((ومطلبي)).
[5] نفسه: ((الملوك)).
[6] هكذا، وفي بغية الرواد: ما تصاحب)).

ولما (.....)[1] الرسولان، ورفع الله سبحانه (....)[2] والشتات؛ شاع الخبر في الأقلام، وفرح الخاص والعام؛ بهذا الصبح الدائم. علم الناس أن المولى **أبو حمو** محظوظ بالساعة؛ مساعد بالأقدار والإرادة؛ وأن اليمن حالف الخلافة **الزيانية**، وقضى لها بالنصر؛ في السرّ والعلانية. **/75ظ/**واتصل الخبر **ببلاد التوحيد**[3] وردّ أهل تلك البلاد[4]؛ أن يكونوا من من جملة العبيد. فدعا أهل **تدلس** داعي المحبة؛ إلى خدمته، والدخول تحت أمره العزيز وحرمته.

***

---

[1] ترك هنا فراغ يتسع لكلمة؛ قد تكون: ((رجع)).

[2] ترك أيضاً فراغ هنا بقدر كلمتين تقريباً؛ مثل: ((المعاناة والظلم)).

[3] يقصد الحفصيين.

[4] حرفت هذه العبارة في الأصل؛ فكتبت هكذا: ((ورد تلك أهل البلاد)).

ذكر
خدمة أهل تدلس ورجوعهم عن بيعة الموحدين وخدمتهم المولى أبي حمو أمير المسلمين

ولما سمع أهل تدلس المذكور بمآثر المولى أبى حمو السلطان المنصور وأن صاحب المغرب أطلق قبيله وصالحه ووالاه[1] أيقن كل ذي لب أنه منة الله؛ لم يمنّ بها عليه سواه. هجت نفوسهم للدخول في طاعته والانتظام في سلك جماعته؛ وهم تحت بيعة الموحدين، وبحبل إمامتهم مستمكنين. ولم يكن بين المولى أبو حمو وبين الموحدين مشاجرة، ولا مناكرة، ولا منافرة؛ فتوقف أهل تدلس في شأن الخدمة؛ لأجل بقاء الحرمة؛ إلاّ أنهم يراسلون قائد بني عبد الواد الذي يليهم بأطراف البلاد؛ يعرفونه أنهم يريدون خدمة المولى أبى حمو السلطان، والإضراب عن خدمة الموحدين؛ لقلة الأمان، أو لعلة ما أضرت بهم في بلدهم أو اختيار النيل[2] مقصدهم. فعندما كاتبوا عمر بن موسى[3] قائد بني عبد الواد؛ كتب القائد للمولى أبى حمو؛ يعرفه بما عوّل عليه أهل تدلس من الخدمة والاقتصاد؛ فكتب إليه بمحاولتهم، وأن يعمل على مراسلتهم. فلم يزل يحاولهم ويحاولونه، ويراسلهم. هذا وقائدهم الموحد؛ لا شعور له بذالك، ولا يعرف ما أضمر له من المهالك؛ إلى

---

[1] في الأصل: ((ولاه))؛ وهو تحريف.
[2] هكذا.
[3] عمر بن موسى المطهري.

أن تـمّ الأمر بين القائد وأهـل البلـد؛ وتواعـدوا عـلى أن يكـون الوثـوب عـلى القائـد في يـوم الأحـد؛ بـادروا حيلتهـم، وأدخلـوا رجـال بـني عبـد الـواد في الليـل؛ واغتالـوا القائـد الموحـد /76و/**أبي غيـل**؛ فدخلـوا عليـه البلـد خدعـة لقي بفجعـة يـا لهـا فجعـة؛ سلـب عـن كـل شيء، وصـار شبـه ميـت في حي. فمـن عليـه قائـد بـني عبـد الـواد ببقـاء نفسـه؛ ولـو شـاء ألحقـه برسمـه؛ ثـم صرفـه في البحـر إلى سلطانـه؛ وتملـك عمـر بـن مـوسى عـلى أوطانـه. فكـان دخولـه يـوم الأحـد الحـادي عشر لصفـر [763هـ/1361م][1].

وبلـغ مـن المكيـدة ـ في دخولهـا ـ أسـنى الوطـر. فلمـا وصـل قائـد الموحديـن إلى سلطانـه؛ أعلمـه كيـف عمـل عـلى خذلانـه؛ ثـم قـال: يعطـني[2] المحـلات؛ أحاصـره وأضايقـه وأفاتنـه وأراهقـه. واتفـق أن كـان ببجايـة جماعـة مـن **مغـراوة**؛ وهـم الذيـن أجلاهـم المـولى أبـو حمـو؛ حيـن أظهـروا العـداوة؛ فساعـدوه عـلى العنـاد، وعـلى حصـار البلـد؛ مـع طائفـة بـني[3] تدلـس المذكـور؛ مـن مصالـة؛ أخذتهـم النعـرة بموجـب هـذه الحالـة؛ فعمـل المـولى أبـو حمـو عـلى حصـار تدلـس بـراً وبحـراً؛ وأن يضيِّـق جهاتهـا سهـلاً ووعـراً. وارتحلـت المحلـة مـن رشـا بجايـة إلى الخميـس؛ عامليـن عـلى فسـاد تدلـس عـلى وجـه التنكيـس. فلمـا تحقـق الخبر عنـد عمـر بـن مـوسى؛ حـسّ لذلـك حسيسـاً؛ فبعـث إلى المـولى أبى حمـو؛ يعلمـه بمـا عـوّل عليـه صاحـب

---

[1] جاء في بغية الرواد؛ أنه دخل تدلس في أوائل جمادى الأولى من عام 763هـ/1361م.

[2] هكذا.

[3] في الأصل: ((يلي))؛ وهو تحريف.

بجاية؛ من الإرجاف لأهل تدلس، والنكاية بهم؛ وأنه أراد أن يبطش بها براً وبحراً؛ وإن ظفر بها؛ فيتركها قفراً. ولما تحقق المولى أبو حمو مقالة قائده؛ خاف ما يتطرق عليه من عمل الموحدي[1] ومكائده؛ أمر بإخراج المحال، وأمر بالحشد في نفس الحال؛ فأتت الأحشاد، وتوافرت الأعداد. وعندما توفرت الحركة؛ أعطى الأجياد المرتبات، وانهالت عليهم البركة؛ ثم قدم وزيره الأكبر وحشام دولته الأشهر عبد الله بن مسلم؛ على محلاته؛ وأمره أن يسير إلى الأوطان ببجاية؛ ويظهر للموحد[2] عن معاداته.

***

[1] في الأصل: ((من حمل الموحد))؛ وهو تحريف.
[2] هكذا. أي الموحدي.

ذكر
خروج الوزير المكرم عبد الله بن مسلم للبلاد الشرقية واتصاله بالأحواز البجائية

السبب /76ظ/في خروج الوزير عبد الله بن مسلم للجهات الشرقية، واتصاله بالأحواز الجرجرية؛ هو ما قدمناه من خبر تدلس المذكور، وما عوّل عليه الموحد من ترفيع أهلها في الشور[1]. ولما سمع الموحدِ أن محال بني عبد الواد قاصدة إليه، ومعولة على فساد بلاده؛ وعليه أضرب عن تدلس صفحاً، وأحجم عن المراد قهراً لا صلحاً؛ خشية ما يتطرق من الأنكاد من جهة محال بني عبد الواد. فأعصى على ما في جفنه من القذى، وتحمل ما أصابه من الأذى؛ وصرف محلته لجهاته الشرقية، وترقب ما يصدر من الأخبار لعبد الوادي. فلم يزل الوزير يرحل بمحاله، وينزل تارة ويعجل وتارة يمهل؛ لا يأتى على قبيل إلاّ مهده، ولا بلدة إلاّ وأصلحه[2] وسدده؛ إلى بلغ[3] جرجرة منبعث الوادي الكبير إلى بجاية، وأول بلاد التوحيد؛ ومن بلاده النهاية. فتزلزلت الأوطان لإتيان (......)[4]؛ خلاف الموحد؛ من نار شيطانية؛ وطلب المسالمة في بلده؛ فضلاً عن الوطن[5]. ونشأت بهذا السبب المحن

---

[1] رسمت هكذا.
[2] هكذا. والصحيح: ((وأصلحها)).
[3] يريد: (((إلى أن...)).
[4] ترك هنا فراغ؛ ربما كانت به عبارة: ((بني عبد الواد)).
[5] هكذا ورت هذه العبارة في الأصل.

والإحن. وعندما توغل[1] في البلاد؛ أتته القبائل والأعراب؛ وأناب له من لم يقل أنه قط أناب. فشرع في تغريم تلك البلاد؛ واتسع الخبر لبني عبد الواد؛ فأخذ وأعطى، وقهر ووطا، وسدد وصلح، وأطلق وسرح، وتوغل في البلاد كيف أراد، وبلغ في الأعداء المراد. فاتته القبائل بالهدايا، وأذعنت لأحكامه الرعايا، ورغب أهل البلاد في خدمته، وثابوا إلى عدله وحرمته؛ يجبا[2] الجبايا من الأعراب؛ وأجرى العطايا لمن أناب[3]؛ وهمّ أن يدخل البلاد الزّابية، وأن يشهر هنالك الكلمة الزيانية. هذا كله والسعادة الموسوية[4] تعضده، واليمن الزياني يقدمه ويرشده. فنشر بتلك البلاد أعلامه، وأنفذ في أهلها أحكامه. ولم يزل /77و/أمره (.....)[5] بخاصها، وواصل إلى أقاصيها؛ إلى أن استوفى خروج السعة، وأنس أهل تلك البلاد بفعاله الحسنة. ولم ينته[6] لحضرة لحضرة تلمسان إلا كتاب المولى أبى حمو السلطان. وذلك لسبب أذكره، وخبر وجب أن (....)[7]؛ وذلك أن المولى أبا حمو؛ لما صرف وزيره عبد عبد الله ابن مسلم للبلاد الشرقية؛ لأمر تدلس المهم، وتوغل بتلك البلاد، وقهر جميع الأعادي[8]؛ بقي بتلمسان مع أعيان حضرته،

[1] أي: الوزير عبد الله بن مسلم.
[2] هكذا. والصحيح: ((يجبي)).
[3] حرفت في الأصل؛ فكتبت: ((أنات)).
[4] نسبة إلى السلطان موسى بن يوسف سلطان بني زيان.
[5] ترك فراغ في هذا الحيز؛ الذي يسع كلمة. ربما يصلح فيه: ((يتعزز)).
[6] أي: ((ولم يرجعه...)).
[7] كلمة هنا غير واضحة تماما؛ قد تكون: ((نشهره)).
[8] في الأصل: ((الأعادِ)).

ووجوه قبيله وعترته؛ وكتب وزيره تتواتر عليه بالفتوحات، وبشائر ينسي ماضيها الآتي[1] في كل الأوقات؛ إذ أتاه آت؛ أخبره بهروب ابن عمه محمد بن المولى أبى سعيد؛ وأنه جاء في جيش من الأعراب شديد، وأنه يريد تلمسان، وأنه أطمع الأعراب بأن يعطيهم الأوطان، ويليهم الموالاة الكلية، وأنهم يكونون عين الحضرة الزيانية؛ فتاقت نفوسهم لذلك، فأوردهم الطمع مورد المهالك.

***

[1] في الأصل: ((الآت)).

السبب في هروب محمد ابن المولى أبي سعيد المذكور وخروجه من فاس على أعين الجمهور

وذلك أن محمد هذا لم يزل تحت ثقاف بني مرين؛ من حين هلك المولى أبى سعيد نحو ثمان سنين في ذل واقتهار، وإهمال واحتقار؛ وملوك بني مرين تختلف عليه بالخلع والممات، والغدر والشتات؛ وهو ـ مع ذلك ـ يسوم نفسه من كل يوم، ويحوم على الفرار أي حوم؛ إلى أن وقعت الفترة بموت أبى سالم، وتَولَى أخوه أبو عمر؛ ولم يكن في سلطانه بالحازم. ووقعت هرجة حلي بن عمر بن عثمان؛ المصروف من قبل المولى أبى حمو السلطان؛ واشتعلت نار الفتن. وأراد الله أن تذهب عنه أيام المحن؛ فخرج في حشو خباء من الباب؛ وستره الله من الوشاة والرقاب. وعندما حل بخارج البلد حيث يملك نفسه؛ علم أن الله أزال نكسه؛ فسار إلى البلاد /77ظ/السجلماسية؛ فاراً، ولنفسه في الحقيقة أصبح عاراً؛ لا يأمن من يجرده[1] إلى عدوه، ويأخذ وجهاً به؛ لشرفه في قومه، وسموه. ولم يزل يعالج وغبار[2] السفر إلى أن لحق بالأعراب، ودخلهم دخيلاً أن يجيره من الانتكاب؛ ثم توعدهم إن أعانوه على أخذ بلاده؛ فيجعلهم من أنصاره وأنجاده؛ ثم تسامعت به الأعراب وانجلبت إليه، وتبادرت صعاليك العرب من حينها إليه؛ فأطعمهم بما

---

[1] هكذا. ولعلها: ((يجره)).

[2] هكذا. ولعلها: بدون واو.

لـم يقـدر عـلى الوفـاء بـه ؛ ليتوصـل بذلـك إلى أربـه. ثـم اتصـل خـبره ببـني عامـر ؛ أنـه بالمعقـل الأعـراب ؛ فأتـاه خالـد بـن عامـر ؛ لينـال بـه السـمو ، ونيـل الأرب[1] ؛ لأن المـولى أبـا حمـو أعطـى الشياخة لأخيه شعيب ؛ لمـا علـم مـن وفائـه ، وجميـع تأتيـه ؛ فحقـد لذلـك خالـد المذكـور ، وظهـرت عليـه مـن الخـلاف أمـور ؛ فلذلـك بـادر بالخدمـة لمحمـد بـن المـولى أبـى سعيـد ، وقـرب عليـه مـن الأمـر البعيـد ، وقـال لـه : أنـا أمكنـك مـن **تلمسـان** ؛ فإنهـا خاليـة مـن الفرسـان ؛ وأن وزيـر السلطـان أبـى حمـو متوغـلاً بالبـلاد الشرقيـة ؛ ونحـن العـرب في عصابـة قوتـه ؛ وزيـن لـه أساطيـره الـتي سطرهـا ، ومهدهـا لـه باللسـان وغيرهـا ؛ وعرفهـا ونكرهـا ؛ ولـم يقتصـر بـه ؛ أن أنزلـه بظاهـر بـني ورنيـد ؛ مـن حـوز **تلمسـان** ؛ وحولـه جميـع العربـان.

هـذا خـبر محمـد ابـن المـولى أبـى سعيـد ؛ وأمـا خـبر المـولى أبـى حمـو البطـل الشديـد ؛ فأنـه لمـا سمـع ؛ أمـر مـن حينـه بإخـراج المحـال ، وحشـد أهـل حـوز تلمسـان ، ومـن بقـي بـه مـن الأبطـال ؛ فتيسـرت لـه محلـة وافـرة ، وأحشـاد متكاثـرة ؛ خـرج عـلى المحلـة وزيـره عمـر بـن مـوسى ؛ حاميـة مـن الحمـاة يأخـذ العزمـة سهمـاً رئيسـاً ؛ فبـادره بظاهـر بـني ورنيـد المذكـور ؛ وقاتلـه قتـالاً شديـداً ؛ لـقي الأعـراب منـه البـون ؛ ثـم أن المـولى أبـا حمـو لـم يقتنـع بمحلـة عمـران وزيـره ؛ إلاّ أنـه أخـرج محلـة /78و/أخـرى ؛ وذلـك مـن حسـن تدبيـره ؛ فأخـرج بعـد المحلـة محلـة أخـرى سنيـة ، وعصابـة مـن بـني

[1] في الأصل: ((الأراب)).

عبد الواد سرية ؛ قدم عليها ولده الأمير أبا تاشفين ؛ وأرسله إثر وزيره عمر بن موسى للحين. ولما اختلطت المحال على المحال، واشتدت الأبطال بالأبطال ؛ أيقنت العرب بالتلف ؛ وقدم محمد بن المولى أبى سعيد ندامة الآسف ؛ فأظهر الجلد للأعراب ؛ وتقدم بنفسه للطعان والضراب ؛ فقاتل قتالاً شديداً ؛ ولم يزل في وجه المعترك جليد[1] ؛ إلى رأت[2] الأعراب بأن لا قِبَلَ لها به، ورأى خالد بن عامر ما لم يكن في حسابه ؛ ففرت الأعراب على أعقابها نكصاً ؛ بعد أن كان لهم في القتال شدّة وحرصاً ؛ فجفلوا إجفال النعام ؛ وتبعهم الأمير أبو تاشفين بالحسام ؛ فوقع فيهم القتل الذريع ؛ وفي أموالهم النهب الشنيع ؛ وفرّ محمد المذكور ؛ يطلب النجاة برأسه ؛ والأبطال خلفه يطالبه[3] في أنفاسه. ولو لا أن الأجل حماه، وأدخله في ظل حماه ؛ لكان هو وخالد من الهالكين. وتلك سعادة المولى أبو حمو سرت إلى ولده الأمير أبو تاشفين ؛ على أموال العرب بالانتهاب والسبي ؛ بعد القتل والانتكاب. أقبل بالمحلتين غانماً ؛ إلى حضرة أبيه ظافرً من الأمل بما يشتهيه.

هذا خبر الأمير أبى تاشفين والوزير عمران، وما كان من فعالهما في هذه الأوطان. وأما خبر الوزير عبد الله بن مسلم وشأنه ؛ فإنه توغل في البلاد الشرقية، وظهر تمكنه ومكانه ؛ يدعوا إلى الخلافة الزيانية

[1] هكذا. ولعلها: ((جَلِدْ)).
[2] هكذا. ولعلها: ((إلى أن رأت)).
[3] هكذا. ولعلها: ((تطالبه)).

أهل تلك البلاد؛ يلبونه أفواجاً وأفراداً؛ لم يدر ما وقع بوطن **تلمسان**، ولا بهذا الفتح العجيب الشأن؛ حتى بعث إليه المولى أبو حمو يعرفه بالخبر، وبانهزام محمد ابن المولى أبى سعيد على الأثر؛ ثم أمره بالإتيان على حضرة **تلمسان**؛ وأن يترك تلك البلاد، ولا ينظر لها في شأن؛ فانقلب الوزير عبد الله بن مسلم بمال وافر **/78ظ/**من الخراج، وانبسطت أحوال بني عبد الواد بهذا النصر والابتهاج. ولما وقعت هذه الملاقاة الشنيعة، والمقتلة الفظيعة[1] الذريعة؛ انتشر خبرها في الآفاق، وسرت بذكرها أهل الرفاق[2]؛ إنكبتت الأعداء[3]، وسُرَّ الأولياء، وأقبلت أشياخ البلاد للتهاني، واستُسِرَّ الناس بنيل الأماني، وأتت الشعراء بالأمداح؛ لما عودوا من كريم الأشياخ[4]. فاتفق أن ورد في تلك الأيام كاتب من الكتبة الأعلام؛ بعثه سلطانه إلى المولى أبى حمو؛ في بعض مآربه؛ فوافق هذا الفتح في لنيل مطالبه؛ مع أنه وحيد البراعة؛ ماهر البراعة؛ من أفراد الإنشاء المهرة الكفاة، مذكور بالنظم والنثر، وحسن الإيقاع[5] على السجلات. فصنع قصيدة تدل على ذكائه؛ يعني فيها المولى أبا حمو؛ على ما منح الله ولده من النصر على أعدائه؛ ويعرض بمحمد ابن المولى أبى سعيد وأعرابه بأس المولى أبى حمو وذاباً

---

[1] كتبت في الأصل هكذا: ((الفاضعة))؛ وهو تحريف.
[2] هكذا.
[3] في الأصل: ((الأعداد)).
[4] هكذا.
[5] أي: التوقيع.

به. وهذه القصيدة المشار إليها. قال الفقيه الكاتب الأبلغ **إبراهيم بن عبد الله بن الحاج الغرناطي**[1]:

بشراك بالسعد قد وافت عساكره
والنصر قد عمّت الدنيا بشائره
والفتح قد طلعت زهرا كواكبه
في أفق عز عدت تسمو نظائره
أهلا وسهلا فهذا الصنع طالعنا
بروض نعمى يروق العين ناظره
ومرحبا بزمان نير بهج
حكت موارده نجحا مصادره
وقد أتتك التهاني الغر مقبلة
كالغيث تابع سقيا الروض باكره
قل للأعارب لجُّو في الضلال ولم
يبن لهم من صباح الرشد سافره

[1] سُمِيَ في بغية الرواد بـ: ((أبي البركات محمد بن إبراهيم البلفيقي))؛ واسمه بالكامل هو: أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البلفيقي المعروف بابن الحاج (ت: 771هـ/1369م. وهو من الشعراء الممتازين ومن شيوخ ابن الخطيب. نظم الشاعر هذه القصيدة في بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن)). ويجوز في مستفعلن = مفاعلن، وفي فاعلن = فعلن. وفي الأعاريض:فَعِلن، والأضرب:فَعِلُن،وفِعْلُن.

خلـوا لجاجكُـمُ لا در دركُـمُ
فالحق أبلـج بادي النـور ظاهـره
وأذعنـوا لأميـر المؤمنيـن أبى
حمو بن يوسف إن الله ناصـره
وقـد أعـدّ ابنـه الأرضى لحربكُـمُ
فالشبـل مؤتمـر والليـث آمـره
أتاكم للوغـا رجفـا وقد حنقـت
رماحـه وازدرت حقـداً بواثـره
/79و/ في جنح ليل عجاج قد أطل فما
غيـر الأسنة إذ تبـدوا زواهـره
حتى انهزمتم وبلا سباق أوردكم
بحراً من الموت عمَّ الأرض زاخـره
لله فرع يطيب الأصل طـاب فمـا
في دوحة الملك من فـرع يفـاخره
يهـني الإمـام أبـا حمـو وحولـه
هذا الهناء الذي طابت محاضـره
من مثل موسى أمير المؤمنيـن إذا
علا العجاج وعـمَّ الأفـق ثائـره

وكثرة الخيل بالأبطال صائلة
[ووحدة الصف بالآمال تؤثره][1]

من مثل موسى أبى حمو إذا اضطربت
أمور ملك أرت لينا مكاسره

من مثل موسى إذا جفَّ القرَى وشكا
بالجوع والخوف باديه وحاضره

فخر الملوك الذي جلت مناقبه
وصارت الغاية القصوى مآثره

أعطى الألوف ولم يعبأ بذي قبل
كان عاد له في الجود عاذره

وكرّ بالسيف للهيجاء منصلتا
[والزند][2] مذ رجفت خوفاً بوادره

فالغيث يوم الندى فما بدا له
والليث يوم الوغى فما يحاذره

ملك كريم حليم فاضل شرس
ما سدَّ شاطيه لكن سرّ شاكره

[1] هذا الشطر غير واضح؛ ومضطرب في وزنه وفي معناه. ونسخ هكذا: ((في مأزق تبلى لمردي تبلى سرائره)).
[2] كلمة هنا غير مفهومة؛ فوضعنا كلمة [والزند] بدلا منها بين حاصرتين.

إذا حبا بالندى طابت مدائحنا
كالروض أثر الحيا يزكو أزاهره
وزاد في عدله حمى لقد هدرت
أن تولم المرء إن جالت خواطره
وعز ملك تلمسانٌ بدولته
حتى لقد حط قدر النجم باهره
[مولاي يا ملك الملوك جد فأنا][1]
عبد على حبك استولت ضمائره
أدى رسالة عن أمر خير أخ
لخير ملك على التقوى بظاهره
وقد دعاك لنصر الدين معتضدا
بالناصر الملك الميمون طائره
فكن معنيا له في وقت هدنته
من قبل أن يوهن الإسلام غادره
حتى[انجلا][2] السلم والأعداء قد طمعت
والكفر قد نام ما قد شاء قاهره

[1] هذا الشطر مختل الوزن في التفعيلتين الأولى والثانية؛ إذ جاء هكذا:
((مولاي ولبّاك من أرجاء أندلس)). وعليه؛ فقد صوب الخلل؛ من خلال الشطر الذي نظمناه؛ ووضع بين حاصرتين.

[2] ترك هنا فراغ؛ بقدر وتد مجموع (//0)؛ فملئ بكلمة مناسبة؛ وضعت بين حاصرتين.

أنت المرجى أمير المؤمنين بما
فيه الصلاح الذي تغني دجائره
وأنت مولاي بعد الله ناصرنا
على العدو الذي دارت دوائره
/79ظ/وقد أتيت بمدح فيك منتظم
قد طاب أوله طولا وآخره
فمد كف قبول منك تكفيني
به اعتناء لسان الحمد ذاكره
واعلم بأن رسول الله فاز بها
رجا من الجود والإكرام شاعره
لا زلت في دولة تعلوا مراتبها
مازال ربع الحمى بالشوق زائره
والله يبقيك ما انْهَلَّ الحيا وسرى
عرف النسيم جلى للروض عاطره [1]

***

ولما قرأ هذه القصيدة بين يديه، وأشار بالنيابة فيها عن سلطانه إليه؛ أمر له بكسوة سنية، وبلغه في الجبا غاية الأمنية، وقضى له جميع مآربه، وما رغب من مطالبه؛ فأثنى عليه بلسان شاكر، وقلب

[1] جاء هذا الشطر ـ في الأصل ـ مختل الوزن؛ هكذا:
((عرف النسيم مجليا الروض عاطره)). وقد عوض بما ورد أعلاه بين حاصرتين.

جذلان بما نال من بحر نداه الزاخر. ثم تواترت الأمداح عليه، وقصد من كل مكان إليه؛ فنال كل أحد منهم ما كتب له وبلغه في مقصده أمله. وفي هذه السنة كثرت الفتن ببلاد الأندلس، وطمع فيها كل صائل من أهل الصليب. نكس قتل سلطانها **أبو الحجاج**، ثم خلع ولده محمد؛ فامتد أليم (.....)[1]، واستولى عليها ابن عمه؛ ثم فر هارباً بعد استقلاله وحكمه؛ وفرّ الآخر لجهة الفنش؛ برأسه مع عترة من أهل نجدته وبأسه؛ وتعاظم أمر الفتنة، وضاقت الأندلس لهذه المحنة. ولولا أن الله تداركهم بعفوه؛ لاستولى عليها الفنش الطاغية، ولذهبت وتلاشت؛ حتى لم يبق منها باقية. فخاف أهل الأندلس من وقوع هذه الفتن ومن الجلاء في البلاد والمحن؛ فجعلوا يبعثون بالقصائد إلى ملوك العدوة؛ يترجمون عن أحوالهم ويطلبون نصر الدعوة. فبعثوا لأهل المغرب قصيدة يطلبون الإنجاد، وبعثوا بأخرى للمولى أبى حمو سلطان بني عبد الواد؛ ويستعطفون إخوانهم المسلمين أن يمدونهم[2] بالدعاء، بالمعونة على الطغاة الكافرين؛ لعلمهم بالمولى أبى حمو صاحب القبلة؛ أنه أهل لكل جميل في كل فعله؛ لعل أن يصلهم /80و/بما يقصدون بلاده، وأن يواسيهم من صدقاته وأرفاده، ويعرفون أن الطاغية الفنش ـ قصمه الله ـ شديد التكالب عليهم؛ يريد الإيقاع بهم، والتوصل إليهم؛ فطلب الإرجاف عليهم برجله، وحمله في نهاره وليله؛ ولا

---

[1] كلمة هنا غير واضحة. ولعلها: [الخصام].
[2] هكذا. والأفضل: أن يمدوهم.

سيما حين وقع هذا الخلاف، ورميت الأندلس بالإرجاف. فهم من شدة المخالفة؛ كادت قلوبهم تحترق؛ لئلا يظفر بهم؛ فيكونوا تحت رق؛ جبر الله صدعهم؛ ولا يعرف جمعهم؛ وأن يعينهم على ما أولاهم من الجهاد؛ وأن يجعل الكلمة بهم باقية فيهم؛ إلى يوم ينادي المنادي؛ بمنه وكرمه[1]:

هل من مجيب دعوة المستنجد
أم من مجير للغريب المفردِ
هل من ولي ناصر دين[2] الهدى
أو ذي حمى يحمي حنيفة أحمدِ
هل من معين أو كريم يرتجى
أو مرشد أو مسعد أو منجد[3]
هل من جواد في الزمان مؤمّل
أو آخذ عند الشدائد باليد
هل راحم لعصابة مقطوعة
ما بين أعداء وبين مزبد[4]

[1] لم يشر صاحب زهر البسان هنا لقائل هذه القصيدة؛ فوجب التوضيح بأن صاحبها هو أبو البركات محمد بن إبراهيم بن العباس بن المرداس الأندلسي المعروف بابن الحاج البلفيقي. وهي في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)، ويجوز في متفاعلن = مستفعلن. وفي الأعاريض: متفاعلن، وفَعِلن. وفي الأضربفعلاتن، ومفعولن، وفِعْلن، وفَعِلن.

[2] كلمة: (دين)) سقطت في بغية الرواد؛ فاختل الوزن فيها.

[3] في بغية الرواد: ((أو مسعد أو مرشد أو منجد)).

[4] نفسه: ((ما بين أعداء وبحر مزبد)).

هـل ناظـر فيهـم بنظـرة رحمـة
يرجـو بهـا نيـل الشفاعـة في غـدِ
هـل واصـل لذمامهـم أو سامـع
لصريخهـم في نصـر ديـن محمــد
هـل مـن طبيـب ماهـر متـدارك
رمـق الجزيـرة قبـل حتـف مجهـد
تـالله إن لـم يأتهـا فـرج تــرى
منهـا[1] لطائـف صنعـه فكـأنْ قَـدِ
أيـن الأُلَى شـادوا المعاقـل قبلنـا
فبهـم[2] يحق لعاقـل أن يقتــدي
لعبت بهـم أيدي الزمان فأصبحوا
مـا بيـن نـائي الـدار أو مستبعـد
أين الألَى عمـروا البـلاد ومهَّــدوا
أرجــاء هــذا القطــر أي تمهُّــد[3]
أيـن الألَى كانـوا بهـا في غبطـة
واستوطنوا في ظـل عيـش أرغـد

---

[1] في بغية الرواد: ((فيه)).
[2] نفسه: ((فيهم)).
[3] هذا البيت والبيت الذي يليه؛ سقطا في زهر البستان.

هـذا وآمــاد البــلاد فسيحــة

وقواعــد الإســلام ذات تعــدد

إيـهٍ وكيف وما بقي فيها سـوى

ما عُدَّ في التمثيل شبـه المربَد

لا غـروَ إن ضاقت بنا أقطارهـا

واستنزلونـا للحضيـض الأوهـد

والعقـد إن تنثر جواهر سلكـه

متبـــدد لا شـــك أي تبـــدد[1]

هـذا الصليـبُ تكالبَـتْ عُبَّـادُه

وسطت على توحيد كل موحِّـد

/80ظ/وتطاولتْ أعناقها لَّما رأتْ

نـار الخلاف [شرارة] لـم تخمـد[2]

فاستشعرت[3] أشياعها وجموعها

واستكثرت مـن كـل بـاغ مفسـد

واستقبلت أرجـاء أندلـس وقـد

غـص الفضـاء بكـل طـاغ معتـد

---

[1] هذا البيت سقط في زهر البستان؛ وترك في مكانه فراغ.
[2] في زهر البستان: ((شر))، وفي بغية الرواد: ((شارة))؛ وفي الحالتين ويختل الوزن؛ لذا فقد صوبنا الخلل بكتابة كلمة: [شرارة] بين حاصرتين.
[3] في بغية الرواد: ((واستنفرت)).

مستظهرين على البلاد وأهلها
بعظيم جيش مثله لم يعهد
مستضعفين لحرب[1] أنصار الهدَى
والله من دون الطغاة بمرصد
فاستخلصت بعض المعاقل يا لها
من حسرة سَرَّتْ قلوب الحُسَّدِ
لكنها ضاقت صدور أُولي النهى
لمصابها من ترحة وتوجُّد
ولقد تعلقت المطامع بعدها
بأجلِّ قطر فوق أوج الفرقد
قفل الجزيرة بابها وركابها
لم لا ومنه الفتح لا شك ابتدي
هو عدة للمسلمين وملجأ
وملاذ أمْنٍ أو مقام تعبُّد
فيه الجهادُ تَفَتَّحَتْ أبوابه
والْتَاح نور الرشد فيه لمن هُدي

[1] في بغية الرواد: ((لحرب))؛ وهو تحريف.

لـولاهُ لـم يُلْـق[1] السبيـل لـوارد

كـلاًّ ولـم يسهُـلْ مرام الوُفَّـدِ[2]

من مبلــغ عنـــا أيـا ساجـــدا[3]

بالقبلـــة الغـــراء خيـــر مؤيـــد

أسُرَى بني زيـان مـن آل الهـدى

وأجـل مـن يرجى بخطب منكـد

الكافـل المولى أبا[4] حمـو الذي

يحمي الذمـار ولا يخيـب مجتـد

ويجير من خطـب الزمـان وصرفه

ويكـفّ عاديـة العـدو المعتـــد

الواهـــب الآلاف نقـداً عندمـا

يسعى عـداه ولا يؤخـر للغـد

مـن بلـغ أخـوان صـدقٍ دونهـم

لُجَـج البحـار نـداء داعٍ مرشـد

---

[1] في بغية الرواد: ((لم يُلْفَ)).

[2] هذا ما ورد في بغية الرواد؛ بينمابتر الشطر في زهر البستان؛ فكتب منقوصاً هكذا: ((كلا ولم .... ام الوفد)).

[3] هكذا. وثمة خلل بسيط في عروض البيت (تفعيلة الصدر الأخيرة). وهذا البيت؛ زائد الأبيات الأربعة الموالية؛ كلها سقطت في بغية الرواد؛ بينما وردت في زهر البستان.

[4] هكذ.

مستنصـراً لعصابـة الإسـلام في

أقصى البلاد فهل لـه مـن مسعـد

إنّـا بأندلـس نعالـجُ معضـلاً

مـن داء ذا الخطـب[1] المقيـم المقعـد

يمسي[2] ونصبح في مقارعـة العـدى

ونـروح في ريـب الزمـان وتغتـدي

ولطالمـا عودتمونـا منكـمُ

صنعاً جميل القصد عذب المورد

طـوراً بإمْـدادٍ وإرْفـادٍ فكَـمْ

لكمُ على هاذي الجزيرة من يـد

/81و/أو تـارة بإعانـة منكـم لنـا

بالسمهريَّـة والقنـا المتقصـد[3]

والآن قـد قطـع الزمـان بجـوره

مـا بيننـا مـن عهدنـا المتأيِّـدِ[4]

---

[1] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب ـ في الأصل ـ بزهر البستان: ((والخطب))؛ وهذا يخل بالوزن.

[2] في بغية الرواد: ((نمسي)).

[3] في زهر البستان: ((المقتصد))؛ وهذا يخل بالوزن. ويضعف المعنى.

[4] في بغية الرواد: ((المتأكد)).

أسلمتمونـا للعـداة فكـان[1] مـن
نبـذ الإخـاءَ يكـون غيـر مُفَنَّـدِ
حاشـا وكـلاَّ أنْ تخيـب ظنوننـا[2]
في صدق ودِّكُمُ وحسن المقصـد
ولْتَقبلوا بوجـوه لحظكـمُ علـى
مـن ينتـمي لكـمُ بصـدق[3] تـوَدُّدِ
وتزودونـــا بالدعـــاء فإنـــه
نعـــم البـــلاغ حقيقـــة لمـــزوَّدِ
هذا أقـلُّ حقـوق إخـوان الصفـا
أمثالكـــم في غيبـــة أو مشهـــد
ولئـن نسيتـمُ عهدنـا وذمامنـا
وبـدا لنـا مـن ذاك[4] مـا لـم نعهـد
فَلْنَصْبِـرَنَّ علـى الزمـان وريبـه
بتجلُّـــدِ الأحـــرار[5] أيَّ تجلُّـــد

[1] في بغية الرواد: ((كأَنَّ)).
[2] نفسه: ((ظنوناً))؛ وهذا يخل بالوزن.
[3] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((يصدق)) وهذا يخل بالوزن والمعنى معاً.
[4] في زهر البستان: ((ذلك))؛ وهذا يخل بالوزن.
[5] هكذا في بغية الرواد؛ وهو أفضل. بينما كتب في زهر البستان: ((الأحزان)).

مولاي يا رب العباد ومن لـه
تعنوا وجوه الراكعين السُّجَّـدِ
بجلال قدر المصطفى خير الورى
هادي الأنام إلى الطريق الأرشد
ذي الفخر والشرف[1] الصميم المنتقى
في ذروة البيت الرفيع السـؤدد
شرف الوجود وصفوة الله الذي
ذخرتْ له دار النعيم السرمدي
أزكى البرية محتداً وأجل مَـنْ
ينـمى إلى عليـاء ذاك المحتـد
معنَى الكمال[2] وسيد الإرسال في
يوم الحساب ويا له من مشهد
خير الأنام وخير من وطئ الثرى
وشفيع هذا الخلق يوم الموعد
المصطـفَى والمـرتجَى والمجتـبَى
والمستعد لهول يـوم المشهـد

---

[1] في بغية الرواد: ((الحسب)).

[2] نقل صدر البيت هذا عن بغية الرواد؛ لأن هذا الشطر في زهر البستان؛ بتر منه بعض الأحرف في أوله؛ إذ ترك فراغ في أول الشطر؛ وكتب في آخر الفراغ حرفان؛ هما: ((لي)). فجاء الشطر هكذ: ((.... لي الكمال وسيد الإرسال في)).

أنت الذي ترجى لدفع ملمَّـة
عَمَّتْ بها البلوى وخَطْبُ[1] مُؤَيِّدِ
فانْشُرْ على هاذي الجزيرة رحمة
تشفي بها صدر الشَّجِيِّ المُكْمد
واصرفْ طوارق فتنة عن أهلها
قد سُلَّ فيها كلُّ سيف مُغمد
وانصرهُمُ النصرَ العزيز بها ولا
تقطعْ عوارفَ فضلك المتعوَّد
وارحم ضراعة من بها من ذي نوى
أَلِفَ التَّغُرُّبَ بالمكان الأبعد
وأعزَّ دين الحق حتى لا يرى
في أرضها للشرك موضع مسجد
/81ظ/وأمدَّ بالتأييد من يحمي حِمَى
دين النبيّ فأنت خَير مؤيِّد
وأقر للدين الحنيف قرارهُ
رغماً على أنف الشقي المبعد
واشمل جميع المسلمين برحمة
وتجاوُزٍ وتلطُّفٍ وتَغَمُّد

[1] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: (وحطت))؛ وهذا يخل بالوزن.

واMدد ظلال الأمْن في أرجائهم
ما بين ساحة مُتْهمٍ أو مُنْجد
صلِّ[1] الصلاة على النبيّ محمد
من لم نكن[2] لولاَ هداه لِنَهْتَدِي

***

ولما أنشدت هذه القصيدة بين يديه؛ رق لها رقة ذي أشجان، وطرب لسماعها طلب الولهان، وذرفت عيناه بالدموع، ونزع إلى الإيثار عليهم أيّ نزوع؛ وقال لمبلغها إليه ـ بعدما أفضل عليه ـ لأصلن حبل الأندلس بحبلي، ولأجعلنهم إن شاء الله من جملة قبيلي وأهلي. ثم أمر بكتب الأوامر للسواحل، ولمن ببلادها من قائد وعامل؛ بتسريح أسياف الزرع للتجار؛ وأن يشتروه من أيه ما شاء؛ وأمن البوادي والأمصار؛ وأن يطلق أيديهم على شراء الخيل في بلاد، واختيارها لغدوة الأندلس على وفق مراده. ثم توعدهم بأن يصلهم من زرع بلاده بما يحتاجون إليه، وبمعونة سلطانهم إذا جلب العدو عليه؛ ثم لم يزل يعاملهم بعد إنشادها بالجميل، وحملهم على الاعتناء الجميل؛ ويوالي تجارهم في بلاده أتم الموالاة، وتجرهم على أحسن الحالات.

---

[1] في زهر البستان وبغية الرواد: ((وصل)) وهذا يخل بالوزن فيهما معاً. وعليه؛ فقد حذفنا حرف العطف ((الواو)) لتصويب الوزن.
[2] هكذا في بغية الرواد؛ وهو أفضل؛ بينما كتب في زهر البستان: ((يكن)).

وفي هذه السنة توفي المولى **أبى يعقوب يوسف بن عبد الرحمان ؛** والد مولانا المولى أبى حمو السلطان. خبره مستوفى إلى آخره، وبعض ما ظهر من مآثره.

***

ذكر
وفاة المولى أبي يعقوب برّد الله ضريحه وغسله بماء الرحمة والحوب

قد تقدم ذكر المولى أبي يعقوب، ونزوله حاصراً للجزائر مرتين، وسدّه عليها حتى بلغ المرغوب. اعلم أن المولى أبا يعقوب لم يزل بالجزائر؛ من حين استولى عليها، وصرفه المولى أبو حمو ـ ولده ـ إليها؛ في أرغد عيش، وعافية /82و/ونعمة من الله سبحانه صافية؛ إلى أن مرض المرض الذي منه.. وكان ما كان؛ من أمر الله سبحانه الذي لا محيد عنه. كان هذا المولى أبو يعقوب ملكا صالحاً، وإماماً للرعية ناصحاً؛ يكرم الرعية ويرعيها[1]، وينصب في مصالح مسعاها؛ كثير الكرم، شريف الهمم، وحيد في زمانه على الشرف في سلطانه؛ سجاياه علم وعفاف، وأحكامه بذل وإنصاف؛ أشاد به أهل الجزائر؛ فأحسن إليهم، وأفاض الكثير من النعم عليهم؛ أوسع أهلها عدلاً، وأرضاهم قولاً وفعلاً؛ اتخذهم أهلاً وعشراً؛ فكانوا له عبيداً؛ وكان هو عليهم ملكاً كبيراً؛ تشرفوا بحلوله جزائرهم، وحسنت بقدومه بواطنهم وظواهرهم؛ أنساهم سير أسلافه الكرام، وأحثا من يأتي بعده إلى يوم القيام. أقام بين أظهرهم تسعة أشهر كملة؛ بلغ فيها كل أمل أمله. دخلها في أوائل شهر القعدة، وخرج في أوائل شعبان مريضاً في

---

[1] هكذا. يقصد: ويرعاها.

شدة؛ أصابه المرض في أوائل رجب، وتمادى عليه إلى شهر شعبان؛ فلقي منه النصب. وعندما كتب إلى مولانا السلطان بشدة مرضه؛ أراد أن يكون **بتلمسان** عنده حتى يبرى من مرضه. ثم كتب إليه أنه على شفا جرف من الدنيا؛ وقل ما سلم من التلف. فتحسر لما أصابه؛ إذ لم يكن لمحضره مرضه؛ ليبلغ من صالح دعائه غرضه. فبعث له من وجوه قبيله شيخين بإتيان به **لتلمسان**؛ ليتشفى من رؤيته؛ قبل أن يدرج في الأكفان. (وبرد خبر ....)[1] الفراق؛ وأن ينقلاه ومن معه من الدخلة والأولاد؛ وأن لا يتركاه في تلك البلاد. وقال لهما: إن قدر على الركوب فليركب في محارة[2]؛ وإن لم يقدر على الركوب؛ فيحمل على رقاب الرجال؛ أرفق في السيارة. فصنعت له محارة من الخشب التابوت؛ لا تميل ولا يحس المحمول فيها أليم التعب؛ يحملها عشرون رجلاً؛ لا يذوق فيها نصباً ولا وجلاً. ثم فرشت له بالملف والقطن والحرير؛ فصارت **/82ظ/**شبه المهد والسرير؛ وجعل وظيفة حمله على القبائل؛ من قبيل على قبيل؛ كما يفعل الملوك الأماثل. وكان ذلك في زمان الحرّ القوي. فأمرهم أن يسيروا[3] به في الأبرد بين الغداة والعشي. ولما كملت آلات حمله أركبوه[4] من بيته في التابوت؛ على راحلة[5]. وخرج من

---

[1] ترك في هذا الحيز فراغ؛ بقدر كلمتين؛ قبل عبارة مبتورة.
[2] المحارة: هي محفَّة تحمل على جمل؛ تغطى بأوشحة من القماش
[3] في الأصل: ((فأمرهما أن يسرا))؛ وهو خطأ.
[4] في الأصل: ((حملة ركباه)). وهو خطأ.
[5] نسخت هذه الكلمة بشكل رديء؛ فجاءت هكذا: ((راسله)).

الجزائر؛ وبين يديه: الفقهاء والوجوه والكبراء والأمناء وأهل البلد؛ يبكون لفراقه، ويلهفون لشدة ما يصيبهم من اشتياقه؛ فحملوه إلى **حنبس** من ظاهر الجزائر؛ حيث محلة مضروبة بذلك الظاهر؛ فلما أجازوه في تابوته بوسط أخبيته؛ اشتد به المرض؛ فبات ليلته في الموضع المذكور؛ وفي غد أصبح من أهل القبور. فوجد أهل الجزائر لفقدانه وجدان الثكلى؛ وكانوا أحق بذلك وأولى. كان لأهل الجزائر أباً رحيماً وظلاً يستظلون إليه بارداً وكريماً؛ لا يمسهم في أحوالهم معه حيف، ولا يقلقهم سل سيف. أعاد أيامهم نظيرة الشباب، ومحاسنهم جديدة الثياب. فأيامه غير محجلة، ومكارمه عطيات معجلة؛ أقام بها العدد المذكور من السنة؛ فكانت المدة كأنها سنة فيا حسرة الدين والدنيا على المولى أبى حمو. وباشر ما لقي أهل الجزائر بعده من مفارقه المحبوب بور. فسبحان من لا يعتريه المنون، ولا يخفى عنه ما تخفي الصدور وتخون العيون. ولما قضى رحمه الله نحبه وصبره؛ لما أراده وأحبه؛ نقل على تابوت المقابر؛ كما سبق في سابق المقادر؛ فانتهض به تبادراً **لتلمسان**؛ رهين الخشب والأكفان؛ وتلي عليه من سورة الرحمان أجمل كلام؛ **﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ❖ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾**[1]. ولما وصل حضرة ولده؛ لقيه بخارج **تلمسان** على قدميه؛ موقراً له ناكس الرأس بين يديه؛ كأنه بين يديه في قائم حياته؛ وممثلاً أمره كما كان في

---

[1] سورة الرحمن؛ الآيتان: 26 ـ 27.

كل أوقاته؛ وجعل حرمته ميتاً كحرمته حياً؛ وطوى أحشائه على /83و/نار فقدانه طيلة دفنه بدار أبى عامر؛ وأنجزها مقبرة من المقابر. ولما أودعه بطن أمه؛ وجد عليه؛ وكادت أن تقبض نفسه من غمّه. ولما أودعه البلقع الذي لا أنيس به إلاّ العمل، ولا زائر إلاّ رحمة من عليه يتوكل؛ أمر أن يشرع بإزاء روضته مدرسة لقراءة القرآن والعلوم، وأن ينفق فيها من الحلال المعلوم؛ فافتتحت مدرسة مليحة البناء، واسعة الفناء؛ بنيت بضروب من الصناعات، ووضعت في أبدع الموضوعات؛ سمكها بالأصبغة؛ مرقوم، وبساط أرضها بالزليج مرسوم، وجنانها بالصناعة الحباسية موشاة، وزليج أزهرها من أبدع الشيات، غرس بإزائها بستنتين[1] تتبعها؛ ونقل لها أصناف المشمومات التي تروق حضرة أفنانه. صنع فيها صهريجاً مستطيلاً؛ وعلى طرفيه من الرخام حصتان يطردان مسيلاً؛ فيا لها من بنية ما أبهجها، وأشكلها وأحسنها شكلاً وأجملها؛ أقامها في اليسير من الشهور والأيام؛ لا يقدر عليها غيره في الكثير من الأعوام؛ أوقف لها الكثير من الأوقاف، وأجرى للطلبة فيها المرتب على أصناف؛ وأتمها الآن لعلى التمام. وسنذكر تمام بنائها في غير هذا العام. وهذه قصة وفاة المولى أبى يعقوب؛ آواه الله دار الجنان؛ إذ هي غاية المطلوب. وأما المولى **أبو حمو**؛ فمنذ دفن أباه، وشيد عليه مبناه؛ لم يزل يبكي على فراقه؛ حتى كاد أن يضر؛ لما فيه من شدة

---

[1] هكذا.

احتراقه. وفي ذلك يقول راثياً أباه، وناد بأسمائه[1]:

صب تذكر عهداً بالحمى سلفا
فظل يسكب دمعاً هاطلاً وكفا
وبات من شدة الإشراف في قلق
وخامرت عقله الأفكار فانتلفا
وهيجته الصبا يوماً بهم فصبا
وصاح من وهج التبريح وا أسفا
وظل يركض في ميدان موتته[2]
ولا درى ناعي الموت قد هتفا
والدهر منقلب والعمر منصرف
والعبد مقترف للذنب زاد جفا
/83ظ/بانت شواهده من كل جارحة
والدمع أصفح ما قد كان قبل خفى
وكم حمامة وصل بيننا صدحت
وكم غراب النوى في غصنها وقفا

---

[1] نظم أبو حمو قصيدته هذه في بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن). ويجوز في مستفعلن = مفاعلن، وفي فاعلن = فعلن. وفي الأعاريض: فَعِلن، والأضرب: فَعِلن، وفِعْلن. ولم ترد هذه القصيدة إلاّ في زهر البستان؛ بينما أورد صاحب بغية الرواد قصيدة أخرى رثا بها أبو حمو والده. مطلعها: ((دنف تذكر حسرة التوديع * وهنيٌّ وصل بالنوى مقطوع)).

[2] كتبها حاجيات: ((مِرَّته))؛ و((المِرَّة))؛ معناها: الفتل؛ أي فتل الحبل. ومن هنا يبدو أن الأصح هو ما اعتمدناه؛ لأنه أقرب إلى ما رسم في المخطوط، وأسلم من حيث المعنى.

لا تأمـن الدهـر والدنيـا وزينتهـا

إن الزمـان ولـو يدنيـك منصرفـا

وكـم خليـل تخـلى عـن أخلتـه

وكم خليل [وفـا][1] في وده وصفـا

قد كان لي في الدّنا أب[2] يساعـدي

فصار تحـت الثّرَى في لحـده اكتنفـا

مـددت[3] في ظـل نعماه يـدي زمنـا

ونلـت مـن رفـده في دهـره التحفـا

رعى جناني وليد غيـر مضطجـر

حتى ترعرعـت في ظـل لـه ورفـا

وكلمـا قـد رآني صـرت يافعـة

لهـا وسـرّ وأسـدى لي منـه عرفـا[4]

يا كابد الدهـر في الثرى ليكسبـني

ويبتـني لي في نيـل العـلا غرفـا

---

[1] محيت الكلمة الموجودة في هذا الحيز. وقد عوضها حاجيات بكلمة ((صفا))، ومنعاً لتكرار الكلمة؛ اخترنا كلمة: [وفا].
[2] في الأصل: ((أبا))؛ وهو خطأ.
[3] هكذا استخرجها حاجيات؛ وهو صحيح؛ على عكس ما رسم في المخطوط: ((مدت))؛وهذا طبعاً يخل بالوزن.
[4] هذا الشطر غير مستقيم. والسبب هي كلمة: ((لي))؛ التي أخلت بالوزن. بزيادة سبب خفيف (/0) في التفعيلة الثالثة.

يسره إن رآني سرت في تـرف

ويستزيـد على الأعـداء بي صلفـا

وإن عراني مـا أخشـاه مـن دنـف

بكى ورق وأضحى يشتكي لهفـا

كأن ذاك الذي قد ذقت من وجل

(أصابه) فهو يشكـوا ذلك الدنفـا[1]

لا غرو أنّا رجال لا نفيء بمـا

للوالديــن علينـا بالحقـوق وفـا

مولاي يوسف أفجعت البنين وقد

أضحى وليدك موسى ناحبا نحفا

لو كنت تفدى بمال أو بنفس فتى

فدتك نفسي ومـالي كي أفي نصفـا[2]

لأهملـن دمـوعي مـا حييت وإن

أبقـاني العمـر ترفـت الدمـا ترفـا

يا فقد يوسف ما أبقيت لي جلـداً

يا فقد يوسف إن الصبر عنك عفـا

---

[1] هذا الشطر غير مستقيم؛ وتنقصه كلمة؛ حتى يستقيم الوزن. وقد اقترح حاجيات كلمة: ((أصابه))؛ فصوب بذلك الخلل.

[2] هكذا رسم.

ما مثل يوسف مفقود لفاقده

ولا كموسى أخو فقد إذا وصفا

أصبت بالمعضل الأدمى بوالده

كفقد يوسف لكن حتف ذا جحفا

يا قبر يوسف لا [تهجرك][1] هامية

من الغمام ولا زال الثرى رعفا

يا دار[2] كم لك في الأحباب تفجعني

وهكذا الدهر ما أوفى ولا نصفا

فرقتنا بعدما كنت تجمعنا

وقد نثرت نظاما إذ وهى الصدفا

أفجعتني يا زمان اليوم في خلّتي[3]

ما أسرع الموت في الأحباب حين وفا

/84و/ صارت مساكنهم تحت التراب وقد

تمزق الدود ما قد كان مؤتلفا

الماء والنار مجموعان في كبدي

فأعجب لضدّين في قلب قد ائتلفا

---

[1] الكلمة هنا غير واضحة. غير أن حاجيات وضع كلمة زادت الشطر غموضاً؛ هي: ((لا تهدوك)). أما أنا فأفضل كلمة [لا تهجرك].

[2] لم يستسغ حاجيات كلمة ((يا دار))؛ ووضع بدلاً منها كلمة ((يا دهر))؛ لاعتقاده أنها لا تتوافق مع سياق البيت. ولعل الذي يقصده الشاعر هنا؛ هو دار الدنيا الزائلة. وبهذا يكون قد أصاب.

[3] كتبها حاجيات: ((خلدي)).

نـار تشـب وأكبـاد تــذوب بهـا

ويـح المعـذب بالجنسيـن يـا لهفـا

أين الذيـن بنـوا مـن قبلنـا ونـأوا

وشيـدوا أطمـاً واستوطنـوا غرفـا

وظنهم أن هـاذي الــدار باقيــة

ولـم يظنوا بأن الدهـر سـاء صفـا

كم من قرين مع لأحباب مبتهج

أمسى فريداً وأضحى بـدره كسفـا

وكم غريب بعيد الدار ذي حزن

أضحى من الغرب يبكي اللام والألفا

الموت بـاب وكـل النـاس داخلـه

والعبد يجزَى بما أجنَى ومـا اقترفـا

واللـه مطّلـع فـوق العبـاد وقـد

يؤاخذ العبـد في الدنيـا بمـا سلفـا

***

ـ وقال الفقيه الكاتب أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي أحد كتابه مرتبة وبعزمه[1]:

....

....[2]

كما قال إبراهيم حسبي فعلمهم
فحاليَ مغنٍ عن سؤالي إليهم

وألهمها فوق السموات[3] أحمد
وما زال للتوفيق أحمد يلهم

دنا فتدلى قاب قوسين رفعة
وليس دنوا بالمسافة فاعلم

وعاينه حقا بعين عيانه
وقيل بنور القلب والله أعلم

فناجاه مولاه بأسرار غيبه
وأعلمه ما لم يكن قبل يعلم

وكم معجزات قد أتى قومه بها
ولكنهم عن منهج الحق قد عم

---

[1] نظم الشاعر قصيدته هذه في البحر الطويل (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن). ويجوز في فعولن = فعول. وفي مفاعيل = مفاعلن. وفي الأعاريض: مفاعلن. والأضرب: مفاعلن، وفعولن.

[2] ترك ـ في الأصل ـ فراغ ربما اتسع لستة أبيات أو سبعة تقريباً. ولا يعرف إن كان لأبيات سقطت بالفعل من هذه القصيدة.

[3] في الأصل: ((السموت))؛ وهذا خطأ، ويخل بالوزن.

ومن يك عن ورد القبول محللا
فبات الهدي عنه مدا الدهر مبهم
/84ظ/وآيته في الغار إذ مكرت به
قريش ورب العرش يحمي ويعصم
وقد أرسل الله الحمام ببابه
فباضت به من فورها وهي جثم
كما نسجت فيه العناكب حلة
بستر من الرحمن تسدي وتلحم
ولو لا دفاع الله كيدهم بها
فأضعف أسباب الوجودات أحجم
وفي غزوة الأبواء إذ لم يكن بها
من الماء عند القوم ما يتوهم
ولم يجدوا في رحلهم غير قطرة
بعزلاء[1] شحت لا يبل بها الفم
على يده في جفنة الركب صبها
فبارك فيها فاغتدت وهي حصرم

[1] العزلاء هنا: مصب الماء.

وفـاض نميـر المـاء بيــن بنانــه
إلى أن تروَّى وهو [جيش][1] عرمرم

وحين ارتووا من عند آخرهـم بـه
لقـد كـف عنـه كفـه وهـو مفعـم

وقصتـه في ذي المجــاز حقيقـــة
شكـا عمـه جهـرا ولا مـاء يعلـم

فشق أديم الأرض ركضـا[2] برجلـه
ففاض بـه عيـن مـن المـاء [دائـم][3]

ويــوم تبــوك والحديبيــة [كـذا][4]
سما لهمـا في ذروة الفخـر ميسـم[5]

وكم من جماد قد غـدانـا طلاقـة
وعجمى بأفصـح غـدت تتكلـم

كجذع [وحصباء][6] وضب وضبية
وطفل رضيع لم يكن[7] بعد يفطـم

---

[1] كلمة [جيش] هنا سقطت في الأصل؛ فأضفناها.
[2] هكذا في الأصل. ولو قال: [ركلاً] لكان أفضل.
[3] الكلمة هنا غير واضحة؛ فعوضناها بكلمة [دائم].
[4] كتب ـ في الأصل ـ ((الذا))؛ وهذا خطأ نحوي. وبما أن إكمال الكلمة إلى((اللذان))؛ يخل بالوزن؛ فقد عوضناها بكلمة: ((كذا)).
[5] أي: وسامة.
[6] في الأصل: ((وحصبا))؛ بدون الهمزة؛ وهـذا خطأ ويخل بالوزن.
[7] هكذا في الأصل؛ والأفضل كلمة: [يكد].

وعادت إليه الشمس بعد غروبها

وشق له البدر المنير المتمم

وآياته كالشهب نورا وكثرة

لتحصر وتحصى على العد أنجم

وقدأجمعوا منها على ألف معجز

روى بعضهن الترمذي ومسلم

وأعظمها القرآن يزداد جدة

بطول المدى تكراره ليس يسأم

وليس حديثاً حاش لله مفترى

ولكنه وحي من الله محكم

هو النور والبرهان والحجة التي

بها حلل الدين الحنيفيِّ ترقم

تضمن أحكام الوجود بأسرها

وأودع فيه ما يحل ويحرم

فلما تحدى الخلق منه بسورة

أقروا له بالعجر عنه وأحجم

وللمصطفى سبع وعشرون غزوة

يشاد بها الإسلام والكفر يهدم

/85و/وكم آية قبل الولاد وبعده
على فضله دلت لمن يتوسم
فنون الهدى في برده متجسم
ونون[1] الهدى في كفه مبتسم
بشهر ربيع قد بدا علم الهدى
شفيع الورى صلوا عليه وسلم
تساقطت الأصنام عند ظهوره
وعادت بغاة الجن بالشهب ترجم
وأخمدت الأنوار نيران فارس
ومن قبل كانت ألف عام تُضَرَّم
وأشرقت الدنيا بمولد أحمد
فلا خلق مظلوم ولا أفق مظلم
فيا خاتم الرسل الكرام وخير من
به يبدوا الذكر الجميل ويختم
بمولدك السامي الرفيع قد اعتنى
عليك سجاياه الندى والتكرم
إمام له بالمكرمات عناية
همام له بالمعلوات تيمم

[1] الأولى ((فنون الهدى))؛ والثانية ((نون)): ومعناها السيف.

هو الملك الزابي موسى بن يوسف

له نسب فوق النجوم مخيم

لقد ضم أمر الملك بعد شتاته

كما ضم زند بالسِّوار ومعصم

وجدد رسم المجد بعد رسوبه

وأضحى لسبل الدين يعلي ويعلم

فلا مجد إلا بناه فإنه

لتنهدم الدنيا ولا ينهدم

فلا زلت منصور اللواء على العدى

وسيفك ماض في الطغاة محكم

ودونكها حسنا يعذب ذكرها

فيصبوا إليها القلب والسمع والفم

فصاحتها في الشعر تنبيك [أنها][1]

من العرب [العرباء][2] والغير أعجم

***

[1] الكلمة هنا ـ في الأصل ـ غير واضحة؛ فعوضناها بكلمة: [أنها].
[2] كلمة: ((العربا)) في الأصل بدون همزة؛ وهذا خطأ ويخل بالوزن.

وفي هذا المولد حضر حاجب الأمير عبد الله؛ صاحب بجاية؛ وجهه سلطانه رسولاً؛ يطلب منه النَّصر والحماية. حضر هذه الليلة، وأنشد قصيدة بين يديه؛ يعرض فيها بسبب ما جاء إليه [1]. وهو الفقيه البليغ، الكاتب **أبو زكرياء يحيى بن محمد بن خلدون التونسي**[2]:

تراءت لها أعلام نجد محياها
نسيم سرى من حاجر ورباها
ولاح لها البرق اليماني فانبرت
تمر حثيث للعذيب خطاها
بها ميه الأشواق عذرته الهوى
يهيج ترجيع الحداة جواها
/85ظ/تردد من ذكرى الأجيرع أنه
وتزري دموعا للمشوق عندها[3]
وتصبوا لنعمان الأراك وعهده
فيا حسن مغرها ويا بعد مرماها

[1] لم يشر يحيى بن خلدون إلى هذه القصيدة ـ في كتابه بغية الرواد ـ بل أورد قصيدة أخرى ـ غير هذه ـ ذكر أنه ألقاها بهذه المناسبة؛ ومطلعها: ((يا بدر تم بالأوج قد ظهرا * فضاء بالخافقين اشتهرا)).
[2] نظمت هذه القصيدة في البحر الطويل (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن). ويجوز في فعولن = فعول. وفي مفاعيل = مفاعلن. وفي الأعاريض: مفاعلن. والأضرب: مفاعلن، وفعولن.
[3] نسخ هذا الشطر بشكل لا يقرأ؛ فقرأناه هكذا.

خلية سقم بي من الوجد ما بها
وفرط هواي الجاحدي هوائها
بحقك عللها بذكر عهوده
فجل حداها أن يكف بذكراها
أنلها وقوفا في المعاهد ساعة
فقد شفها طول السُّرَى وبراها
أرحها من التعنيف بالشوق ساقها
وما قد عناها حسبها وكفاها
[ودعها تهيم في سيرها فلن تصل][1]
إلى قبر غير الهاشمي سراها
محمد المبعوث للخلق رحمة
له من مراقي الفخر لا غرو أغناها
رسول أتى والشرك باد ضلاله
فأوضح من سبل الهداية أزكاها
لمولده في الأرض أية آية
بدت ليلة الاثنين ما كان أسناها

[1] هذا الشطر مضطرب المعنى ومختل الوزن؛ فجاء هكذا: ((ودعها تهيم قاصدها مسفرا فما)). لذا فقد عوض بشطر آخر ـ لتسهيل مواصلة القراءة ـ ووضع بين حاصرتين.

تداعى له إيوان كسرى وأخمدت

لفارس [نار][1] نور أحمد أطفاها

وغاضت مياه من بحيرة ساوة

فبان لها للحين خيبة مسعاها

وكم معجزات للمقال تنزلت

عليه وأخرى للفعائل أبداها

له حن [لّما][2] غاب جذع أراكه

وجاءت له تشكو[3] الغزالة بلواها

وأشبع آلافاً طعاماً بصاعه

ومن كفه عذبا من الماء روَّاها

وفي ليلة الإسرى تبين فضله

بها قدمته [الأنبيا][4] في مصلاَّها

نبي كفيل بالشفاعة للورى

له الله في يوم القيامة أعطاها

---

[1] كتب في الأصل كلمة: ((نوّر)) وهذا يخل بالوزن والمعنى معاً. وعليه فقد عوضت بكلمة أخرى؛ وردت أعلاه بين حاصرتين.

[2] كتب في الأصل: ((ما)) وهذا يخل بالوزن والمعنى معاً.

[3] في الأصل هكذا: ((تشكوا))؛ بالألف وهو خطأ.

[4] في الأصل: ((الأنبياء))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فحذفنا الهمزة لتصويب الوزن للضرورة.

عليه سلام اللـه ما درّ شارف

فضوعت الأزهار بالروض [ريحها][1]

وخـص بتأييـد الإلـه خليفــة

بسنة خيـر الخلـق قـام فأضفاها[2]

إمام هدى لله أخلـص فعلـه

وأحكامه بالعدل في الخلق أمضاها

بـه اللـه أحيا للخلافة رسمها

وجـدّد عافيهـا وشيّـد ذكراهــا

إذا افتخر الأمـلاك فالفخـر دونـه

وإن سمحت موسى بن يوسف مولاها

مليـك لـه في المعلـوات منـازل

ترفع عـن كبـواه لا شـك أدناهـا

/86و/ [فمن ذا][3] الذي يرجى لكل ملمة

سواء بحد السيـف يكشف ظلماهـا

ومن غير مـوسى يستجـار بجاهـه

فيمنع من جـور الليالي وعدواهـا

---

[1] كتبت هذه الكلمة في الأصل: ((رباها)) أو ((رياحها))؛ والحالتين يختل الوزن؛ لذا فقد عوضت بكلمة وردت أعلاه بين حاصرتين.

[2] في ألأصل: ((فأطياها))؛ فجعلناها كما ورد أعلاه بيين حصرتين.

[3] كتب في الأصل: ((فَمَنِ الَّذِي...))؛ وهذا يخل بوزن الشطر؛ لذا فقد جعلنا العبارة كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

همــام أبى إلا المفاخــر مكسبــا

وما غير أثواب المحامد يرضاها

فَلِلْبَـأْس والإعطاء يَسَّـر نفسـه

[وللجود والأفضال للناس يعطيها][1]

أيا خير من يرجى شكية مرسلي

فظلـم الليـالي نحـو بابـك أنهاهـا

فإن كنت تبغي الفخر يبقى مخلـداً

فذكرك يسر مـن أمانيـه أنضاهـا

أعِدْهُ إلى أوطانـه عنـك نائـب

يُشَيِّـد مجـداً والسعـادة تعطاهــا

وخذها إليك اليوم بنت قريحة

لقد طال ما بالخطب ذا الدهر أرساها

ودم لاقتنـاء الحمـد والمجـد باقيـا

متى[أطلعت][2] شمس السماء محياها

***

---

[1] جاء عجز البيت هنا غير سليم من حيث الوزن؛ وهو هكذا:
((ولليمنى بالأفضال والجود أعراها)). وعليه فقد عوض بشطر أخر؛ ورد أعلاه بين حاصرتين.

[2] هذا الشطر مختل الوزن ـ في الأصل ـ بسبب كلمة: ((طلعت))؛ لذا فقد عوضت بما ورد أعلاه بين حاصرتين.

ولما أنشدها بين يديه ؛ أمر له بجائزة حسنة، وقبل عليه، وتوعّده بنصر مولاه ؛ وإن كان أولاه بما أولاه.

***

وقال الخطيب الكاتب **أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن عبد القادر**؛ أحد كتبة أشغاله ؛ وقد كلفه تكليفاً[1]:

مدح النبي الهاشمي محمد ... هو مذهبي هو بغيتي هو مقصدي
فبفضل مولده ربيع قد سمى ... وبدت به البشرى لأمة أحمد
طل يا ربيع على الشهور بأسرها ... فلقد حبيت بكل سعد فاسعد
ولقد علوت جلالة وكرامة ... لما أتيت بخير هاد مهتد
بمحمد المختار من خير الورى ... هادي البرية للسبيل الأرشد
ذي المعجزات الباهرات دلالة ... جاءت بكل هداية للمهتد
من فاض عذب الماء بين بنانه ... فغدا كنهر للغليل مبرد
كم للنبي محمد عَلَمِ الهُدَى ... من معجزات فضلها لم يجحد
منهن تسبيح الحصى في كفّه ... والذئب كلمه وصخر الجلمد
والبدر شق له بمكة آية ... والجذع حن حنين صَبٍّ مُكمد
/86ظ/وشكى البعير له بأفصح [منطق][2] ... والضَّبُّ كلمه بغير تردد

[1] نظم الشاعر هذه القصيدة في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)، ويجوز في متفاعلن = مستفعلن. وفي الأعاريض:متفاعلن، وفَعِلن. وفي الأضرب فعلاتن، ومفعولن، وفِعْلن، وفَعِلن.
[2] في الأصل كتبت كلمة: ((لغة))؛ الأمر الذي أخل بالوزن؛ فوضعنا كلمة [منطق]. لسلامة الوزن.

آياته أربت على عَدِّ الحصى	قد صح ذلك في الصحيح المسند
بمحمد المحمود أكرم مرسل	هدي الأنام به لأوضح مرشد
وعلى خليفتنا الإمام المرتضى	موسى بن يوسف ذي العلى والسؤدد
ملك البسيطة والمعالي والهدى	من لم يزل يعنى بمولد أحمد
ملك تملك وُدَّ أهل زمانه	بمآثر عليا وجدٍ منجد
فعلاه في العلياء قد حاز المدى	فاق السماك وحاز نجم الفرقد
حامي ديار قبيله بحسامه[1]	أكرم به من باهر ومسدد
ملك تمسك بالمفاخر والتُّقَى	بالعروة الوثقى وشرعة أحمد
ما في بني الأملاك ملك شبهه	أنعم به من ماجد وبماهد[2]
بَدْرُ الكمال بوجهه متهلل	بِدَرُ النّوال تسح من وسط اليد[3]
مَلِكٌ بهِ حَسُنَ الزَّمانُ فلم	يَدَعْ في الأرض من باغٍ ولا من معتد
فَبِهِ بنو زيان زادت رِفْعَةً	وغدت تجر لذيل[4] عز أمجد
وكذا تلمسانٌ به تاهت على	كل البلاد وأُرْغِمَتْ للحسَّد
ملك سما بنجاره ووقاره	ونواله وبداره للأسعد
لا زال هذا المُلْكُ دأبا جاريا	في عقب عز فيه [يوم] الموعد[5]

---

[1] الكلمة الأخيرة في الأصل غير واضحة؛ فاخترنا كلمة ((بحسامه)).

[2] الكلمة الأخيرة في الأصل غير واضحة؛ وربما كانت: ((وبمايد))؛ وهذا مستبعد؛ لذا فقد اخترنا كلمة: [وبماهد].

[3] البَدْر؛ في بداية البيت: هو القمر المكتمل في الليلة الرابعة عشر من كل شهر. أما كلمة: ((بِدَر))؛ فمفردها: ((بَدْرَة))؛ وهي الكمية العظيمة من المال.

[4] أضفنا حرف: ((لام)) لكلمة ((ذيل))؛ من أجل استقامة الوزن.

[5] كتب في الأصل: ((ليوم))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فحذفنا اللام؛ فأصحت كما وردت أعلاه بين حاصرتين.

يا أيها الملك الهمام المعتلي	في ذروة العليا لمرقى إصعد
عبد أشاد وقد أتاك مقصراً	مستمثل الأمر العزيز الأمجد
ما كنت مدّاحاً بشعْري غيركم	كلا ولا حكت القريض لمولد
حتى أمرتم عبدكم بنظامه	فأتيت مبتدراً بغير تبلد
وتكاملت بكاملةٍ من بحرها[1]	لكمالك السامي الشريف الماجد
وجلوت من فكري إليك قصيدة	بكراً تجلَّتْ من حلاك بعسجد
خذها إليك عقيلة فكرية	[تشدو بمجدك في العلا بتودد][2]
والله يبقي سعدكم ويمدكم	بالعضد والنصر العزيز السرمد
يا عابد الوهاب نلت فضيلة	فافخر بمدحك للإمام الأوسد
فارغب إلى ذي العرش يبقي ملكه	في[3] عشية حسن وعيش أرغد
وعلى صحابته الكرام تحية	أبداً مكرمة تروح وتغتد

***

[1] هذا الشطر مضطرب الوزن؛ جاء هكذا: ((وتكملت كاملة العروض وأما)). وقد عوض بشطر آخر أسلم؛ ورد أعلاه بين حاصرتين.

[2] عجز البيت هذا؛ مضطرب المعنى، ومختل الوزن؛ فجاء هكذا: ((أهلا بها بشده تبادي أمجد)). وعليه فقد نظمنا شطراً آخر؛ ووضع أعلاه بين حاصرتين؛ لتسهيل موصلة القراءة.

[3] في الأصل: ((فو))؛ وهو تحريف يخل بالوزن.

ـ ولطبيب حضرته الكريمة الحاج محمد بن أبي جمعة التلاسي[1] :

أأصْبُو ورأسي بالمشيبِ غدا حالي
وحال لذاك الشيب لما بدا حالِي[2]
وكيف لمثلي بالتصابي بالصبا[3]
وهل للتّصابي أن يمر على بالِي
[......إلى آخر القصيدة][4]

وعندما كمل أسبوع المولد على ما ذكرناه، وبلغ كل قاصد ـ من محله الأرفع ـ ما تمناه؛ أخرج ولده الأمير أبا تاشفين، وقدمه على المحلة لأخذ المراهين؛ فاستوزره بأخي وزيره عثمان بن مسلم، واختصه لتدبيره؛ فترحل (إلى له بوسط في البلاد)[5]؛ ونزل بأحواز البطحاء، وائتلفت عليه بنو عبد الواد، ثم ترادفت المحال على المحال، والأبطال على الأبطال؛ وتكاثر الحشد، وتوفر العدد والمدد؛ فأتته العرب

---

[1] وردت هذه القصيدة ـ للمرة الثانية ـ في مخطوط زهر البستان. فجاءت من قبل في ورقات: 62و، 62ظ، 63و. بينما أثبتت ـ في سياق هذا الكتاب بعد قصيدة محمد بن يوسف القيسي مباشرة. ووردت دون تقديم أو تعريف بها. كما أن البيت الأول منها؛ سقط في العينة الأولى؛ بالإضافة إلى تبعثر ترتيب أبياتها؛ فاختلف عما ورد الآن الموضع الثاني من زهر البستان؛ بالإضافة إلى ما ذكر في بغية الرواد. ومنعاً للتكرار هنا؛ سنكتفي بتسجيل بعض الأبيات الأولى؛ ثم ننقل هذه القصيدة ـ المكررة ـ كملحق في آخر الكتاب؛ منعاً لثقل التكرار من جهة، ومن جهة أخرى؛ نمكن القارئ من الاطلاع عليها، المقارنة بينها وبين ما سبق إثباته في زهر البستان وبغية الرواد معاً .

[2] سقط هذا البيت في نص القصيدة ذاتها؛ المنسوخ سابقاً .

[3] في بغية الرواد: ((وبالهوى)).

[4] أنظر ذلك في الملحق رقم: (2).

[5] هكذا. إذ ظهر على هذه العبارة اضطراب؛ بسقوط بعض الكلمات. فقد تكون في أصلها مثلا هكذا: [إلى ما جهز له بوسط البلاد...].

بالرهائن؛ وهرعت القبائل من كل الأماكن؛ فأخذ الرهائن، وصرفها لتلمسان، واستوفى الغرض منها؛ لتمهيد الأوطان. وعندما أخذ الرهائن واستوفاها؛ (.........)[1]؛ بعث إليه المولى أبو حمو؛ ليصل إليه؛ لما قضى ما وجب عليه؛ عاد [إلى][2] حضرة أبيه العالية بخير من الله، ونعمة صافية. فكان قد وجهه في ربيع الأول؛ شهر البركة والتهاني؛ وقفلوا له في شهر ربيع الثاني. وفي هذا العام؛ وصلت إليهم العروسة من المغرب لتلمسان؛ وهي بنت المولى أبى تاشفين السلطان. هذه العروسة المباركة أصغر أولاد المولى أبى تاشفين، وأضنها ـ قد مات رحمه الله ـ وهي ابنة سنة واحدة من السنين؛ سارت إلى المغرب بعد هلاك أبيها مع أخوتها، وجملة أهليها؛ **/88ظ/**فأقامت[3] بفاس بكراً عذراء؛ ومن ذا ينالها من الناس؟ إلى أن قدرت لسلطان زمانه، وواحد عترته[4] وأقرانه؛ الملك المهاب الباذل الوهاب؛ فبعث في شأنها لصاحب المغرب؛ فأسعفه بها إسعاف المولى الأرغب؛ فبعثها مع يوسف بن علي؛ عم وزيره عمر بن عبد الله العلي؛ واستصحبها بهدية من صاحب المغرب سنية؛ مؤذنة باتصال، الوداد، والمهادنة، والأمنية؛ أخذت على خيل ومطايا وذخائر مما يليق بالهدايا؛ فكان لعراسيتها سر عظيم، وتنويه جسيم؛ ركب لركوبها خمسون جارية، وأقام لها

---

[1] في هذا الحيز عبارة مطموسة وغير واضحة. ويكن أن تعبر عما معناه: (إلى ما لا نهاية...)
[2] هذه الكلمة لم ترد في الأصل؛ فأضفناها.
[3] في الأصل: فأقام؛ وهو خطأ.
[4] في الأصل: ((عثرته))؛ وهو تحريف.

خمسين عمارية؛ دون ما تبعت من كرائم العبد الواديات، ونساء الخدام الأحرارات الشريفات؛ ثم أمر أن تخرج بالطبول والعلامات، وأن تركب لها الجيوش والساقات؛ فكان الفرسان يلعبون، والناس من ذلك الهيكل يعجبون؛ فكانت ركبة لم تصنع إلاّ لأبناء جنسها؛ وحاشى أن يكون عرس مثل عرسها؛ ذبحت فيه الأبقار، والأغنام؛ وجرى الأسبوع بالشراب والطعام؛ فكانت عراسية شعاع ذكرها في الآفاق، وسرت بذكرها في الأقاليم الرفاق؛ أظهر فيها صيت الملوك الكرام، وأسبغ سوابغ العطايا والأنعام. ولما كمل أسبوع العراسية صرف موصلها ـ يوسف المذكور ـ على مرسلة؛ على أكمل الوجوه المرضية؛ مستصحباً بهدية تدل على شرف الملك، وتأثله؛[1] وأنال الموصل قائلاً؛ وأنه سيظفره ببلده ويمده بماله ومدده؛ حتى ينال بغيته، وتظفر أمنيته.

وفي أثناء وصول الأمير أبى عبد الله وصل رسول الأمير أبى إسحاق؛ وهو يحيى بن ومازير؛ من كبار الموحدين الطباق، وزيره الأكبر، وصاحب تدبيره الأشهر. والسبب في وصوله؛ وفود الأمير أبى عبد الله؛ على المولى أبى حمو؛ وقصده إياه؛ وذلك أن الأمير **/89و/**أبا إسحاق؛ لما تحقق عنده وصول ابن أخيه لتلمسان؛ وأنه تأمن من المولى أبى حمو السلطان؛ خاف ما يتطرق إليه بسبب ذلك، وما

[1] في الأصل: ((وتأتله))؛ وهو تحريف.

ينجر بهذا القصد من المهالك؛ فبعث وزيره تجسساً على ابن أخيه، ومباشرة لأهواله ومساعيه؛ فاتفق أن أسعفه المولى أبو حمو بالمصالحة؛ على شروط شرطها عليه، وأمور خفية أودعها لديه؛ ثم توعدهما أن يسيرا مع صحبة وزيره، وشرح لهما كل يكون عليه العمل من تدبيره. وسأذكر خروجهما مع الوزير المعظم أبو محمد عبد الله ابن مسلم؛ وسبب خروجه للجهات الشرقية على نحو ما اتفقت الكيفية.

***

ذكر
خروج الوزير المعظم أبو محمد عبد الله بن مسلم

السبب الذي أخرج عبد الله بن مسلم؛ هو خبر محمد بن المولى أبى سعيد المتقدم؛ وذلك أن محمد هذا ابن المولى أبى سعيد؛ لما جاء لقتال تلمسان، وخرج إليه الأمير أبو تاشفين بن مولانا السلطان؛ انهزم وفرّ شارداً؛ ولقيت أعرابه مناكراً؛ فلم يستقر قراره إلاّ بأحواز جرجرة؛ معتصماً بتلك الجبال[1] الوعرة[2]؛ فلم يزل مدة الخريف والشتاء؛ إلى أن أقبل الربيع، وارتفعت عظائم الأنواء؛ هبط محمد المذكور [من][3] جرجرة إلى بني حسن؛ ورأى ذلك أنه من النظر الحسن؛ فركن إلى أبى الليل بن موسى؛ شيخ بني يزيد؛ وأخذ معه العهد، وأوعده التأييد، وأن يغير معه على أطراف البلاد، وأن يوافقه على الفساد؛ فتوافقا على ذلك، وأحكمه بوسط حلفه معونة على المهالك؛ ثم وجدا أطراف البلاد خالية من الفرسان؛ فمدا أيديهما في تلك الأوطان؛ واتصلت غاراته بأول أحواز المدية، واضطربت الفتنة بالنار الحمية؛ إلى أن اتصل خبره بالمولى أبى حمو السلطان؛ وحصل على يقين؛ أنه تحرك في تلك الأوطان. **/89ظ/**ولما تحقق المولى أبو حمو أذية ثورانه؛ وأنه يدعو أهل بلاده إلى سلطانه؛ أمر بإخراج المحال،

[1] في الأصل: ((الجمال))؛ وهو تحريف.
[2] في الأصل: ((الموعرة)).
[3] كتبت هذه الكلمة في الهامش.

وأعطاه المرتبات للفرسان والأبطال، وبعث إلى الأحشاد، وزاد في العدد والإمداد؛ فأخرج محلة قوية وافرة، وحصصاً[1] من بني عبد الواد متكاثرة؛ فقدم على المحلة وزيره الأكبر، وحشام دولته الأشهر؛ عبد الله بن مسلم؛ وأمره أن يشرع بالرحيل؛ ولا يتلوم؛ وأن يكون منتهاه من البلاد الشرقية آخر الجبال الجرجرية؛ مما يلي بني حسن، ووادي بجاية؛ ويتوسط تلك البلاد، ويبلغ منها المدية حتى يحسم تلك المادة الظاهرة وأن يمحوا أثرها إلى الآخرة. فكان خروجه عشية يوم الجمعة الثالث لرجب؛ لقطع الأذى، وجلب المنفعة. وبعد خروجه بثلاثة أيام؛ أخرج المولى أبو حمو محلته؛ وعزم على الخروج في أثره غاية الاعتزام؛ وخرج إلى **تنيري**؛ وسكنها؛ قام بها شهراً؛ وتحول **للرملية؛** وسكنها؛ فبنى بها برجاً عظيماً لسكناه؛ أراد به إبراجه[2]؛ فكان حماه؛ فكان سكناه؛ حاضراً، بادياً، مقيماً، مسافراً. فكان هذا البرج مسكنه؛ إلى أن قضى الحركة وزيره. ولعمري؛ لقد حسن في ذلك رأيه وتدبيره. وأما خبر الوزير المذكور الأوحد،[3] الأشجع، المشهور؛ فمن حين خروجه؛ لم يزل يعمل ركبانه، ويرحل أخبيته وقبابه؛ إلى أن نزل بسفح الجبل المذكور؛ وسكن تحته بجيشه الموفور.

---

[1] في الأصل: ((خصصا))؛ وهو تحريف.
[2] برج الشيء: ظهر وارتفع.
[3] في الأصل: ((الأوجد))؛ وهو تحريف.

وأما خبر محمد ابن المولى أبى سعيد؛ فإنه وجد السبيل بالغارة للقريب والبعيد، وكتب الكتب لاستخلاف (وافرا والفضل ووجه الجهد سافرا. وفي أثناء وصول هذه العروسة وصل الأمير أبو عبد الله صاحب بجاية وشهد على هذه العراسة التي جاوزت النهاية)[1].

- وفي ذلك يقول الفقيه النبيل أبو عبد الله محمد بن يوسف /90و/القيسي أحد كتبته الأشغال[2]:

قُمْ فَاجْتَلِ[3] زمن الربيع المقبل
تَرَ مَا يسرُّ المُجتني والمُجْتلي
وَانْشُقْ نسيمَ الرَّوضِ مُطولاً وَمَا[4]
أهْداكَ من عَرْفٍ وَعُرْفٍ فاقْبَلِ
وَانْظرْ إلى زهرِ الرِّياضِ كَأَنَّهُ
دُرٌّ[5] على لبَّاتِ رَبَّاتِ الحُلِي

---

[1] حدث اضطراب وخلط فيما ورد هنا بين قوسين؛ وكل هذا يخرج القارئ عن سياق الخبر الأول. ويبدو أن الناسخ أسقط بعض العبارات المتعلقة بمجيء إبي عبد الله صاحب بجاية إلى تلمسان؛ احتفاء بابنته التي زفت للسلطان أبي حمو. وسيشرح هذا الأمر الكاتب فيما بعد.

[2] نظم الثغري القيسي هذه القصيدة في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)، ويجوز في متفاعلن = مستفعلن. وفي الأعاريض: فَعِلن. وفي الأضرب: فعلاتن، ومفعولن، وفِعْلن، وفَعِلن. وهي موجودة في الجزء الأول من بغية الرواد، وزهر البستان في دولة بني زيان، ونفح الطيب. وتاريخ نظمها هو عام 767هـ/1365م؛ بمناسبة زواج أبي حمو من ابنة ابنة أمير بجاية أبي عبد الله الحفصي.

[3] في النفح: ((مبصراً)).

[4] هكذا في بغية الرواد، ونفح الطيب؛ بينما سقطت كلمة: ((الروض)) في زهر البستان؛ الأمر الذي أخل بالمعنى والوزن معاً.

[5] في بغية الرواد: ((دُرَرٌ)).

والطَّيْـرُ تنشـدُ باخْتِـلافِ لُغاتِهـا

طَرَباً عَلَى أعْلَى الغُصُـون الميـل[1]

في دَوْلَـةٍ فاضَـتْ يَداهـا بالنَّـدَى

وَقَضـتْ بكـلِّ مُنًى لِكـلِّ مُؤَمَّـلِ

بَسَطتْ بأَرْجاءِ البَسيطَـةِ عَدلَهـا[2]

وَسَطَـتْ بِكـلِّ مُعانِـدٍ لـمْ يَعْـدِلِ

سُلطانُها المَوْلَى أبو حمُّـو الـرِّضَى

ذو المَنصِبِ السَّامي الرَّفيعِ المُعْتَلِي

تَاهَــتْ تِلِمســانٌ بدَولَتــهِ علَى

كُلِّ البِلادِ بِحُسنِ مَنْظَرهـا الجَلِي[3]

هذي تلمسانٌ حَمَى مِنْهـا الحِمَى

وَفَرَى[4] العِدَى عَنْهـا بِحَدِّ المِنْصَـلِ[5]

فَغَدَتْ تَتِيـهُ بِحُسْـنِ دَوْلَتِـهِ التِـي

أرْبَـتْ علَى حُسْـنِ الزَّمَـانِ الأوَّلِ

---

[1] سقط هذا البيت في بغية الرواد ونفح الطيب.

[2] في الأصل بزهر البستان: ((أصلها))؛ وما ورد في البغية والنفح أفضل.

[3] سقط هذا البيت في زهر البستان.

[4] في زهر البستان: ((وعدا))؛ وما جاء في البغية والنفح أفضل.

[5] هذا البيت؛ ثم البيتان المواليان مباشرة؛ غير موجودة في نفح الطيب وفي بغية الرواد.

وَزَهَتْ بِدَاخِلِها وَخَارِجِهَا علَى
كُلِّ البِلاَدِ بِحُسْنِ مَنْظَرِها الجَلِ
رَاقَتْ مَحَاسِنُها وَرَقَّ نَسِيمُهَا
فَحَلاَ بها شِعْري وطابَ تَغَزُّلِي
عَرِّجْ بِمُنْعَرَجاتِ بابِ جِيادِها
وافْتَحْ به بابَ الرَّجاءِ الُمقْفَلِ
وَأعدْ[1] إلى العُبَّاد مِنْها غُدْوَةً
تُصْبِحْ هُمُومُ النَّفْسِ عَنْكَ بِمَعْزَلِ
وَضَريحُ شيخ[2] العَارِفينَ شُعَيْبِها
زره هنالك إنه نعم الولى[3]
فمزاره لِعِبادَةٍ ونَزَاهَةٍ
فيهِ ذُنوبُك وكُروبُك تَنْجَلى[4]
وَتَمَشَّ في جناتها[5] وَرِيَاضِهَا
واجْنُحْ إلى ذاكَ الجَناحِ الُمخْضِلِ

---

[1] في نفح الطيب: ((ولِتَغْدُ)). وفي زهر البستان: ((واغْدُوا)). وما جاء في بغية الرواد أفضل.
[2] في بغية الرواد ونفح الطيب: ((تاجِ)).
[3] جاء هذا الشطر في البغية والنفح هكذا: ((زُرْهُ هُنَاكَ فَحَبَّذَا ذَاكَ الوَلِي)).
[4] جاء هذا البيت في بغية الرواد ونفح الطيب هكذا:
((مَزَارُهُ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا مَعًا تُمْحَى ذُنُوبُكَ أوْ كُرُوبُكَ تَنْجَلي)).
[5] في بغية الرواد ونفح الطيب: ((في جَنَّباتها)).

تَبْدُو[1] لَكَ الأفْرَاحُ فيها أنْجُماً

زُهْراً وَلَكِنْ لَسْنَ عَنْكَ بْأُفَّلِ[2]

وبِكَهْفِها الضَّحَّاكِ قِفْ مُتَنَزِّهاً

تَسْرَحْ جُفُونَكَ في الجَمَالِ الأجْمَلِ[3]

وَبِرَبْوَةِ العُشَّاقِ سَلْوَةُ عَاشِقٍ

فَتَنَتْهُ ألْحَاظُ[4] الغَزَالِ الأكْحَلِ

تُسْلِيكَ في دَوْحَاتِها وَتِلاَعِهَا

نَغَمُ البَلاَبِلِ وَاطِّرَادُ الجَدوَلِ[5]

بِنَواسِمٍ وبَواسِمٍ مِنْ زَهْرِهَا

تُهْديكَ أنْفاساً كَعْرفِ المَنْدَلِ

فَلَوِ امْرُؤُ القَيْسِ بنِ حجْر رَآها[6]

قِدْماً تَسَلَّى عَنْ مَعَاهِدِ مَأسَلِ[7]

---

[1] في الأصل: ((تبدوا))؛ بالألف وهو خطأ.
[2] سقط هذا البيت في بغية الرواد؛ وفي نفح الطيب.
[3] ورد هذا البيت؛ في بغية الرواد ونفح الطيب في ترتيب غير هذا.
[4] في نفح الطيب: ((فتنت وألحاظ)).
[5] ورد هذا البيت في بغية الرواد ونفح الطيب في ترتيب غير هذا.
[6] سقطت كلمة رآها في زهر البستان؛ فيكون الشطر فيه إذن غير موزون.
[7] يشير إلى بيت امرء القيس في معلقته الذي يقول فيه:
((كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل)).

أوْ حَـامَ حَـوْلَ فِنَائِهَـا وَظِبَائِهَـا
مَا كَـانَ مُحْتَفِـلاً بِحَوْمَـةِ حَوْمَـلِ[1]

/90ظ/كَمْ جَادَلي فِيها الزَّمَانُ بِمَطْلَبٍ
جَادَتْـهُ أخْلاَفُ الغَمَـامِ المُسْبِـلِ

فَاذْكُـرْ لَهَـا كَلَفِـي بِسِقْـطِ لِوَائِهَـا
فَهَـوَايَ عَنْهَا الدَّهْـرُ لَيْسَ بِمُنْسَـلِ[2]

وَاعْمُد إلَى الصَّفْصِيفِ يَوْمـاً ثَانِيـاً
وَبِـهِ تَسَـلَّ وَعَنْـهُ دَأْبـاً فَاسْـأَلِ

وادٍ تَـرَاهُ مِنَ المحاسـن بهجـة
خـال من الأزهـار غيـر معطـل[3]

يَنْسَـابُ كالأيْـمِ انْسِيابـاً دَائِمـاً
أوْ كَالحُسَـامِ جَلاَهُ[4] كَفُّ الصَّيْقَـلِ

فَزُلاَلُـه فِي كُـلِّ قَلْـبٍ[5] قَـدْ حَـلاَ
وَجَمَالُـهُ فِي كُـلِّ عَيْـنٍ قَـدْ حُـلِي[6]

---

[1] يشير هنا إلى مطلع معلقة امرئ القيس؛ وجاء فيه:
قفَا نَبْكِ مِنْ((ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بيْنَ الدَّخولِ فَحَوْمَلِ)).
[2] جاء هذا البيت في بغية الرواد ونفح الطيب؛ قبل هذا الترتيب ببيت.
[3] جاء هذا البيت في بغية الرواد ونفح الطيب هكذا:
((وادٍ تراه من الأزاهر خالياً والحُسْنُ بهِ عُطْلاً وَغَيْرَ مُعَطَّلِ)).
[4] في الأصل بزهر البستان: ((جلاله))؛ وهو تحريف؛ يخل بالوزن.
[5] هكذا في نفح الطيب؛ بينما كتب في بغية الرواد، وزهر البستان: ((في كل فَمٍّ)). وهذا يخل بالوزن.
[6] في نفح الطيب: ((قد جُلي)).

واسرح لدى تلك المسارح وارتقي
في كُـلِّ حُسْـنٍ مِـنْ ثَراهَـا المُقْبِـلِ
لا تَنْــسَ يَوْمــاً ثَالِثــاً فَــوَّارَةً[1]
وَبِعَـذْبِ مَنْهَلِهَـا المُبَـارَكِ فَانْهَـلِ
تَجْـرِي علـى دُرٍّ لُجَيْنـاً سَائِــلاً
أحْلَى وأعْذَبَ من رَحيقٍ السَلْسَلِ[2]
واشْرفْ على الشّرَفِ الذي بإزائِها
لِتَـرَى تَلِمسَـانَ العَلِيَّـةِ مِـنْ عَـلِ
فكأنــه تـــاج بمفرقهـــا بـــدا[3]
أحْسِــنْ بِتـاجٍ بالبَهـاءِ مُكَلَّـــلِ
وإذَا العَشِيَّةُ شَمْسُها[4] مالَـتْ فَمِـلْ
نَحْــوَ المُصَــلَّى مَيْلَــةَ المُتَمَهِّــلِ[5]
وبِمَلْعَـبِ الخَيْـلِ الفَسيـحِ مَجالُـهُ
أجِـلِ النَّوَاظِـرَ[6] في العِتـاقِ الخُفَّـلِ

[1] في بغية الرواد ونفح الطيب: ((وَاذْكُرْ بِيَوْمٍ ثَالِثٍ فَوَّارَةً)).
[2] في بغية الرواد ونفح الطيب: ((سلسل))؛ بدون الألف واللام.
[3] في بغية الرواد ونفح الطيب: ((تَاجٌ بِهِ مِنَ المَحاسِنِ بَهْجَةٌ)).
[4] في الأصل بزهر البستان: ((سمتها)). وما ورد في البغية والنفح أفضل.
[5] جاء هذا الشطر في زهر البستان هكذا: ((نحوها على مهلة المتمهل)). وبهذا الشكل يختل الوزن.
[6] هكذا في البغية الرواد ونفح الطيب؛ وهو أفضل. بينما كتب في زهر البستان: ((تَرَهُ جفونك)).

فبحلبـة الأفْـراسِ[1] كـلَّ عَشِيَّـةٍ
لَعِـبٌ بِـذاكَ المَلْعَـبِ المُتَسَهِّـلِ[2]
مِنْ كُلِّ طِرْفٍ كُلَّ طَرْفٍ يَسْتَبِي[3]
قَيْـدِ النَّوَاظِـرِ فِتْنَـةِ المُتَأمِّـلِ
وَرْدٌ كَأنَّ[4] أديمَـهُ شَفَـقُ الـدُّجَى
أوْ أشْهُـبٌ كَشِهـابِ رَجْـمٍ مُرْسَـلِ
أوْ أحْمَرٍ قَاني الأدِيـمِ كَعَسْجَدٍ
أوْ أشْقَرٍ يَزْهُـو[5] بذيـل أشعـل[6]
أوْ مِنْ كُمَيْتٍ لا نَظيرَ لِحُسْنِـهِ
سامٍ مُعَـمٍ في السَّوابِـقِ مُخْـوَلِ[7]
أوْ أدْهَـمٍ كاللَّيْـلِ إلاَّ غُـرَّةً
كَالصُّبْحِ، بُورِكَ مِنْ أغَرٍ مُحَجَّلِ
جَمَـعَ المَحاسِـنَ في بَديـعِ شِيَاتِـهِ
مَهْما تَـرِقَّ العَيْـنُ فيـهِ تَسَهّـلِ

---

[1] في نفح الطيب: ((فلحلبة الأشراف)). وفي بغية الرواد ((فلحلبة الأفراس)).
[2] اختل هذا البيت في زهر البستان؛ فجاء هكذا: ((بحلبة الأفراس كـل عشيـة لعـب لـذاك اللعـب المستهـل)).
[3] اختل هذا الشطر في زهر البستان؛ بسقوط عبارة: ((كل طَرْف)). فجاء هكذا: ((من كل طرف يستبي)).
[4] في زهر البستان: ((كأنه))؛ وبذلك يختل الوزن.
[5] في بغية الرواد: ((يزهى)).
[6] في البغية والنفح: ((بعرف أشعل)).
[7] جاء هذا البيت في البغية والنفح قبل البيت السابق.

فَتَـرَى المُجَـلِّي وَالمُصَـلِّي خَلْفَـهُ

وَكِلاهُمـا في جَرْيِــهِ لا يَأْتَـــلي[1]

هَــذا يَكِـــرُّ وذا يَفِـــرُّ فَيَنْثَــنِي

عَطفاً على الثَّـاني عَنَـانَ الأوَّلِ

عُقْبـانُ خَيْـلٍ فَوْقَهـا فُرْسانُهـا

كالأُسْدِ تَنْقَضُّ انْقِضاضَ الأجْدَلِ[2]

فُرْسانُ عَبْدِ الـوَادِ آسادُ الـوَغَى

أَهْلُ النَّدَى والبَأسِ والشَّرَفِ العَلِ[3]

/91و/ فَاعْجَبْ لِحُسْنِ جمالِهِم لمجالِهِمْ

وَبِجَنَّـةِ الدُّنْيَـا تِلِمْسـانَ ادْخُــلِ[4]

فإذا دَنَتْ شَمسُ الأصيـلِ لِغَرْبهَـا

فَإلَى تِلِمْسَـانَ الأصِيلَةِ فَادْخُل[5]

مِنْ بـابِ مَلْعَبِها لِبابِ حَديدِهـا

مُتَنَزَّهــاً في كُــلِّ نــادٍ[6] أحْفَـــلِ

---

[1] هذا البيت؛ والبيت الذي يليه مباشرة؛ وردا في بغية الرواد ونفح الطيب؛ في غير هذا الترتيب.

[2] الأجدل: الصقر.

[3] في بغية الرواد والنفح: ((حُماةُ الذِّمارَ أولُو الفَخارِ الأطْوَلِ)). والشطر هنا مختل الوزن في التفعيلة الثانية.

[4] لم يرد هذا البيت إلاّ في زهر البستان. ويبدو أن عوض؛ واكتفي بالبيت الموالي؛ والذي يبدأ بـ((فإذا دنت شمس الأصيل..)).

[5] هذا البيت غير موجود في الأصل بزهر البستان؛ وقد يكون عوض بالذي جاء قبله هنا.

[6] هكذا في نفح الطيب؛ وفي بغية الرواد: ((حفلٍ)). بينما شوه ناسخ زهر البستان هذا الشطر؛ فكتبه هكذا: ((متنزها في كل حفل أو أحفل)).

وَتَـأنَّ مِـنْ بَعْـدِ الدُّخُـولِ هُنَيْهَـةً

وَاعْـدِلْ إلَى قَصْرِ الإمَـامِ الأعْـدَلِ

فَهُـوُ المُأمَّــلُ وَالدِّيَــارُ كِنَايَـــةٌ

وَالسِّـرُّ في السُّكـانِ لا في المَنْـزِلِ

فَــإذا[1] أمِيــرُ المُؤْمِنيــنَ رَأيْتَــهُ

فَالْثَـمْ ثَـرَى ذاكَ البِسـاطِ وَقَبِّـلِ

بـاهي بـه[2] زَمَـنَ الرَّبِيـعِ وَقُـلْ لَـهُ

بُشْـرَى بِأمْلَحَ مِنْ حُـلاكَ وَأجْمَـلِ[3]

يَنْهَلُّ مِنْـهُ لَنَـا الجَـدَا وبِـهِ الـدُّجَى[4]

تُجْـلَى[5] بِمُشْـرِقِ وَجْهِـهِ المُتَهَلِّـلِ

فَالمَجْـدُ لَفْـظٌ في الحَقِيقَـةِ مُجْمَـلٌ

وَحُـلاَهُ تَفْصِيـلٌ لِـذَاكَ المُجْمَـلِ

مولاي بشراكـم فمـا بيـد الإلـه

وبنصـره في الحــال والمستقبــل

هنيتــمُ بهنيـــة الملـــك التي

وفــدت بإقبــال وسعــد مقبــل

[1] في بغية الرواد: ((وإذا)).

[2] في بغية الرواد، ونفح الطيب: ((هنئ به))

[3] ورد هذا البيت في بغية الرواد ونفح الطيب في غير هذا الترتيب.

[4] في الأصل بزهر البستان: ((الجدى)) أيضاً؛ وهو تحريف.

[5] نفسه: ((يجلي))؛ وهو تحريف.

حَسبُ المَفَاخِرِ ذَلِكَ الحَسَبُ الذِي

أَضْحَى لَدَيْهِ المَجْدُ جِدَّ مُوَثَّلِ[1]

شَمْسُ العُلاَ حَلَّتْ بِمَنْزِلِ سَعْدِها

وَأَوَتْ إلى بَدْرِ المُلُوكِ الأكْمَلِ[2]

لأعزهم[3] جَاراً وَأَمْنَعِهُمْ حِمًى

وأجَلِّهِمْ مَوْلًى وَأعْظَمَ مَوْئِلِ[4]

وكفى لهذا الملك فَخْراً أنه

بحمى أبي حمو ثوى في معقل[5]

بالعَادِلِ المُسْتَنْصِرِ المَنْصُورِ والـ

مَأمُونِ والمَهْدِيِّ والمُتَوَكِّلِ[6]

وَكَفَى الوَرَى سَعْداً أبُو حَمُّو الذِي [7]

يَحْمي حِماهُمْ بالحُسامِ الفَيْصَلِ[8]

---

[1] هذا البيت غير موجود في نفح الطيب، ولا زهر البستان؛ بينما ورد في بغية الرواد.

[2] جاء هذا البيت في بغية الرواد والنفح في غير هذا الترتيب.

[3] في البغية والنفح: ((بأعزهم..)).

[4] جاء هذا البيت في بغية الرواد والنفح في غير هذا الترتيب.

[5] هذا البيت غير موجود في بغية الرواد ونفح الطيب.

[6] هكذا في بغية الرواد ونفح الطيب؛ ولكن في غير هذا الترتيب. بينما ورد هذا البيت ـ هنا ـ في الأصل بزهر البستان؛ ولكن بشكل مضطرب المعنى مبتور الكلمات مختل الوزن هكذا: ((بالناصر المنتصر النصور * المهدي والمأمون والمتوكل)).

[7] جاء هذا الصدر في نفح الطيب هكذا: ((كفاهُمُ سعداً أبو حمو الذي)). بينما ورد في زهر البستان البستان مع عجز بيت آخر؛ وبما أنه كان مختل الوزن؛ فقد حذف نهائياً؛ وهو هكذا: ((وأعاد دولتهم ونثير ملكهم)).

[8] سقط هذا البيت في زهر البستان.

بُشْرَى لِعَبْدِ الـوَادِ بِالْمُلْكِ الـذِي

خَلَصُـوا بِهِ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ مُعْضِـلِ

وبجـــده في أمرهـــم وبحزمـــه[1]

وبِسَعْـــدِهِ وَبِسَعْيِـــهِ الْمُتَقَبَّـــلِ

ذُو الهِمَّــةِ العُلْيَــا الـتي آثَارُهَـا

حَلَّـتْ بِهِ فَـوْقَ السِّمَـاكِ الأعْـزَلِ

بَحْرُ النَّدَى الأحْلَى وَفَخْرُ الْمُنْتَدَى

وَسَنَاالدُّجَىالأجْلَى وَزَيْنُ المَحْفَلِ

يرتـاح للأمـداح مـن كـرم كمـا

يرتـاح غصـن للنسيـم الشمـأل

لا زال للـراجي مـتى يستجـده

يمــلا نـــوالاً كفّـــه [فيسيـــل][2]

لا زال محـروس الجنـاب منيعـه

وسعـوده تغـني عنـاه الجحفـل

وعَلَى عُلاَهُ مِنْ صَنِيعَـةِ فَضْلِـهِ

تَـرْدَادُ نَافِحَـةِ السَّلامِ الأكْمَــلِ[3]

---

[1] في بغية الرواد ونفح الطيب: ((بِحُسْنِ نِيَّتِهِ لَهُمْ وبِجِدِّهِ))

[2] وضعنا هذه الكلمة بين حاصرتين؛ في مكان أخرى؛ غير سليمة؛ وهي: ((ويول)).

[3] ثمة بعض الأبيات الأخرى التي وردت في زهر البستان فقط؛ ولكنها غير واضحة.

/91 ظ/ذكر
وصول الأمير أبي عبد الله صاحب بجاية
يطلب النصرة من المولى والحماية

هذا المولى أبو حمو؛ خلق في ساعة السعادة، وحكمت له الأحكام الزيانية بنيل الإرادة؛ أقبلت له الأيام خادمة، وانقادت له أبناء الملوك راغمة. جاءه هذا الأمير أبو عبد الله؛ وقد صدر منه ما صدر؛ ولولا القبول عليه لذكرت الخبر. وما أحسن قول القائل في هذا المعنى[1]:

فعين[2] الرضا عن كل عيب كليلة

ولكن عين السخط تبدي السماويا

صدر منه ما لا يليق، ولا هو بأبناء الملوك خليق. اعلم أنه لما صرفه السلطان أبو سالم ببجاية بلده؛ أنكره أهلها لسوء رأيه وجلده[3]؛ لأن هلاكهم كان على يديه، ووقوعهم في المحذور؛ وكان منه وإليه سعى في جلائهم عن البلاد؛ وذلك عن عين اختياره والمراد؛ فرق برأيه جمع أهل التوحيد، وأعطى صفقة يده للمنعة؛ من غير إيراق ولا ترعيد. أعطى بجاية لأبى عنان؛ وهو لم يكن له عليها من

[1] هذا البيت للإمام الشافعي.
[2] في نص: ((وعين)). بالواو.
[3] أي وسوء جلده أيضاً.

سلطان. فعندما وافى بجاية؛ أجمع أهلها على قتاله، وعلى توبيخه ونكاله؛ وتبدوا في حقه مصافات أبيه، وآلوا أن لا يقربه أحد، ولا يواليه؛ فترحل عنها طريداً؛ بعدما لقي منهم سباً وتنكيداً؛ لا سيما وقد جاءهم يدعوا بدعوة بني مرين، ويظهر أنه يكلمهم من القائمين؛ فانتزوا لذلك حنقاً وتضافروا عليه؛ بعد أن كانوا فرقاً؛ والتبست عليه الأمور، وخانه الجد والظهور.[1] ثم أخذ في محاولتهم[2]؛ لما لم يقدر على مقاتلتهم؛ فجاهروه أنه غير مأمون من عائلته؛ بعد الإجماع على مقاتلته. ولما عاين الإنكار التام، ووافق الخاص العام؛ أدركه الندم على فرط[3]؛ وعاين المنية إذ تورط؛ فما لبث أن قصد طائفة من العرب رياح؛[4] يطلب منهم النصرة على بجاية **/92و/**للكفاح؛ فأسعفه الصعاليك[5] والرعاع؛ ولم يساعده أمير ولا مطاع؛ فأتى بجاية ينازلها بالصعاليك، ويقاتل الأحرار بالمماليك. فكان كمن قضي الدين بالدين وصلى المغرب ركعتين. ولما عاد الحصار؛ عاد للسباب والعار؛ فجعل أهل بجاية يلعنون مرسله وتابعه، ويذكرون مساءاته ومصانعه؛ فتشبث بالعيش من جبال حوزها، وجلس يريد زلزالها، أو يجد فرصة في قهرها؛ فما أسعفته أيامه؛ إلاّ بخيبة المسعى، ولا أرعته إلاّ في أرحم

---

[1] هكذا.
[2] في الأصل: ((محالتهم))؛ وهو تحريف.
[3] هكذا.
[4] هكذا. والصحيح: (من عرب رياح).
[5] في الأصل: ((فأسفه للصعاليك...))؛ وهو تحريف.

مرعى. ثم أن بني عبد الواد طلبته بثأرها القديم؛ وهمت بالوثوب عليه بذلك الوادي[1]؛ على فعله الذميم. فشعرت العرب بطلب بني عبد الواد إليه؛ ففرت شاردة، ولم تعرج عليه. ولما عاين إحجام الأعراب عنه؛ علم أن آفته قد قربت منه؛ فترحل على من بقي معه من الأعراب، وترك بجاية وطلب القفر للبيات. فأقام عند العرب في أضيق عيشة وأرداها؛ بذم حركته وخيبة مسعاها. ولما اضطره الأمر؛ الذي لم يجد عنه محيداً؛ أخذ في تدبير رأي كان عليه سعيداً. أغرته نفسه بقصد المولى أبى حمو سلطان بني عبد الواد؛ ليأمنه في نفسه، ويعينه على تلك البلاد؛ وذلك من لبابة أهل التوحيد[2] ودهائهم واقتحامهم؛ فيما يتوصلون به لنيل أهوائهم. فوجه رسوله يحيى بن خلدون حاجبه؛ يستأذنه في القدوم عليه، ويطلب ما رأيه. وقد قدمنا ذكر الرسول؛ أنه منشد القصيدة في مولد النبي عليه الصلاة والسلام؛ المثاب عليها بموجب الإسعاف والإكرام. ولما عاد رسوله إليه؛ أشار عليه بالوفود[3] عليه. فاستعمل الرحلة من أعراب رياح؛ إلى باب المكارم والسماح؛ ولم يرح راحلته إلاّ[4] بناديه الرحب؛ ولا أروى ظمأها إلاّ من مورده العذب. فكان وصوله تلمسان؛ في ثامن جمادى الأخرى؛ وحلوله بخير مكان؛ **/92ظ/**فبايعه بمشوره، ولقي منه ما رجاه؛ من الأمن؛ بعد

---

[1] في الأصل: ((الواد)).
[2] وهم الموحدون؛ وإليهم ينتسب الحفصيون.
[3] في الأصل: ((بالوجود))؛ وهو تحريف.
[4] في الأصل: ((إلى))؛ وهو خطأ.

التخويف. فأنزله بدار الكرامة، وتوعده بالموالاة في الظعن والإقامة ببني عبد الواد.

ولأهل الجبال[1]؛ يأمرهم بالأحشاد، وأقواد البلاد التي يليه؛ ويعد كل ما يرو يمينه. وقد قاتل من يليه؛ وهم بالتمادي على علمه؛ وظن أنه نازل غاية أمله؛ إلى أن سمع بإتيان الوزير عبد الله بن مسلم. تقهقر من حينه وتوقف؛ ولم يتقدم. فما ترحل[2] الوزير مرحلة لإقامة؛ حتى يتأخر هو اثنتان؛[3] خوفاً من حسامه. فما لبث أن اعتصم بالجبل؛ ورأى ذلك من أحسن العمل وخمدت ناره بعد استعارها[4]؛ وكفى تطاير شرارها. وعندما نزل الوزير تحت الجبل حاصراً له؛ أشعل الخوف مآله، وسقط في يده، واشرأب[5] في جلده. و لم يزل يحاوله الوزير، وينظر في أمره بأحسن التدبير؛ إلى أن دس له من يقتله من قبيله؛ وضمن له ما يوفيه (....)[6] عند تجديله. فسار إليه كأنه هارب؛ وهو [في][7] الحقيقة على حفته طالبا. فرضه بضربة في وسط المركب؛ فلم يصبه؛ وضربه هو فقتله؛ ولم يخبه. ولما رأى أنه مطلوب في نفسه؛ لا يقدر على ظهر رأسه؛ سلم بالكلية في البلاد، وقصد الزاب؛ في حالة

---

[1] يبدو أن بعض الجمل سقطت هنا؛ إذ تحول الكلام ـ في هذه الفقرة ـ من موضوع أبي عبد الله؛ إلى ما يجري من وقائع في نواحي بجاية؛ وما يقوم به الوزير عبد الله ابن مسلم ضد الأمير أبي زيان.

[2] في الأصل: ((ترجل))؛ وهو تحريف.

[3] في الأصل: ((اثنان))؛ وهو خطأ نحوي.

[4] في الأصل: ((اسعارها)).

[5] في الأصل: ((اشرب))؛ وهو تحريف.

[6] ترك هنا فراغ صغير.

[7] أضفنا هذه الكلمة الموضوعة بين حاصرتين.

الإنفراد. ولما حفل محمد المذكور هارباً، وأصبح في مسعاه خائباً؛ أقام الوزير بتلك[1] البلاد؛ يمهد أرجائها؛ وسكّن أهل تلك الجبال؛ التي تشعبت أرائها؛ إلى أن استقرت البلاد من الإرجاف، وأمنت على يديه من الخلاف.

أخذ في شأن الأمير أبي عبد الله وصرفه؛ وكذلك ابن ومازير؛ بكفاية لطفه؛ فسار أبو[2] عبد الله لرياح، وابن ومازير لبجاية على الإصطلاح. وعندما انقضى هذا الأرب المهم، وانكشف ظلام هذا الليل المدلهم؛ استعمل الرجوع لحضرة مولاي؛ وقد ظفرت يداه بما تمناه. فكان إيابه لتلمسان في شوال ظافراً **/93و/**بما فتح من الآمال.

وفي هذا العام كانت جزئيات يجب ذكرها؛ ويعتبر تبيينها، وذكرها. منها وصول الفقيه الخطيب أبى عبد الله بن مرزوق؛ الأستاذ النجيب؛ وذلك في الثاني والعشرين لرجب من العام المذكور؛ وخطب بالمولى أبى حموا بالعباد المبارك المشهور؛ وخطب خطبة بليغة بارعة؛ أطنب فيها عليه، وذكر صنائعه؛ فكساه كسوة سنية، وأعطاه عطية مولوية؛ ولم يزل يتعاهد بساكنه الكريم، ويواليه بالرهف والتكلم؛ إلى أن سار لبيت الله الحرام، ولزيارة النبي عليه السلام. وفي آخر شعبان؛ قتل خالد بن عامر أباه شعيب بن عامر العامري؛ نعوذ بالله من

[1] في الأصل: ((تلك)).
[2] في الأصل: ((بن))؛ وهو تحريف.

الفتن، والجبن. وكان قتله أباه على الشياخة، وطلب المرتبة (......)[1] قتله والبلاد قد اضطربت بالإرجاف؛ من شأن محمد ابن المولى أبى سعيد؛ حين أظهر الخلاف. وكان الوزير عبد الله بن مسلم بالبلاد الشرقية كما تقدم؛ فلم تزل السعادة الموسوية تحاول الجانبين؛ إلى أن كذبت ظنيهما الخائبين؛ فحاول خالد بن عامر؛ حتى أتاه[2] لتلمسان؛ وخمدت نار محمد ابن المولى أبى سعيد عثمان. وسيأتي خبر خالد بن عامر عند ذكر قصيدته، والجواب عليها؛ على (.....)[3] إنقاد وكان وصول خالد المذكور؛ في أواخر القعدة؛ بعد المحاولة عليه، والمواثق؛ وذلك من الكفاية والشدة. وفي الرابع والعشرين شوال؛ وصل ابن عم الفنش ـ من بلنسية ـ ومعه عشرون فارساً من الصليب المظفية برسم خدمته العلية؛ وسعاها بما سمعه من المآثر السنية؛ فأكرم نزله، وبلغه فيما يريد أمله؛ قدمه على كافة المفشيين، ومكنه أتم تمكين؛ أجرى له من المرتب ثلاثين ديناراً من الذهب العين؛ في كل شهر يسار[4]. وفي ثالث ذي الحجة؛ سافر بن مرزوق المذكور، وأبو البركات الفرموني خطيب الجامع الأعظم المشهور؛ كلاهما لحج بيت الله الحرام، ولزيارة قبر نبيه محمد عليه أفضل السلام. وعند وداعهما للمولى أبى حمو السلطان؛ أعطاهما من الموادة والجمال؛ ما يوصلهما إلى تلك

[1] الكلمة هنا غير واضحة؛ فجاءت هكذا: ((البراعة)).
[2] كتب في الهامش أيضاً كلمة: ((أخاه)). ويبدو أن الناسخ أضافها خطأ.
[3] كلمة هنا غير مفهومة.
[4] هكذا.

الأوطان؛ وكتب لصاحب بجاية في شأنهما، ولصاحب تونس ليبالغ في إكرامهما؛ وأن يأخذ معهما في شأن سفرهما؛ وكتب لمن يليه في حفظهما وبرهما. وفي ثمانية عشر من الشهر المذكور؛ خرج الأمير أبو تاشفين بن المولى أبى حمو السلطان المنصور؛ برسم السكنى بالجزائر؛ ليتربى بها كما فعل قبله بأبناء الملوك المشاهير. فكان دخوله إليها أوليات شهر المحرم من عام خمسة وستين [وسبعمائة][1]؛ الثاني للعام الفارط المتقدم وهنا.

انتهى السفر الثاني من زهر البستان في دولة بني زيان؛ يتلوه السفر الثالث ـ بحول الله وقوته ـ على يد أفقر الورى لربه، العبد المذنب الراج عفو مولاه؛ الحبيب بن يخلف بن جلول بن العيد الفرادي نسباً، ثم الغريسي مولداً وداراً؛ غفر الله له ولوالديه ولأشياخه ولجميع المسلمين؛ أمين أمين أمين؛ والحمد لله رب العالمين.

وكان الفراغ منه صبيحة يوم الجمعة؛ الخامس عشر؛ الذي هو من الشهر المحرم؛ وفاتح السنة؛ عام 1235.[2] كتبته للسيد مسلم بن عبد القادر خوجة، ثم لمن شاء الله بعده؛ هبة أو شراء. اللهم أمنعنا وإياه من فتنة الدارين؛ بجاه سيد الأولين والآخرين. أمين أمين أمين.

***

---

[1] 1363م.

[2] كتبها في الأصل بأرقام هندية مشرقية.

ملحــق (1)

ذكر بيعة عبد الرحمن بن معاوية على وجه التشبيه وما اتفق له في زمان المحنة حسبما أحكيه.[1]

قال الرازي: روى **بدر**[2] مولى **عبد الرحمن بن معاوية**؛ قال: لما أصابت مولاي المحن الناكية،[3] والمهلكات الفاشية في زمان ظهور **المسودة**[4] على **بني أمية**؛ وأصابوا منهم ما أمّلوه؛ بالقتل، والجلاء، والآفات المردية؛ وطلبوهم بالثارات **الحسينية؛**[5] وجعلوا السيف جزاءهم، والسلامة /3و/جلاءهم؛ وقد استأصلوا شيعهم بالقتل الذّريع، وأوقعوا بهم ـ بعد الأمان ـ أشد التوقيع. فتفرق **آل مروان**[6] في

---

[1] ورد هذا الفصل ـ ضمن المخطوط ـ في بداية الكتاب؛ وبالفصل الأول منه بالتحديد؛ بدءاً بالورقة: /2ظ/؛ وقد تمت الإشارة إليه في الصفة: 21 من هذا الكتاب المحقق. وذلك في تعليق بالهامش؛ يحيل القارئ إلى هذا الملحق رق: 1؛ بآخر الكتاب.

[2] وهو رومي الأصل؛ يكنى أبا النصر. كان له الفضل الأكبر على عبد الرحمن الداخل؛ إذ مكنه من التربع على عرش الأندلس؛ ولكنه كافأه بما لا يستحقه؛ إذ سلط عليه سخطه وقهره وغضبه. قال ابن الخطيب في بدر:((كان شاعراً داهية، حازماً فاضلاً، مصمماً تقياً، علماً من أعلام الوفاء. لازم مولاه في أعقاب النكبة، وصحبه إلى المغرب الأقصى؛ مختصاً به، ذاباً عنه، مشتملاً عليه. وخطب له الأمر بالأندلس...)). الإحاطة في أخبار غرناطة، ج: 1، ص: 444. ومما قاله المقري في بدر: ((وأول ناصر لعبد الرحمن؛ سائر معه في الخمول والاستخفاء؛ مولاه المتقدم الذكر. سعى شرقاً وغرباً، وبراً وبحراً؛ فلما كمل له الأمر؛ سلبه من كل نعمة، وسجنه، وأقصاه إلى أقصى الثغر؛ حتى مات؛ وحالُه أسوأ حال)). نفح الطيب، ج: 3، ص: 44.

[3] نَكَى يَنْكِي نِكايَة العدو: قهره وقتله.

[4] المسودة: هم بنو العباس؛ الذين اتخذوا السواد شعاراً لهم؛ على خلاف الأمويين الذين رفعوا البياض شعاراً لدولتهم.

[5] نسبة للحسين بن علي رضي الله عنهما.

[6] نسبة إلى مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية.

الكُوَرِ[1]، وذهبوا بين سمع الأرض والبصر. ففرّ مولاي **عبد الرحمن** بأهله وولده؛ وأنا معه ـ يقول **بدر** ـ في جملة عدده. وكان فراراً من **ذات الزيتون**؛ قرية كانت لنا في زمن ملكنا؛ والزبون يأتينا **فلسطين** من **الشام**؛ فأقمنا بها الشهور والكثير من الأيام؛ نتجسس من الأيام، فرط المخافة، وسوء الانتقام. وكنا أعطينا الأمان؛ ثم خفر بعهدنا؛ فلقينا الهوان؛ فقتلنا ثانية، واستبيحت دماؤنا، وعمل السيف فينا، واشتد عناؤنا، وكانت الوقعة بنا **بنهر أبي فطرس** فاظعة[2]، وخفضتنا الأيام؛ بعد أن كانت لنا رافعة. واتخذ مولاي منزلاً في قريته، وكمش على نفسه، ونبذ الناس، وتوارى على لبسه؛ وهو ـ مع ذلك ـ يتحدث **بالمغرب والأندلوس؛**[3] لِمَا سمع من جدّه؛ أن بقيامه بها؛ تخرج **المروانية** من النحس.

يقول بدر: قال لي مولاي **عبد الرحمن** ـ فيما يخبرني به؛ حين ذهب من الامتحان، وعادت الدولة **لبني مروان**: "وجدني جدي غير متشمر؛ أي غير متزين على الثياب[4]؛ فأبعدني عنه إبعاد المتنكر؛ فأخذني جدّي **هشام**، وضمني إلى صدره؛ وقال: يا أمير المؤمنين؛ لا تهنه؛ فإنه جامع **المروانية** بأمره بعد شتاتها في عصره؛ ثم لم يزل يذكر

---

[1] الكُوَر مفردها كُوْرَة: المكان الذي يجمع المساكن والقرى.
[2] أي فظيعة.
[3] هكذا كتبت.
[4] في الأصل: ((عالثياب))؛ وهو تحريف.

مقامي **بالأندلوس،**[1] وبذهاب الأيام النكس[2]. ثم أمرني أن أطلق ضفيرتين من شعري؛ كما أخبر عن صحيح خبري. وكأن جدي **هشام** عالم بوقوع هذا الحدثان؛ أخذه عن أخيه **الوليد؛** وأخوه عن بعض الرهبان. فبينما أنا جالس يوماً في بيتي؛ لرمد اعتراني؛ وولدي يلعب بين يدي بمكاني؛ وكان بكر أولادي، وقطعة من أفلاذي؛ إذ خرج يلعب بخارج الدار؛ وإذا به قد رجع مذهولاً؛ إذ صار كأنه فُوِّقَ من نومه، **/3ظ/**أو وخرّ في يومه. فقلت له ما يقال للفازع، واستعذته بالله من الشيطان الرجيم؛ شر الطارق والنازع؛ وجعل يتشبث بثيابي؛ وأنا ـ لرمدي ـ أدفعه عن جنابي. فخرجت أنظر ما دهاه؛ والسيف نجاتي من أوصابي.[3] فإذا الرايات السود منحطة، وأخ لي حديث السن يتستر؛ في حالة مضغطة. وإذا به يقول لي: النجاة يا أخي النجاة؛ هذه الرايات السود قد أحاطت بنا من كل الجهات. قال: فأخذت دنانير تناولتها؛ ونجيت[4] بنفسي؛ وتركت الأهل والولد؛ خوفاً على رأسي؛ ثم أعلمتهم بتوجهي **للمغرب؛** وأمرتهم بإطراق غلامي؛ لأتوصل به للمطلوب. فأتيت قرية أخرى؛ فجلست بها مستخفياً؛ أنظر ما يكون؛ ثم أسير في البلاد متعدياً. ولما أحاطوا في طلبي بالقرية التي كنت فيها، وبحثوا على مخافيها؛ فلم يجدوا لي أثراً، ولا عرفوا خبراً؛ وعندما

---

[1] هكذا.
[2] أي أيام السقوط والضعف والذل.
[3] أوصابي: مرضي وأوجاعي.
[4] نَجَوْتُ.

انصرفوا لشأنهم؛ أتيت رجلاً من معارفي؛ وكلفته بشراء دواب؛ لاستقلال[1] أهلي ووضايعي[2]؛ فوشى بي غلامه للعامل على القرية؛ فأقبل ـ في جلبة خيله ـ بغير مرية[3]. فخرجت مع أخي؛ نشتد وعلى أرجلنا. وكادت الخيل أن تلم[4] بنا في منزلنا؛ فدخلنا في جُنَّة[5] **الفرات**؛ والفرسان تنظر إلينا، وتشتد جرياً؛ وتصيح علينا. فبادرت **الفرات** بالعوم؛ وأخي كذلك؛ وسبحنا خوفاً من القوم؛ توسطنا **الفرات**؛ التفت إلى أخي أشده بالكلام؛ وأقول له: لا تخف؛ لئلا يسرف[6] جلده جلده بالأوهام؛ والفرسان ـ مع ذلك ـ يقولون لنا: ارجعا؛ ولكما منا الأمان التام؛ لا خوف عليكما؛ قد أمنتما من الانتقام. فالتفت إلى أخي؛ فوجدته قد اغتر بأقوالهم، ورجع خوفاً من الغرق؛ واغتر بحالهم. فقلت: لا ترجع إليهم لئلا يقتلوك؛ **والفرات** حائلاً بينك وبينهم؛ فلن يصلوك. فصار إليهم؛ فأخرجوه، وضربوا /4و/عنقه؛ وأنا أنظر إليهم؛ وأنجزع حرقة. وقد عزم أحد الفرسان على أن يسبح في إثري؛ فمنعه آخر؛ لسبب نجاتي وستري. ثم لجأت إلى غيضة[7] مشتبكة؛ بعد أن كدت أكون من الهلكة. ثم انقطع علي الطلب؛

---

[1] استقل الشيء: حمله ورفعه. واستقل القوم: ارتحلوا.
[2] الوضيعة؛ جمع وضائع: الوديعة؛ ما يأخذ الملك من العشور والخراج.
[3] أي بغير جدل، أو تراخي.
[4] لمّ بالشيء: قرب منه ونزل به.
[5] الجُنَّة: السترة. والجنة: البساتين ذات الأشجار الكثيفة؛ الساترة، والحاجبة لمن بداخلها.
[6] السرف والإسراف: مجاوزة القصد والغفلة.
[7] في الأصل: غيطة. ويبدو أنه يقصد غيضة؛ جمع غياض وهي: مجتمع الشجر في مغيض الماء. أي في مجتمع الماء ومداخله في الأرض.

فأيقنت أن لا ملجأ إلاَّ المغرب؛ فخرجت ـ على الأثر ـ هارباً إلى **بلاد المغرب** طالباً؛ حتى أتيت **القيروان**. ولحقني غلامي **بدر**؛ وكان ما كان.

قال بدر: ولما حللنا بحوز **القيروان؛** نكبنا عنها؛ قاصدين لبعض **بني مروان**؛ جماعة من **بني مغيث؛** أصدقاء في القديم والحديث. فلما حللنا بهم؛ استخفينا، ولجأنا للراحة وأوينا. وكان على **القيروان ابن حبيب**؛ عاملاً، وعلى **المروانيين** باحثاً وسايلاً. فاتفق ـ يقول **بدر** ـ أن كان بالقرية يهودي؛ عالماً بعلم الحدثان؛ كان يخدم **لهاشم** جدي؛ في مدة **آل مروان**؛ فنظر إليّ؛ متفرساً في صفتي؛ وأخذ يتحدث بعلمه في شيتي. واستمالني؛ حتى أطلعته على ظفرتي شعري؛ بعد أن أخذت عليه العهد؛ أن لا يشي بخبري؛ فتركني في القرية؛ وسار **لابن حبيب للقيروان؛** وأخبره بشأني، وبمستقري بذلك المكان. فبينا أنا في القرية؛ إذ أنا **بابن حبيب** ـ بمن معه من الفرسان ـ وقد أحاط بالقرية؛ من غير توان. وعندما دخلوا القرية على حين غفلة؛ بادرت[1] امرأة من نساء القرية ـ من غير مهلة ـ ودخلت مستخفياً تحت ثيابها؛ فنشرت للحين شعرها، وانتقبت بنقابها؛ وجعلت تمشط شعرها، وتصيح ببعلها ليبصرها؛ ثم جعلت تقول تكتشفون على العيالات، وتنتهكون حرم الكرايم؛ فيأسركم مولانا في الموالاة؛ فيقول لها الحشم؛ على رسلك؛ ليس الطلب عليك، ولا على بعلك. وجعلت تنكمش كالحية، وتدافع

[1] في الأصل: ((تبادت))؛ وهو تحريف.

عنّي مدافعة الحمية؛ إلى أن يئسوا[1] من الطلب. حملوا **بدراً**؛ وكاد يلحق بالعطب؛ فأقبل به **ابن حبيب** إلى **القيروان؛** فسجنه، وهدّده بالسيف، وامتحنه. وقال له: **/4ظ/**أين صاحبك الذي جاء معك؟ قال: عابر طريق؛ رأى ما أهاله فخاف فشرد. ثم إن **بني مغيث** نقلوني[2] إلى موضع أخر من القرية، واستشفعوا في **بدر**؛ فطلق بعد المشقة؛ بغير فدية. ثم جمعت لي **بني مغيث** مالاً لصلاح شأني؛ فأخذته وتوجهت تلقاء **المغرب**؛ **وبدر** لي ثاني؛ إلى أن أتيت **مغيلا**[3]. فنزلت عند شيخها؛ فأكرم مثواي، ونلت من وفائه غاية مثواي. ومن هنالك؛ بعثت **بدراً** بكتبي؛ فما عاد إلاّ بغاية مطلبي؛ فطلعت البحر ـ من هنالك ـ إلى ساحل إلبيرة؛ وذلك لما أراد الله من الجيرة.

وكمال القصة في **مقتبس بن حيان؛** مع دخوله **الأندلس**[4]، وما كان بينه وبين **يوسف بن عبد الرحمان**؛ حسبما سطر في ذلك الديوان. وإنما أتيت هذا الطرف؛ على وجه التشبيه؛ إذ كان أحرى وأولى لموافقة المثال والشيبة. فهؤلاء **بنو عبد الواد**؛ أصابهم ما أصاب **بني أمية**؛ ولقوا من الامتحان أعظم بلية. وهذا إمامنا؛ المولى **أبو حمو** السلطان. لقي ـ في زمانه ـ ما لقي الأمير **ابن معاوية؛ عبد الرحمان**. ولقد سأل

---

[1] في الأصل: ((أيائسوا))؛ وهو تحيف.
[2] في الأصل: ((تلقوني))؛ وهو تحريف.
[3] تكتب أيضاً "مغيلة". وهي قبيلة أمازيغية بترية تسكن المغرب الوسط.
[4] في الأصل ((الأندلوس)).

أبو جعفر العباسي[1] عن **صقر قريش**؛ فأجابوه: فلان وفلان؛ قال: لا؛ إنما **صقر قريش الأمير عبد الرحمان**.

وكذلك؛ إن قيل: من **صقر بني عبد الواد** الأعيان؛ فيقال: **موسى بن يوسف بن عبد الرحمان.** خرج طريداً شريداً؛ فعاد ملكاً صنديداً؛ وأحرز ملكاً عتيداً. لقي بلاده خالية من الأنيس؛ وفقيدة من الملك؛ والرئيس؛ فحلى جيدها العاطل بخلافته؛ وجدّد رسمها الماحل[2] بلطافته، ونوه سموها بأنافته؛ نشرتها الصيت المذاع؛ وجعل كلمتها تقرع الأسماع. مهد بلاده بعد الترجيف، وأعز أهلها بعد الذلة والتغييب. دَوَّنَ بها الدّواوين؛ ورفع الأواوين، وأعاد العطايا، وأنفذ القضايا، ورفع الألوية[3]، وعمر ـ بعد الخراب ـ الأندية، وأجرى الخلافة على قواعدها، وشيد /5و/معالمها ومشاهدها على عوايدها. عرفتة الملوك حين عرَّفها بنفسه، وهرع إليه الحرّ والمملوك، وقهر أبناء جنسه؛ ذلل الصعاب بعزائمه، وأظهر العجب في عالمه؛ مارس دفعة ما مارسته الملوك أعواماً، وحاول ملكاً لا يحاوله إلاّ من كان مقداماً، خاطر بنفسه للشرف فأدركه، وطلب ملك أسلافه فملكه؛ تطوح في البلاد الشاسعة طالباً للفخار، ورمى بنفسه في المفاوز؛ ينتهز فرصة في الثأر؛ جمع أهله بعد الشتات، وأحيى رسمهم بعد أن كانت كالرفاة؛ ليّن بالسياسة

---

[1] هو عبد الله بن محمد؛ الخليفة العباسي الثاني يكنى بأبي جعفر، ويلقب بالمنصور، حكم من 136هـ/754 إلى 158هـ/775م.

[2] أي المُجْدب.

[3] في الأصل: ((الأولوية))؛ وهو تحريف.

الجلامد، واستمال بقدرته الحاسد، وسكن ـ بعد النفار ـ الشارد؛ قاد الأعراب على عتوها، واستخدمها وسكنها من علوّها؛ فهو إن مدح لا يبعد مادحه، وإن لاح طائره الميمون فلا يكذب سايحه ولا بارحه.

***

ملحـــق (2)

ـ ولطبيب حضرته الكريمة الحاج محمد بن أبى جمعة التلاسي[1] :

أأصْبو ورأسي بالمشيبِ غدا حالي
وحال لذاك الشيب لما بدا حالِي[2]

وكيف لمثلي بالتصابي بالصبا[3]
وهل للتّصابي أن يمر على بالِي

وعنِّي شبابي قد تولَّى وقد مضَى
فقلبِيَ منه لاَ هَنِيءٌ ولاَ سالي

علا مفرقي جيش المشيب مهللاً
جديد شبابي مذْ أَلَمَّ به[4] بالي

ونادَى لسان الحال شمّر إلى متى
تُرَى غير ناس للتصابي ولا قالي[5]

---

[1] وردت هذه القصيدة ـ للمرة الثانية ـ في مخطوط زهر البستان. فجاءت من قبل في ورقات: 62و، 62ظ، 63و. بينما سبق أن أثبت مطلعها ـ في سياق هذا الكتاب ضمن صفحة: 390. وقد أثبتناها كاملة هنا.

[2] سقط هذا البيت في نص القصيدة ذاتها؛ المنسوخ سابقاً .

[3] في بغية الرواد: ((وبالهوى)).

[4] ترك في الأصل بزهر البستان هنا فراغ بقدر كلمة؛ بينما كتبت كلمة ((به)) في بغية الرواد؛ كما هو واضح أعلاه.

[5] جاء هذا البيت في بغية الرواد بعد البيت الموالي.

نفائس أنفاس الشباب قد انقضت
وما لك[1] من بعد الشبيبة من مالِ
[فهذا أنا أبكي على ما اقترفته][2]
وتضييع أيامي ولهوي وإغفالي[3]
وحرَّمت[4] سلواني وحزني أبحته
وقلت أيا نفسي[5]قد دنا عنك ترحالي
فجدِّي بحزم في نجاتك وانظري
بحزم[6] لما فيه الصلاح لأحوالي
ألا فارحلي قصدا لطيبة وانزلي
بها قبل أن أقضى وترفع أعمالي
تقدم أقوام لتقبيل تربها
وأصبحت تسعى في هلاكي[7]وتضلال
أمن بعد أنس كان لي بجوارها
فأبلست يا وَيْحي لسَيِّءِ أفعالي

[1] في بغية الرواد: ((وما ليَ)).
[2] هذا الشطر مختل الوزن؛ إذ نسخ هكذا: ((فها أنا أبكي من ذنوب تقدمت))؛ وعليه فقد عدل كما ورد أعلاه بين حاصرتين.
[3] هذا البيت غير وارد في العينة الأولى من القصيدة فيما سبق، ولا في القصيدة نفسها المنشورة في بغية الرواد.
[4] في بغية الرواد: ((فحرمت)).
[5] نفسه: ((وقلت لنفسي)).
[6] نفسه: ((بعزم)).
[7] نفسه: ((عناءٍ)).

ترفـق خليـلي إن إنسـا فقدتـه

جدير بأن أبكي عليـه ويبـكي لي[1]

أشيِّـع ركبـا بعـد ركـب لطيبـة

ويقعـدني غَـيِّي وكثـرة آمـالي

بقبـر رسـول الله طـاب ترابهـا

وأضحى لها جيد بأنواره حـالي

/87ظ/نَبيٌّ كريم شرف الله قـدره

وفضله في القبل والبعـد والحـال

نَـبيٌّ بـه سُدْنَـا علـى كـل أمـة[2]

فـلا أمـة إلا لنـا تحـت إذلال

سرى[3] لإلـهِ العرش واللَّيْـلُ أَلْيَـل

من المسجد الأقصى إلى المُرتقَى العالي

لمولده نـور على الأرض ساطـع[4]

غدا دونه بدر الدجى بعـد[5] إكمال

---

[1] في الأصل بزهر البستان: ((ويبال)). وهذا يخل بالوزن.

[2] هكذا في بغية الرواد؛ بينما نسخ الشطر في زهر البستان بشكل ردي؛ تعذرت معه القراءة.

[3] في بغية الرواد: ((سما))؛ وهو تحريف.

[4] نفسه: ((على الأرض قد بدا)).

[5] نفسه: ((دون)).

نجونا[1] به من كل خطب يروعنا
وأنقذنا من كل خوف وأوجال
حليم رحيم مؤثر متفضل
رؤوف عطوف مانح دون تسئال
فهل[2] من شفيع غيره يرتجى إذا
غداالناس سكرى من عذاب وأهوال[3]
إذا كان في يوم القيامة شافع
فلا خوفَ من نيل السعادة في الحال[4]
هو المصطفى ساد الأنام وقدره
على كل مخلوق نطقت به عالي
فمن رام أن يحصي فضائل أحمد
فذلك شئ لا يمر على بالي
وهيهات هل تحصى فضائله التي
تفاخر عنها كل صاحب أشغال
بأمداحه يا نفس لوذي فإنه
شفائيَ من وعك الذنوب وإبلالي

---

[1] في الأصل بزهر البستان: ((نجينا)).
[2] في بغية الرواد: ((وهل)).
[3] نفسه: ((عرى الناس سكر من عذاب وأهوال)).
[4] كتب هذا الشطر ـ في الأصل ـ هكذا: ((فما أنا من نيل السعادة بالخال)). وهذا يخل بالوزن. لذا فقد ونظمنا شطراً بديلاً، ووضعناه أعلاه بين حاصرتين.

عليه صلاة تملأ الأرض والسما

يحط بها وزري تخفف أثقالي[1]

وبعد الرضى عنه وعن آل بيته

وأصحابه أهل الفضائل والآل

أقوم وأدعو للخليفة إنه

لخير إمام في ذرى شرف عال

على الله في أحواله متوكل

وما إن له إلاّ التوكّل من حال

يشيِّد أمر الملك طول نهاره

وإن جنَّه الليل البهيم يُرَى تال

فكل امرئ يأتيه يطلب نائلاً

يعود غنياً مثرياً بعد إقلال

وصارِمُهُ أسْدُ الكفاح تخافه

فها هو قتّال به كل قتّال

فمغن إذا أعطى وغم إذا سطا

ومسد إذا حاجاك في القيل والقال

[1] هكذا في بغية الرواد. بينما شوه ناسخ زهر البستان هذا الشطر؛ فكتبه هكذا: ((فحطه بها في تحفها أثقالي)).

أنـارت معاليـه وأشـرق فضلـه

كشمـس نهـار في مسـاء وإهـلال[1]

وأوجـد عبـد الـواد بعد دثورهـا

وأظهر رسمـا دارسـاً بعـد إمحـال

/88و/تلمساننا أضحت به وبيمنـه

تتيـه على فـاس الجديـدة والبـالي[2]

فنحن به في طيـب عيـش وغبطـة

وتجديـد أفـراح وفسحـة آمــال

قبائـل عبـد الـواد سعدكـم بــدا

ودولتكم عادت إلى أشرف الحـال[3]

ولست أراها تنقـضي عنكـمُ ولا

تزالـون[4] فيهـا في نعيـم وأفضـال

ومـوسى أميـر المؤمنيــن مؤيّــد

بنصـر وتمكيــن ويمــن وإقبـــال

---

[1] في بغية الرواد: ((كبدر تبدّى للورى بعد إهلال))؛ وهذا يختل بالوزن في التفعيلة الأخيرة.

[2] كتب في الأصل هنا: ((مع البالي))؛ وهذا يخل بالوزن))؛ فاعتمدنا على ما ورد في بغية الرواد. كما أن ورد هذا الشطر في القصيدة المماثلة لهذه؛ والواردة فيما سبق؛ هكذا: ((تتيه على كل البلاد بإدلال)).

[3] هكذا في بغية الرواد؛ بينما سقط حرف الفاء في الأصل بزهر البستان؛ فجاءت الكلمة هكذا: ((أشر))؛ وهذا تحريف يخل بالمعنى والوزن.

[4] هكذا في بغية الرواد؛ بينما طمست وشوهت هذه الكلمة في زهرالبستان هنا؛ بحيث تعذرت قراءتها.

فـإن نالـني منـه قليــل عنايــة[1]

فمـا هـذه الدنيـا وحقـك إلاّ لي[2]

***

□

[1] هكذا في بغية الرواد؛ بينما رسم ناسخ زهر البستان هذه الكلمة الأخيرة بشكل مشوه؛ ((فكتب ((عنا))؛ وبذلك أسقط حرفي: ((ية))؛ ثم كتب كلمة ((فما))؛ وهي في الحقيقة تابعة لعجز البيت.

[2] هكذا في بغية الرواد؛ أما في زهر البستان؛ فجاء الشطر هكذا: ((فما هذه الدنيا وحقك إلاّ ولي))؛ إذ يختل الوزن في التفعيلة الأخيرة؛ بسبب الواو.

فهرس أوائل القصائد الشعرية

فهرس فصول الكتاب